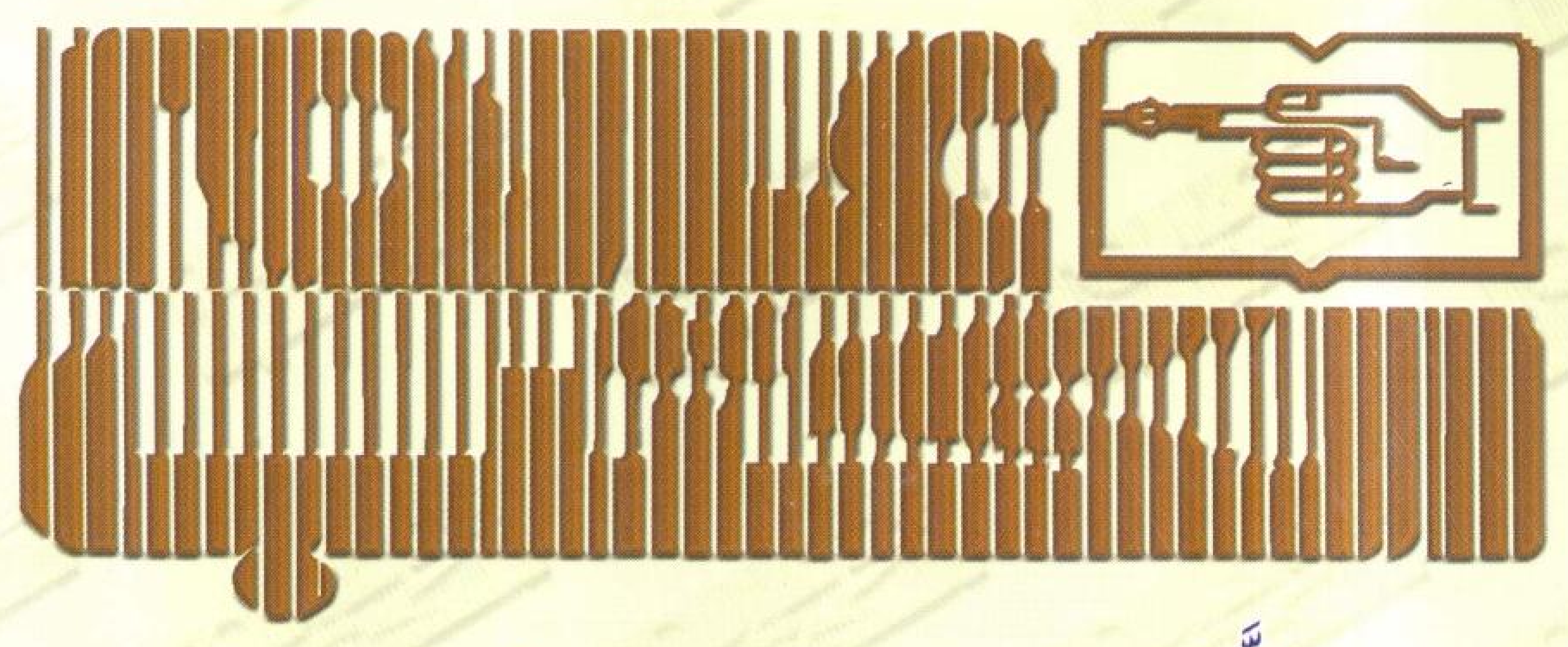


مجلة محكَّمة متخصصة في الكتاب وقضاياه

تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف

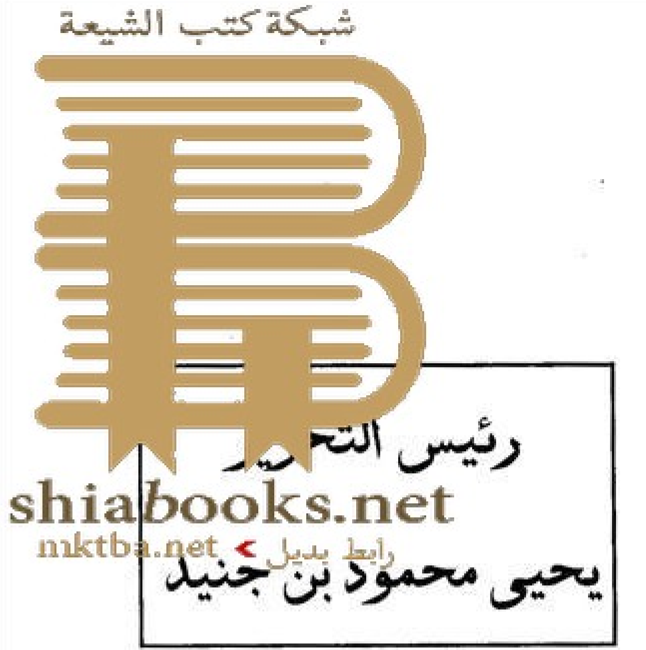
أسست عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

المجلد الخامس والعشرون | العددان الأول والثاني [عدد مزدوج] | رجب – شعبان / رمضان – شوال ١٤٢٤هـ سبتمبر – أكتوبر / نوفمبر – ديسمبر ٢٠٠٣م

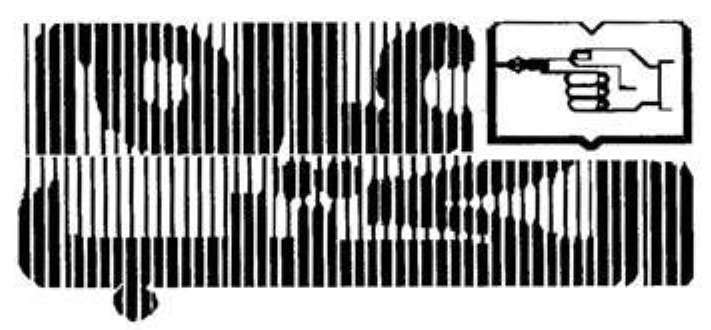
عدد مزدوج

من محتويات العدد

* الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة خلال العصر المملوكي
* استلهام شخصية عنترة في المسرح العربي
* الدوريات الإلكترونية في المكتبات الأكاديمية أساليب إتاحتها على الإنترنت في المكتبات
* كتابة «البناية» الفقهي، ومؤلفه «العيني»، والاعتداء عليهما، والعلاج لذلك
* الأدب الإسلامي: مراجعات في النشأة والخصائص
* أعلام التراث في العصر الحديث



بسم الله الرحمن الرحيم



المؤسسان
عبدالعزيز الرفاعي
عبدالرحمن المعمر

رئيس التحرير
يحيى محمود بن جنيد

المجلد الخامس والعشرون — العددان الأول والثاني [عدد مزدوج] — رجب - شعبان / رمضان - شوال ١٤٢٤هـ — سبتمبر - أكتوبر / نوفمبر - ديسمبر ٢٠٠٣م

عالم الكتب
مجلة محكّمة متخصصة في الكتاب وقضاياه، صدر العدد الأول منها في رجب ١٤٠٠هـ / مايو ١٩٨٠م

الناشر
دار ثقيف للنشر والتأليف

العنوان البريدي

٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧
☎: ٤٧٦٥٤٢٢
ناسوخ: ٤٧٦٣٤٣٨

الموقع على الإنترنت www.alkutub.net
البريد الإلكتروني info@alkutub.net

ردمد: ١١٥٩ - ٠٢٥٨
الإيداع: ٠٠٠٨ - ١٤

المحتويات

الوراقون
وأثرهم في الحياة العلمية في مكة خلال العصر المملوكي
(دراسة تاريخية - حضارية)

عبدالعزيز بن راشد السنيدي

قسم التاريخ - كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة :

شكلت الحياة العلمية - التي عُني المسلمون بها تحقيقاً لدعوة الإسلام النبيلة - معلماً حضارياً بارزاً خلال عصوره المتعاقبة ، بعد أن كرَّس المسلمون جهودهم لنهل العلم من مصادره ، وحفزوا قواهم للتبحر فيه ، حتى نالوا نصيباً وافراً منه ، أرسوه من خلال مصنفاتهم المختلفة وكتاباتهم المتنوعة ، مؤكدين بذلك سبقهم العلمي في كثير من المجالات ، ومضيفين به جديداً على الحضارة الإنسانية .

وبقدر ما أسهم انتشار الورق (الكاغد) في حفظ التراث العلمي من الضياع ، بعد أن وجد المسلمون فيه أفضل وعاء لحفظ مصنفاتهم منذ القرن الثاني الهجري ، فإن تطور صناعته ، مع ازدياد اشتغال علماء المسلمين بالتصنيف قد أفسح المجال لظهور طبقة جديدة في المجتمع الإسلامي عرفت باسم "الوراقين" ، عُنيت بالكتاب وتعاهدت نسخه ونشره .

ورغم الأثر الفاعل للوراقة والوراقين في تطور الحركة العلمية وازدهارها قبل ظهور الطباعة الحديثة في البلدان الإسلامية المختلفة ، إلا أن هذا الأثر لم يلْق الاهتمام المطلوب أو العناية الكافية من قبل الباحثين ، سواء منهم من تناول بالدراسة الحياة العلمية عند المسلمين ، أو بحث في مظاهر تطورها في صقع معين من البلدان ، أو أولئك الذين ركزوا على دراسة الوراقة كحرفة ؛ مستقصين مفهومها وتاريخها ، أو تنظيمها ومهامها وما يتعلق بذلك .

من جانب آخر فإن إنعام النظر في الحياة العلمية في مكة عبر التاريخ ليكشف عن تطور ملحوظ وازدهار ملموس لشتى جوانب هذه الحياة خلال العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ)، بعد أن تيسر في مكة عديد من الفرص، وتضافرت كثير من الجهود ، التي ذللت الصعاب، وفتحت المجال للمضي قدماً نحو التطور والإبداع العلمي . ورغم استناد هذه الحياة على كثير من المشتغلين بالوراقة ، سواء من المكيين أو النزلاء والمجاورين ، الذين كثفوا جهودهم في تلك الفترة ، وعملوا سوياً في سبيل نشر الكتاب وتوفيره في أسواق مكة ، إلا أن الدراسات الكثيرة التي تناولت الحياة العلمية أو جزءاً منها في مكة حينذاك لم تُعر هذه الفئة اهتماماً ، أو تسلط الضوء على أثرها في دعم الحركة العلمية وجهودها في إنماء هذا الجانب وتطويره إبان تلك الحقبة التاريخية المذكورة .

وللاعتبارات السابقة فقد رأيت أن أتحدث عن الوراقين وأثرهم في الحياة العلمية في مكة خلال العصر المملوكي ، وذلك محاولة مني لكشف حقيقة جهودهم في هذا المجال ، والوصول إلى طبيعة حضورهم ومشاركتهم فيه ، وتقصي العوامل التي أدت إلى انتشار هذه الفئة وتكاثرها ، وإزاحة الستار من خلال ذلك عن مدى أثرهم في التقدم الذي طرأ على الحياة العلمية في مكة آنذاك .

ووفق ما توفر لدي من مادة علمية جمعتها من أمهات المصادر المتاحة ، وبناء على المعطيات السابقة ، فقد قمت بدراسة هذا الموضوع من خلال خطة استفتحتها - بعد هذه المقدمة - بمدخل وضحت من خلاله - وبصفة مختصرة - المقصود بالوراقة والوراقين ، ومهامها ، ومكانتها ، وتاريخ ظهورها في المجتمع الإسلامي ، مع الإشارة لبعض آدابها وأخلاقياتها . وبعد هذا المدخل تحدثت عن الوراقة والوراقين في مكة قبل العصر المملوكي، فتناولت - بإيجاز - بدء ظهورها ، وتطورها ، وأبرز أعلامها ، وأثرها على الحياة العلمية . ثم شرعت في صلب الموضوع بتتبع مظاهر انتشار الوراقين في مكة ، فتحدثت عن كثرة الوراقين في مكة ؛ سواء كانوا من المكيين أو النزلاء أو المجاورين ، ثم عن حركة بيع الكتب في مكة ، ثم ظاهرة ملازمة الوراقة والاهتمام بها ، وفي نهاية الحديث عن مظاهر انتشار الوراقين أبرزت ظاهرة انتشار الكتب والمكتبات في مكة آنذاك . وقد حاولت بعد ذلك استقصاء العوامل التي أدت إلى ازدهار الوراقة وساعدت على تكاثر الوراقين في مكة . ثم عقب ذلك تحدثت عن أثر الوراقين على الحياة العلمية في مكة ، فذكرت جهودهم في تزويد المكتبات العامة ، مثل المكتبات في المسجد الحرام والمدارس والأربطة ، وكذلك أثرهم في ظهور المكتبات الخاصة وإنمائها وتكاثرها ، ثم بيّنت دورهم في إثراء الأسواق المكية بالكتب ، وأخيراً وضحت جهد الوراقين في ضبط الكتب ومقابلتها والتعليق عليها . وختمت الدراسة باستعراض أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا الموضوع . ثم ذيلتها بقائمة للمصادر والمراجع التي استقيت منها المادة العلمية .

مدخل :

قال ابن منظور [١]: الورّاق، هو الذي يورّق ويكتب. وقال الفيروزأبادي[٢]: الوراّق، مورق الكتب، وحرفته الوراقة.

وبيّن السمعاني[٣] أن " الورّاق ، اسم من يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها ، وقد يقال لمن يبيع الورق - هو الكاغد - الوراق أيضاً " .

وقال القلقشندي[٤] : الوَرَق ، اسم جنس يقع على القليل والكثير ، وحده ورقة ، وجمعه أوراق ، وجمع الورقة ورقات ، وبه سمي الرجل الذي يكتب ورّاقاً . وقد نطق القرآن الكريم بتسميته قِرْطاساً وصَحِيفة ... ، ويسمى أيضاً الكَاغَد، ويقال للصحيفة أيضاً طِرْس ويجمع طُروس، ومَهْرَق ، ويجمع على مَهَارق ، وهو فارسي معرب .

وأشار السبكي[٥] إلى أن مهنة الورّاق تُعد " من أجود الصنائع ، لما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف ، وكتب العلم ، ووثائق الناس وعُهَدهم " . والسبكي بهذا التعريف قد خص الوراق بعملية الكتابة والنسخ فقط[٦] .

وقد ارتبط ظهور الوراقة والوراقين بظهور الإسلام عندما عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة رضوان الله عليهم بكتابة ما يتنزل عليه من الوحي[٧]. ثم ازداد الاهتمام بهذا الجانب إبان العصر الأموي بعد أن اتخذ خلفاء بني أمية غلماناً وأجراء ينسخون لهم ، كما اشتغل آخرون خلال هذا العصر في نسخ المصاحف والكتب بالأجرة[٨] .

ثم اشتهر مصطلح الورّاق والوراقة وانتشر في الأوساط العلمية والاجتماعية بعد معرفة المسلمين للورق ، وظهور مصانعه في عدد من البلدان الإسلامية خلال النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة[٩]. وكان يطلق على ممتهن هذا العمل الناسخ[١٠] ، أو الكاتب[١١] . ورغم أن الورق يُعد الأصل الذي بنيت عليه الوراقة والأساس الذي ارتكزت عليه ، إلا أن لفظ الوراقة قد غلب على أصله فأطلق هذا اللفظ على من كانوا يشتغلون في صناعة الورق وتجارته[١٢]. أما المشتغل بالوراقة فكان يطلق عليه - بالإضافة للفظ الورّاق - الكاغذي (الكاغدي) والقراطيسي،

نسبة إلى الكاغذ والقرطاس[١٣] كما كان يطلق على المشتغلين بالنسخ والكتابة - بالإضافة لما سبق - مجموعة أخرى من المسميات أو المصطلحات التي تؤكد صلة هؤلاء بعملية النسخ والكتابة[١٤].

ومع مرور الزمن توسع مفهوم الوراقة فأصبح يحوي كل ما يتعلق أو يتصل بصناعة الكتاب[١٥] ، فكان الوراقون بمثابة ناشرين للكتب يقومون بنسخها وتجليدها وتصحيحها وبيعها[١٦]. وهذا ما أكده ابن خلدون عندما قال[١٧] : ".. فكثرت التآليف العلمية والدواوين ، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأمصار ، فانتسخت وجلدت ، وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصليح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين ، واختصت بالأمصار عظيمة العمران " .

وقد بيّن كوركيس عواد[١٨] -استناداً إلى ما جاء من تعريفات للوراقة والوراقين ، وعطفاً على ما تبيّن من أقوال العديد من المؤرخين الذين ألمحوا إلى هذه المهنة أو ذكروا محترفيها - أن الوراقة بمفهومها العام تقوم في العصور الإسلامية على أربعة أمور هي :

الأول: النسخ، وما يتبعه من تزويق وتصوير وتذهيب.

الثاني : بيع الورق وأدوات الكتابة .

الثالث : تجليد الكتب[١٩] .

الرابع : بيع الكتب .

أما عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان فقال[٢٠]: "الوراقة بمفهومها البسيط بيع الورق وأدوات الكتابة ، أو الكتب ، أو نسخها ، أو تجليدها ، أو تذهيبها ، عملاً باليد، أو صنعاً بالآلة في صورتها الأولية ، أو ابتكاراتها المطورة الإلكترونية المعقدة الحديثة " .

ويبدو أن ازدهار الوراقة وظهور طبقة الوراقين وكثرتهم في المجتمع الإسلامي إنما جاء نتيجة حتمية لحركة التأليف النشطة التي أثْرَت التراث العربي الإسلامي، بعد أن بدأت صناعة الورق في حاضرة الخلافة الإسلامية خلال النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، وانتشرت فيما بعد في كثير من الأمصار ، وظهرت مجالس الإملاء واتسعت دائرتها وزاد اهتمام العلماء والطلاب بإقامتها وتنميتها[٢١].

ويتطلب لعمل الوراقة - بالإضافة للورق - توفر مجموعة من الأدوات الضرورية الأخرى التي تساعد الناسخ على أداء عمله كالقلم وأداة البري والحبر ، فضلاً عن مجموعة أخرى من الأدوات والتجهيزات المساندة التي تعين الناسخ على إتقان عمله بشكل أكثر دقة وجمالاً ، ولكنها لا تقف حائلاً دون إتمام عملية النسخ[٢٢].

من جانب آخر فقد حتم شرف مهنة الوراقة وأهميتها وارتباطها بالدين والعلم ضرورة التزام العاملين فيها ببعض الأخلاقيات والصفات الحميدة ؛ كالدين والورع والزهد والعفة والسماحة ، فضلاً عن الدقة والضبط [٢٣].

الوراقة والوراقون في مكة قبل العصر المملوكي :

لعل من الطبيعي أن تصاحب التحركات العلمية النشطة والمختلفة التي شهدتها مكة إبان القرون الهجرية الثلاثة الأولى[٢٤] عناية بالوراقة في ظل الحاجة لخدمات الوراقين، والذين يرتبط عملهم - كما هو معروف - ارتباطاً وثيقاً بالحركة العلمية، بل ويُعد من أبرز عوامل تطورها وازدهارها.

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى انتشار الوراقة والوراقين في مكة بشكل واسع آنذاك حيث أشار كل من الأزرقي[٢٥] والفاكهي[٢٦] إلى وجود دار خاصة بالوراقين في مكة . كما انتشرت المكتبات الخاصة - والتي تعتمد بطبيعة الحال في تزويدها على نتاج عمل الوراقة - عند عدد من العلماء في مكة ، فكان لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨هـ) مكتبة خاصة تحوي مجموعة من الكتب القيمة[٢٧]. كما أفرد الإمام مجاهد بن جبر (ت ١٠٣هـ) غرفة في منزله خصصها لكتب العلم ، وسمح

للطلاب بالاستفادة منها ، ونسخ ما يرغبون من محتوياتها[٢٨]. وكان لعبد الحكم بن عمرو الجمحي مكتبة في منزله ، ضمت الكثير من الكتب العلمية المختلفة ، وفتح المجال لطلبة العلم في مكة للاستفادة من مقتنياتها[٢٩].

من جانب آخر فقد عُرف في مكة خلال القرن الثالث الهجري عدد من الوراقين الذين عُنوا بالتوريق لبعض العلماء المكيين ، ومن هؤلاء – على سبيل المثال – محمد بن إدريس بن عمر المكي (ت ٢٦٧هـ) الذي كان وراقاً للإمام عبد الله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٩هـ)[٣٠].

ولا شك أن لدخول صناعة الورق (الكاغد) لمكة عن طريق يوسف بن عمرو المكي الذي اتخذ من القطن ورقاً في حدود سنة ٨٨هـ[٣١] أثراً في تسهيل مهمة الوراقين وتزايد نشاطهم في مكة آنذاك، فضلاً عن تشجيع المؤلفين على تدوين مصنفاتهم على الورق بدلاً من المواد الأخرى التي كانوا يستعملونها قبل ظهور الورق[٣٢]، كعبد الملك بن جريج (ت ١٥٠هـ) – مثلاً – الذي أعاد كتابة مصنفاته على الورق، بعد أن كان قد كتبها قبل ذلك على ورق العُشر[٣٣].

ومما ساعد على انتشار الوراقين في مكة وتزايد جهودهم ظهور التصنيف في مختلف العلوم ، سيما وأن مكة قد حازت قصب السبق بين البلدان الإسلامية في مجال التصنيف في العلوم الشرعية ، بعد أن صنف عبد الملك بن جريج بعض المؤلفات القيمة[٣٤] ، ثم تبعه في هذا المجال عدد من العلماء المكيين المشهورين ؛ كسفيان ابن عيينة (ت ١٩٨هـ)[٣٥]، وعبد الله بن الزبير الحميدي[٣٦]، وسعيد بن منصور الخراساني (ت ٢٢٧هـ) صاحب كتاب السنن المشهور[٣٧]، وغيرهم . وقد منح ظهور هذه المصنفات، ومن ثم إقبال الناس على دراستها واقتنائها فرصة سانحة للوراقين ، فقاموا بنسخها وتسويقها .

بيد أن عقد مجالس للإملاء[٣٨] لكثير من العلماء ، سواء منهم المكيون أو النزلاء والمجاورون أو الوافدون إلى مكة ، في المسجد الحرام وغيره[٣٩]، قد منح الوراقين فيها المزيد من الفرص لممارسة عملهم ، بعد أن يسرت لهم هذه المجالس نسخ عدد كبير من الكتب العلمية المشهورة ، لتغطية الطلب المتزايد عليها من الطلاب لاقتنائها أو الحصول على إجازة بروايتها من ممليها أو مصنفها[٤٠] .

ولا يساورنا الشك في أن أعمال الوراقة وجهود الوراقين في مكة قد استمرت في تأدية عملها فيما بعد ، وذلك في ظل ازدهار الوراقة وتطورها في عدد من البلدان الإسلامية ، وانتشار أسواق الوراقين في كثير من المدن . وهذا ما أكدته بعض المصادر التي ألمحت إلى وجود عدد من الوراقين الذين اهتموا بنسخ الكتب في مكة آنذاك[٤١]. من جانب آخر فقد أشارت المصادر إلى استمرار تداول الكتب في مكة وتوفرها في بعض الأماكن العامة كالمسجد الحرام وبعض مكتبات المدارس والأربطة التي أنشئت في مكة قبل العصر المملوكي[٤٢]. فضلاً عن التأكيد على وجود بعض المكتبات الخاصة لدى عدد من المهتمين بجمع الكتب واقتنائها في مكة[٤٣]. ورغم ذلك فإنه ينبغي أن ندرك أن حالة ركود قد طرأت على الحياة العلمية في مكة منذ القرن الرابع الهجري عندما كثرت المشاكل السياسية وتفاقمت الفتن وانعدم الأمن في مكة حقبة من الزمن[٤٤]، مما أثر – بطبيعة الحال -- على الوراقة ، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة العلمية[٤٥]. كما تُعد – في الوقت نفسه – مؤشراً من مؤشرات التقدم ، ومعياراً يقاس به تقدم الحضارة ورقي الأمة[٤٦].

مظاهر انتشار الوراقين في مكة :

أولاً : كثرة الوراقين :

لقد واكب التحركات العلمية النشطة والمتنوعة التي شهدتها مكة إبان العصر المملوكي حضور قوي وفاعل للوراقة والوراقين فيها ، بعد أن ازدادت أنشطتهم ، وتكاثرت أعدادهم بشكل ملحوظ خلال هذا العصر عما هو

عليه في العصور السابقة ، وقد شاركت في هذا الحضور المتميز شريحة كبيرة من المثقفين والمهتمين بالعلم ممن تحفل المصادر المعنية بذكرهم ، سواء كانوا من المكيين ، أو النزلاء الذين قطنوا مكة ، أو المجاورين الذين آثروا البقاء فترة من الزمن في أقدس البقاع .

وعندما نسلط الضوء على سير هؤلاء الوراقين بمختلف أصولهم وأجناسهم المذكورة ونستقصي جهودهم في مجال الوراقة في مكة نلحظ انقسامهم من حيث طبيعة عملهم إلى عدة أصناف ؛ من هؤلاء - كما سنرى - من اعتنى بالتوريق لنفسه رغبة في جمع أكبر قدر ممكن من الكتب والمصنفات العلمية القيمة ، وهؤلاء في أغلبهم من العلماء وطلاب العلم الذين حرصوا على الظفر بالكتب المهمة واقتنائها . ومن هذا الصنف من جمع بين التوريق لنفسه ولآخرين غيره أيضاً ، وذلك إما رغبة في كسب الثواب الأخروي عن طريق الإهداء أو الوقف ، أو بغرض البيع . أما الفئة الثالثة فقد جعلت من هذا العمل حرفة تمارسها لطلب الرزق .

ورغم أن أكثر المشتغلين بالوراقة في مكة كانوا من فئة النساخين ، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود من قام بأمور الوراقة الأخرى كالبيع والشراء ، أو التجليد والتذهيب . وفي هذا الصدد سوف نوضح ذلك بشيء من التفصيل مدى انتشار الوراقين في مكة إبان العصر المملوكي ، متخذين من تركيبتهم الاجتماعية سبيلاً لإيضاح كثرتهم وجهودهم في هذا المجال .

١ - الوراقون المكيون :

مارس الوراقة خلال العصر المملوكي عدد لا بأس به من أبناء مكة ، فأسهموا بنصيب وافر في إثراء الحياة العلمية فيها ، بعد أن كرسوا جهودهم في سبيل خدمة الكتب والمصنفات العلمية ، وتصدوا لعملية نشرها وتداولها في مكة بأساليب وطرق مختلفة .

وتُعد أسرة بني فهد ، ذات الشهرة العلمية الذائعة ، من أبرز الأسر التي اتجه أبناؤها للوراقة في مكة إبان العصر المملوكي ، بعد أن اقتضت اهتماماتهم العلمية المتنوعة توجيه جزء من جهودهم لنسخ الكتب والحرص على نشرها أو اقتنائها . وكان من أبرز من عمل من هذه الأسرة في هذا المجال ؛ محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد (ت ٨٢٦هـ) وهو ممن كتب بخطه جملة من الكتب والفوائد ، رغم أنه توفي ولم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره[٤٧]. ويحيى بن عبد الرحمن ابن أبي الخير بن فهد (ت ٨٤٣هـ) وكان مشهوراً بكثرة نسخ الكتب العلمية له ولغيره من الراغبين فيها[٤٨]. ومحمد ابن محمد بن محمد بن محمد بن فهد (ت ٨٧١هـ) الذي شارك في فنون علمية مختلفة ، وعني بجمع الكتب ، وفي سبيل ذلك كتب بخطه الكثير من المصنفات العلمية [٤٩]. وعبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن محمد بن فهد (ت ٨٧٣هـ) وكان قد نسخ الكثير من الكتب بخطه ، سيما أثناء رحلاته العلمية لبعض الأمصار الإسلامية [٥٠]. ونجم الدين عمر بن محمد بن محمد بن فهد (ت ٨٨٥هـ) الذي أشار إلى أنه نسخ بخطه العديد من الكتب والأجزاء [٥١]. وأبو بكر أحمد بن محمد بن محمد بن فهد (ت ٨٩٠هـ) وكان ممن تفرغ للوراقة، وكتب بخطه الحسن خلال ذلك ما يفوق الوصف من أمهات الكتب[٥٢] . وعبد العزيز بن عمر ابن محمد بن محمد بن فهد (ت ٩٢٢هـ) الذي عُني بنسخ مجموعة كبيرة من الكتب والأجزاء العلمية بخطه المجوّد[٥٣].

من جانب آخر فقد حفّز عدد من بني ظهيرة - إحدى الأسر المكية المعروفة في ذلك الوقت - قواهم ليشاركوا في أعمال الوراقة من خلال القيام بنسخ الكتب ونشرها في مكة ، وقد اشتهر منهم في هذا المضمار محمد بن عبد الله بن ظهيرة (ت ٨١٧هـ) الذي أكثر من نسخ الكتب بخطه المتميز بالحسن والدقة[٥٤]. ومحمد بن أحمد بن محمد بن ظهيرة (ت ٨٩٣هـ) وهو ممن كتب

بخطه الكثير من الكتب[٥٥]. ومحمد بن عبد الكريم بن محمد بن ظهيرة (ت ٩٠٧هـ) وكان ممن عُني بنسخ مؤلفات الإمام السخاوي وغيرها[٥٦].

ولم تقتصر مشاركة المكيين في أعمال الوراقة المختلفة على أسرتي بني فهد وبني ظهيرة ، وإنما ساد الاهتمام بالوراقة عند شريحة واسعة من أبناء مكة ، منهم محمد بن علي بن محمد القسطلاني (ت ٧٥٧هـ) وكان من الوراقين المشهورين بكثرة النسخ[٥٧]. ومحمد بن عمر بن علي المكي المعروف بالسحولي (ت ٨٠٧هـ) وهو أحد الفقهاء والمحدثين المكيين المتميزين، وله خط جيدٌ عُرف به[٥٨]. ومحمد بن عبد الله بن أحمد التونسي المكي المعروف بابن المَرْجاني (ت ٨١٠هـ) وكان من المشتغلين بعلوم الفقه والعربية ، وله خط جيد كتب به أشياء كثيرة[٥٩]. وعلي بن محمد بن أبي بكر الشيبي العبدري (ت ٨١٥هـ) وكان ممن "اشتغل بالعلم في فنون ، وكتب بخطه كتباً كثيرة ، في الفقه والأدب وغير ذلك"[٦٠]. ومحمد بن موسى بن علي بن عبد الصمد المراكشي المكي (ت ٨٢٣هـ) الذي قال عنه تقي الدين ابن فهد[٦١]: "له الخط الحسن المتقن ، قل أن يوجد فيه سقطة أو لحنة ، كتب به الكثير لنفسه ولغيره" . ومحمد ابن عبد الرحمن بن محمد الفاسي (ت ٨٢٤هـ) الفقيه الذي قال عنه الفاسي[٦٢]: " وكتب بخطه – ولا بأس به – عدة كثيرة من المؤلفات ، وبعضها مجلدات" . وتقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي (ت ٨٣٢هـ) وهو ممن كتب الكثير لنفسه[٦٣]. وعبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر الأنصاري (ت ٨٣٤هـ) وكان ممن درّس في المسجد الحرام وبعض المدارس بمكة ، وكتب بخطه الكثير من كتب العلم[٦٤]. وكذلك ابنه محمد قاضي مكة (ت ٨٣٧هـ) وكان ممن عُني بكثير من العلوم ، وقد كتب بخطه الكثير من الكتب المتخصصة في مجال الأدب الذي مهر فيه[٦٥]. وقاضي القضاة الإمام بهاء الدين محمد بن أحمد بن الضياء المكي الصاغاني (٨٥٤هـ) وهو ممن كتب لنفسه بخطه الحسن الكثير من كتب العلم[٦٦]. وعلي بن محمد بن محمد بن عبد الله الأسفاقسي المعروف بابن الصباغ (ت ٨٥٥هـ) ، وكان ممن عرف بجودة الخط[٦٧]. والإمام رضي الدين أبو حامد محمد بن أحمد بن الضياء المكي (ت ٨٥٨هـ) الذي سعى للحصول على مجموعة كبيرة من الكتب بخطه[٦٨]. وأخوه الإمام المصنف بهاء الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء المكي (ت ٨٥٩هـ) الذي جمع بخطه الحسن العديد من نفائس الكتب[٦٩]. ومحمد ابن علي بن غزوان الهاشمي (ت ٨٥٩هـ) والذي كتب لنفسه كثيراً من الكتب المهمة[٧٠]. ومحمد بن حسن بن إلياس الرومي المكي (ت ٨٦٠هـ) الذي ساعده خطه الجيد في نسخ كتب كثيرة[٧١]. وإبراهيم بن محمد بن محمد النويري الذي تعانى الوراقة بنسخ عدد من الكتب والمصنفات المختلفة[٧٢].

ومن الوراقين المكيين – أيضاً – محمد بن عبد اللطيف بن محمد الفاسي الذي عمل على نسخ بعض مصنفات السخاوي في مكة[٧٣]. ومحمد بن عبد الله بن أحمد المقرئ الحجازي (ت ٨٩١هـ) وكان ممن شُهر بالإكثار من النسخ[٧٤] . ويحيى بن محمد بن محمد بن إبراهيم المرشدي (ت ٨٩٢هـ) الذي جمع بين قراءة الكتب وفي الوقت ذاته نسخها لنفسه[٧٥]. وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر الذروي المكي المعروف بابن الجمال المصري ، وكان ممن كتب الكثير من المصنفات المهمة[٧٦]. ومحمد بن عمر بن محمد بن أبي بكر المرشدي ، الذي خصه بعض العلماء بالتوريق لهم نظراً لجودة خطه واهتمامه بإتقانه وضبطه [٧٧]. وأبو بكر بن سليمان بن علي السلمي المعروف بالشلح وكان ممن لازم السخاوي وكتب تصانيفه فضلاً عن تصانيف علماء آخرين غيره[٧٨]. ومثله أبو السعود بن يونس بن رجب الزبيري المكي الذي عُني أيضاً بنسخ

مؤلفات السخاوي وغيرها[٧٩]. ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الفيومي المكي وكان ممن طلب العلم في مكة، ورحل إلى عدة أمصار، ونسخ خلال ذلك بخطه مجموعة من الكتب القيمة[٨٠].

وإلى جانب أولئك النسّاخ الذين ركزوا على الوراقة لأنفسهم وجدت جماعة أخرى من النساخ المكيين تعانت هذا العمل رغبة في كسب الرزق وتحصيل لقمة العيش، بعد أن يدفعوا ما ينسخون من الكتب إلى الأسواق لبيعها، وممن صرحت المصادر باحترافه هذا العمل - على سبيل المثال - عبد السلام بن موسى بن أبي بكر الشيرازي المعروف بالزمزمي (ت ٨٤٦هـ)[٨١]، وعلي بن أيوب بن إبراهيم البرماوي المعروف بابن شيخة (ت٨٧٨هـ)[٨٢]. وأبو بكر بن أبي الفضل بن أبي البركات القسطلاني (ت ٨٩٥هـ)[٨٣]، وأبو السعود بن علي بن أحمد بن الجمال المصري[٨٤]. وأحمد بن الحسين بن محمد المكي المعروف بابن العليف (ت ٩٢٦هـ)[٨٥]. وعلي بن أحمد بن علي الكلاعي المكي الشهير بابن المقري (ت ٩٠٠هـ)[٨٦]. ومرشد بن محمد بن محمد بن ناصر الدين الحسني المعروف بابن المصري[٨٧]. وعبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن المعروف بابن الزكي[٨٨].

بيد أن هناك من المكيين من تصدى لأعمال الوراقة الأخرى، فاشتغل عدد منهم بتجليد الكتب وتذهيبها، منهم سالم بن محمد بن محمد بن سالم القرشي(ت ٨٧٦هـ)، وكان ممن تكسب بصناعة التجليد، واستوطن القاهرة في آخر حياته[٨٩]. ويحيى بن عمر بن محمد بن محمد بن فهد، قال عنه عز الدين بن فهد[٩٠]: " وتعلم التجليد فأصلح كثيراً من كتبنا ". وكذلك محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الريمي المكي، الذي وصفه السخاوي بقوله[٩١]: "وله ذوق، وبعض خبرة بالتجليد ونحوه". كما مارس آخرون التجارة بتسويق الكتب في مكة[٩٢].

٢ - الوراقون النزلاء :

شارك نزلاء مكة الذين استوطنوها خلال العصر المملوكي مشاركة فاعلة في مجالات الوراقة المختلفة بعد أن هيأت لهم مناشط الحياة العلمية المتنوعة آنذاك المجال الواسع للقيام بدور نشط ومكثف، سيما في مجال نسخ الكتب. وقد كشفت مجموعة من المصادر المتاحة الستار عن جهود هؤلاء النزلاء في هذا الجانب، مؤكدة في الوقت نفسه عظم حجم هذه المشاركة التي تعد مظهراً بارزاً في الحياة العلمية إبان العصر المملوكي في مكة.

وكان من النزلاء النسّاخ في مكة آنذاك - على سبيل المثال - ناصر الدين الهندي (ت قبل ٧٧٠هـ) وكان ممن " ينسخ ويكتب بخطه كثيراً، وهو من مشايخ العلم والحديث " [٩٣]. وأحمد بن محمد بن عبد المعطي بن طِراد الأنصاري الخزرجي (ت ٧٨٨هـ) وهو ممن كتب بخطه كثيراً من كتب العلم[٩٤]. ومحمود بن جمال الدين أبي طاهر الهروي (ت ٧٩٦هـ) وكان ممن نسخ بمكة الكثير من الكتب الفقهية والحديثية[٩٥]. ومحمد بن محمد بن محمد ابن محمد بن أبي بكر الدمراجي الهندي الدِّلوي (ت بعد ٧٩٠هـ) الذي قال عنه الفاسي[٩٦]: " وكان كتب بخطه كثيراً من كتب العلم ". ومحمد بن محمد بن عمر الهندي الكابلي (توفي في أواخر القرن الثامن الهجري) الذي كتب بخطه كثيراً من كتب العلم المفيدة[٩٧]. ومحمد بن علي بن ضرغام المصري المعروف بابن سكر (ت ٨٠١هـ) وهو ممن أكثر نسخ الكتب في علوم مختلفة، إلا أن نسخه يغلب عليه الوهم[٩٨]. وأحمد بن علي بن إسماعيل البهنسي (ت ٨١١هـ) وكان سريع الكتابة، ونسخ بخطه جملة من الكتب[٩٩]. وعيسى بن أحمد بن عيسى الهاشمي العجلوني (ت ٨١٣هـ) وهو ممن استوطن مكة حتى وفاته، وكان بارعاً في الكتابة مجوداً لها، وبخطه نسخ كتباً كثيرة، سيما من كتب الحديث النبوي[١٠٠]. ومحمد بن إسماعيل بن يوسف

ابن عثمان الحلبي (ت ٨١٤هـ) وكان من النسّاخ المبرزين والمكثرين من الكتابة، والمجوّدين لها[١٠١]. وأحمد بن محمد ابن عماد الدمنهوري (ت ٨١٦هـ) الذي رغب في تحصيل بعض الكتب فنسخها بنفسه[١٠٢]. وخليل بن هارون بن مهدي الجزائري (ت ٨٢٦هـ) الذي عُني بتوريق أحد مصنفاته[١٠٣]. ومحمد بن البهاء بن عبد المؤمن الدكالي الشهير بابن البهاء (ت ٨٢٧هـ) وكان ممن " اشتغل بمكة والقاهرة ، وكتب بخطه كثيراً "[١٠٤] . وإسماعيل بن محمد الأمين المليكي اليمني (عاش في القرن التاسع الهجري) الذي أشار ابن فهد لاهتمامه بالنسخ فقال[١٠٥]: " واشتغل وحصل وكتب بخطه مجاميع مفيدة عندي بعضها " . وحسن ابن علي بن أبي بكر السبكي الشهير بالكوم الريشي (ت ٨٥١هـ) وكان ممن عُرف بجودة النسخ وكثرته[١٠٦]. وأحمد بن علي بن عمر الكلاعي اليمني (ت ٨٦٣هـ) وهو إمام فقيه مقرئ ، درّس بمكة ، وكان ممن كتب كثيراً لنفسه ولغيره[١٠٧]. وعمر بن محمد بن عبد الوهاب السراج اليافعي (ت ٨٦٤هـ) وهو من النسّاخ البارعين[١٠٨]. وأبو بكر بن علي بن أبي بكر القاهري المعروف بابن الفاوي (ت ٨٩١هـ) وكان ممن تعانى نسخ بعض الكتب المهمة لنفسه[١٠٩]. وحسين بن حسن بن حسين الغازي الشيرازي الشهير بالفتحي (ت ٨٩٥هـ) الذي قطن مكة في بداية حياته ، ومنها ورحل إلى عدد من الأمصار الإسلامية طلباً للعلم ، وبخطه الجميل حصل على أشياء مهمة من كتب العلم[١١٠]. وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الهرموزي الذي استقر في مكة بعد سنة ٨٧٠هـ وفيها درّس الفقه واللغة العربية ، وعُني بنسخ بعض كتب الحديث النبوي ومجموعة من مصنفات السخاوي لنفسه ولغيره[١١١]. وعلي بن أحمد بن علي الشيرازي المعروف براحات ، والذي استغل جودة خطه في نسخ بعض الكتب المهمة[١١٢]. وعلي بن محمد بن حسن البهمي الصعدي اليمني وهو ممن عمل وراقاً للسخاوي في مكة [١١٣]. وعلي بن نور الله بن عبد الله الزين المدعو ملا علي البخاري ، والذي استوطن مكة منذ سنة ٨٧٦هـ ، واستغل وجوده فيها بنسخ بعض مصنفات السخاوي [١١٤] . ومحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الزعيفريني المدني الذي نزح إلى مكة صغيراً وقطنها سنة ٨٦٣هـ ، وقد ورّق خلال ذلك مجموعة من أمهات الكتب لنفسه[١١٥]. وأبو بكر ابن محمد بن إبراهيم العسقلاني الخانكي المعروف بابن أبي البركات (ت ٨٨٨هـ) الذي عُرف بشدة حرصه على نسخ كتب السخاوي[١١٦].

وممن أكثر الحج والمجاورة ، ثم استقر آخر حياته في مكة أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج العامري الغزي (ت ٨٢٢هـ) وكان ممن أكثر من ملازمة النسخ والكتابة طوال حياته بخطه[١١٧]. وعلي بن إبراهيم بن علي بن راشد الإبي اليمني (ت ٨٥٩هـ) الفقيه العلامة والأديب البارع الذي سكن مكة قبل وفاته بتسع عشرة سنة ، وكان قد " كتب بخطه الحسن الكثير له ولغيره ، وكتب ربعة شريفة ثلاثين جزءاً ببرية واحدة ، وجمع مجاميع حسنة وفوائد مهمة "[١١٨]. وكذلك مولاه مفتاح الحبشي الذي تعمد الإبي تربيته وتعليمه في مكة الكتابة التي أهلته لنسخ العديد من الكتب[١١٩]. والقاضي عبد الوهاب بن عمر بن الحسين بن أحمد الدمشقي (ت ٨٧٥هـ) وهو من المشهورين بجمع الكتب ، وفي سبيل ذلك نسخ أشياء كثيرة من الكتب والمصنفات المنتشرة آنذاك[١٢٠]. وعلي بن محمد بن محمد بن علي التميمي الجيزي المعروف بابن الجريش (ت ٨٨٠هـ) والذي عُني بجمع الكتب شراءً وانتساخاً[١٢١]. وإبراهيم بن أحمد بن عثمان الدمشقي القاهري المعروف بابن عثمان (ت ٨٨٤هـ) وكان ممن سكن مكة في آخر عمره ، وكتب بخطه المجوّد عدة مصاحف في مكة [١٢٢]. وأحمد بن محمد بن عبد الكريم الخولاني ، وكان ممن قطن مكة في

آخر القرن التاسع الهجري ، وفيها لازم السخاوي ، وكتب مصنفاته[١٢٣]. وعبد الله بن أحمد بن محمد بن عمر الحضرمي المعروف بابن كثير ، والذي قال عنه السخاوي[١٢٤]: "وكتب بخطه عدة نسخ من القول البديع ... وهو الآن من نبهاء فضلائها (مكة) نسخ بخطه الكثير " . وعبد الله بن أحمد بن محمد الحسيني الإيجي الذي استوطن مكة وسمع الكثير من علمائها والمجاورين فيها ، كما نسخ بخطه المجود والمضبوط مجموعة من الكتب المهمة[١٢٥]. وأبو بكر بن محمد بن أحمد الصالحي الدمشقي الناسخ المعروف بابن الرفا (ت ٨٨٩هـ) الذي أشار السخاوي إلى عنايته بالنسخ فقال[١٢٦]: " قطن مكة وقتاً ، وناب في مقام الحنفية بها ، وكتب هناك الكثير ، ومن ذلك البخاري ومسلم في مجلد ، ولازمني في سماع الكثير ، وخطه جيد " . وعبد المعطي بن خصيب بن زائد المحمدي التونسي ، وهو ممن عُني بجمع الكتب بخطه وبخط غيره سيما منها مؤلفات السخاوي[١٢٧]. ومحمد بن عبد الوهاب بن يعقوب المغربي المدني ، وكان ممن استقر بمكة ، ووجه عنايته بالأدب حيث كتب بخطه الجيد مجموعة من الكتب والقصائد[١٢٨]. وأبو القسم بن علي بن محمد السبتي الوادي آشي الأندلسي الذي استقر في مكة آخر حياته ، وفيها نسخ بنفسه بعض مصنفات السخاوي[١٢٩].

وممن نزل مكة آخر حياته من الوراقين أيضاً عبد العزيز ابن أحمد العز المعروف بابن سليم المحلي (ت ٨١٤هـ) قد نزل مكة آخر عمره حتى مات بها ، وكان قد " .. توجه إلى مكة مجاوراً بها أزيد من سنتين متواليتين . ثم توفي بها ... ولديه فضيلة ومعرفة بالوراقة "[١٣٠]. وأبو بكر ابن إسماعيل بن عمر الطرابلسي (ت قبل ٨٦٠هـ) وكان قد نزل القاهرة ثم استوطن مكة حتى مات ، وقد كتب بخطه الجيد المتقن أشياء حسنة[١٣١]. وكذلك علي بن محمد ابن محمد بن أحمد القرشي السكندري (ت ٨٦٢هـ) حيث جاور أكثر من مرة ، ومات في مجاورته الأخيرة ، وكان ممن تصدى لنفع الطلبة ونسخ بخطه بعض الكتب[١٣٢]. ومحمد بن حسن بن حمزة بن يوسف الحلبي (٨٦٢هـ) وقد تميز بحسن الخط والانتقاء[١٣٣]. وأبو السعود محمد ابن حسن البزاوي الصحراوي (ت ٨٨٦هـ) وكان ممن "كتب الخط الجيد ونسخ به كتباً"[١٣٤].

ومن هؤلاء النزلاء من جعل من العمل في النساخة مصدراً للرزق يقتات منه ، وقد أشارت المصادر إلى عدد من النزلاء الذين اعتمدوا - بعد الله سبحانه - على التكسب من النساخة ، ومنهم - على سبيل المثال - إبراهيم بن محمد بن حسين القاهري المعروف بالموصلي (ت ٨١٥هـ) وكان "له إلمام بالعلم، وخط جيد، كتب به كتباً حسنة"[١٣٥]، وقد أقام بمكة أكثر من ثلاثين سنة يتكسب بالنساخة[١٣٦]. وأحمد بن محمد البرنقي الدمشقي (ت ٨٢١هـ) الذي نزل مكة قبل وفاته بنحو ثلاثين سنة ، وبقي فيها قانعاً بالعيش من النساخة حتى مات[١٣٧]. ومحمد بن إسحاق الخوارزمي (ت ٨٢٧هـ) وكان كثير الكتابة ، كما كان يرسم صفة الكعبة والمسجد الحرام في أوراق ويهادي بها الناس في الهند وغيرها ، وكان ممن يسافر للهند طلباً للرزق[١٣٨]. وعبد الهادي بن محمد بن أحمد الأزهري المدني (ت ٨٥٢هـ) الذي قدم مكة سنة ٨٠٨هـ وبقي فيها على خير وسكون ، ويتكسب من النساخة حتى مات[١٣٩]. وأبو القاسم بن علي بن محمد بن زبيدة اليمني (ت ٨٥٨هـ) وكان ممن ثوى في مكة واشتغل بنسخ الكتب بالأجرة[١٤٠]. ومحمود بن محمد بن إسماعيل القلهاتي (ت ٨٨٧هـ) الذي قال عنه السخاوي[١٤١]: " قطن مكة ، وذكر بالفضيلة وحسن الخط، ممن يكتب بالأجرة .." . وأحمد بن أبي بكر ابن أحمد بن موسى الأشعري اليماني ، والذي لم يغنه تكسبه من النساخة من الفاقة التي عاش فيها[١٤٢]. وطاهر ابن محمد ابن محمد الهروي الذي قطن مكة بعد سنة

٨٩٠هـ ، وأقبل على الارتزاق من النساخة[١٤٣]. ومحمد بن عبد الله الشمس الصعيدي (ت ٨٩١هـ) الذي ألمح السخاوي لتكسبه من النساخة عندما قال[١٤٤]: " وجود الخط وكتب به جملة ، ورأيت منها الشفا نسخة هائلة ، وربما كتب للناس" . وعبد السلام بن عبد الوهاب بن محمد الزرندي المدني الذي استوطن مكة من سنة ٨٧١هـ ، وكان يعرض ما ينسخه على الواردين إليها[١٤٥]. وعلي بن عمران بن أبي موسى الذيبي الذي سكن مكة ونسخ بخطه أشياء كثيرة مستعيناً بها لسد مزيد فاقته[١٤٦] . وفتح الله بن عبد الله بن نصر الله الهرموزي وهو ممن سمع من السخاوي في مكة وتكسب بالنساخة[١٤٧]. ومحمد بن أحمد بن محمد الجيزي الناسخ الذي لازم النساخة وتكسب ببيع وشراء الكتب[١٤٨]. ومحمد بن محمد بن أحمد ابن عبد العزيز الخنجي الشيرازي ، وكان نزوله مكة بعد سنة ٨٨٠هـ ، وقد قال عنه السخاوي[١٤٩]: " وكتب بعض تصانيفي ... وهو مع فضيلته فقير قانع سالك متجرد حسن الخط وربما تكسب بذلك" . ومحمد بن محمد بن حسين البكري المغربي ويعرف بابن أبي حامد وكان ممن تكسب بنسخ بعض الكتب والشروحات العلمية في مكة[١٥٠]. ويحيى بن حسن بن عكاشة الربعي الغزنوي الذي نزل مكة سنة ٨٥١هـ ، وكتب فيها بخطه المجوّد بعض كتب التفسير والحديث التي انتفع ببيعها[١٥١].

ومن نزلاء مكة من عني بالتجليد ، ومنهم محمد بن عمر بن محمد التميمي التونسي المعروف بابن عزم (ت ٨٩١هـ) الذي عمل في مجال بيع الكتب وتجليدها[١٥٢]. ومفتاح الحبشي مولى الموفق الإبي والذي تعلم صنعة التجليد وتكسب بها[١٥٣].

والجدير بالذكر أن هناك من النزلاء من مارس مهنة الوراقة من خلال التخصص في بيع الكتب وشرائها في مكة ، فأسهموا بذلك في تطور الوراقة فيها من خلال تحريك شراء الكتب وبيعها وتسويق منتجات النساخ منها. وسوف نتحدث عن هؤلاء ونشاطهم فيما بعد ، وذلك عند الحديث عن حركة بيع الكتب في مكة .

٣ - الوراقون المجاورون :

لقد هيأت الأوضاع الأمنية والاقتصادية التي سادت مكة إبان العصر المملوكي ، سيما خلال عصر المماليك الجراكسة ، نوعاً من الاستقرار والرخاء الذي شجع كثيراً من أبناء الأمة الإسلامية على المجاورة في مكة فترة من الزمن . ولذا فقد تقاطرت إلى مكة آنذاك جماعات متعددة الأجناس ومختلفة المشارب ، وكان معظمهم من العلماء وطلاب العلم ، فاختلط هؤلاء بالعلماء والطلاب المكيين والنزلاء مما ولّد الكثير من الفرص العلمية المتنوعة لكل الأطراف . وكان من بين هؤلاء المجاورين أعداد وافرة ممن لهم معرفة بالوراقة وخبرة واسعة فيها ، وقد تفاعلت معرفتهم وخبرتهم بالوراقة مع اهتمامات المكيين والنزلاء في هذا المجال ، بعد أن تعايشوا سوياً في مكة ، وقد أسهمت جهودهم - بلا شك - في تطور كمي ونوعي لعمل الوراقة في مكة آنذاك .

وعند إمعان النظر في المصادر التي تناولت حياة هؤلاء المجاورين الوراقين يتضح لنا كثرتهم بشكل ملحوظ خلال القرن التاسع الهجري عما هو عليه في القرون السابقة ، كما تبين تعدد أمصارهم التي قدموا منها ، وقد جاءت أغلبية هؤلاء من مصر ثم الشام فاليمن . ويبدو أن صلات هذه الأقطار القوية بالحجاز ، فضلاً عن التحركات العلمية النشطة فيها ، قد لعبت دوراً مؤثراً في تكاثر الوراقين القادمين من هذه الأمصار للمجاورة في مكة .

ورغم إيماننا بأن غالبية القادمين من الوراقين للمجاورة في مكة قد شاركوا - بطريق أو بآخر - بجهود وراقية مختلفة ، تقل وتزداد حسب رغبة الشخص ، وفترة بقائه في مكة ، إلا أننا - ورغبة في عدم الإطالة - سننشير

فيما يأتي إلى من نصّت المصادر المتاحة على مشاركته في أي عمل وراقي ، سواء كان له أو لغيره من الناس . ومن هؤلاء على سبيل المثال ؛ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت ٨٤٥هـ) المؤرخ المشهور، ويُعد من أبرز العلماء المجاورين خلال العصر المملوكي ، وقد كتب بخطه الكثير ، خصوصاً في مكة ، حيث كان يحب أن ينسخ الكتب فيها للتبرك بذلك[١٥٤]. وعلي بن أحمد بن إبراهيم ابن السدّار (ت بعد ٨٥٠هـ) الذي قال السخاوي عنه[١٥٥]: "وكتب بخطه الحسن الكثير خصوصاً حين مجاورته بمكة". وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر الحيشي البسطامي الذي جاور خلال سنة ٨٨٦هـ وسنة ٨٨٧هـ ولقي في هذه المجاورة السخاوي ، وكتب عنه جملة من مصنفاته[١٥٦]. وعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن علي المصري المعروف بابن القطان (ت ٨٩١هـ) وكان ممن حج وجاور في مكة ، ونسخ خلال ذلك بعض مصنفات السخاوي[١٥٧]. وعلي بن يس بن محمد الدارني الطرابلسي ، وكان ممن كتب مصنفات السخاوي - أيضاً - أثناء مجاورته سنة ٨٩٢هـ[١٥٨]. ومحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الحميد القرشي الطنبدي (ت ٨٩٣هـ) وكان ممن أقام سنوات كثيرة بمكة مجاوراً ، ونسخ خلال ذلك مجموعة من الكتب[١٥٩]. وإبراهيم بن علي بن حسن الموسكي الحريري (ت ٨٩٥هـ) والذي نسخ لنفسه بعض المصنفات العلمية عندما كان مجاوراً بمكة سنة ٨٩٤هـ[١٦٠]. وأبو بكر بن رجب بن رمضان الساسي (ت ٨٩٧هـ) الذي جاور سنة ٨٨٦هـ ، ونسخ بمكة عدة كتب ، وكان من أبرزها مصنفات السخاوي[١٦١]. ويحيى بن عبد القادر بن محمد الأسيوطي، وقد جاور سنة ٨٩٧هـ وقرأ في مكة على السخاوي تصانيفه من نسخ كتبها بخطه ، وكان ممن اشتغل بالنساخة[١٦٢]. وعلي بن عبد الله بن أحمد السمهودي (ت ٩١١هـ) وكان قد جاور سنة ٨٧١هـ وأخذ عن السخاوي في مكة ، ونسخ خلال ذلك بعض كتبه[١٦٣]. وأحمد بن محمد صحصاح بن محمد الأبشيهي الفيومي المعروف بابن أبي حرفوش ، الذي شُهر بكثرة مجاورته في مكة ، وعمل فيها بنسخ الكتب، خصوصاً مصنفات السخاوي[١٦٤]. ومحمد بن أحمد بن حسن بن إسماعيل الكجكاوي الأمشاطي ، الذي قال عنه السخاوي[١٦٥]: "وحج مراراً وجاور في بعضها أشهراً ... وقد جود الخط ... وكتب به كثيراً لنفسه ولغيره من كتب العلم وغيرها ، وانتقى وأفاد . وكذا كتب بخطه غير ما ربعة ومصحف ووقف بعضها قصداً للثواب ... وكتب فيما أخبرني به ربع القرآن وضبطه في ليلة لاضطراره لذلك في الارتفاق بثمنه في ملاقاة شيخه ابن الجندي حين حج " . ومحمد بن محمد بن عبد الله بن الزين البكري الدهروطي الناسخ ، جاور مرتين في مكة ، وكتب خلالها بخطه أشياء كثيرة من الكتب والتصانيف ، خصوصاً مصنفات السخاوي[١٦٦]. ومحمد بن محمد بن محمد بن يوسف المحيوي الدلجي المدعو بشفيع ، الذي قال عنه السخاوي[١٦٧]: " .. وأقام بمكة تسع سنين على طريقة حسنة من الاشتغال والكتابة .. " . وإبراهيم بن علي بن إبراهيم البقاعي الدمشقي وكان ممن حرص على التوريق لنفسه عندما كان في مكة ، يقول السخاوي عنه [١٦٨] : "حج ... سنة ثلاث وتسعين (وثمانمائة) وجاور التي تليها ، ولازمني حينئذ حتى قرأ شرحي على التقريب للنووي ، وكتبه بخطه ... وكتب بخطه أشياء " . هذا بالإضافة لكثير من الوراقين الآخرين الذين جاوروا في مكة ، والذين لا يتسع المقام لذكرهم[١٦٩].

وفي مجالات الوراقة الأخرى في مكة شارك بعض المجاورين في بيع الكتب وشرائها، ومن هؤلاء - على سبيل المثال - محمد بن خالد بن حمدون الهكاري الهذياني الجويني (ت ٦٨٧هـ)[١٧٠]، وأحمد بن محمد بن محمد بن

المولى المقدسي المعروف بابن شريفة (ت ٨٧٣هـ)[١٧١]. ومحمد بن محمد بن محمد بن أحمد السنباطي (ت ٨٩١هـ)[١٧٢]. وعلي بن أحمد بن دحية القاهري (ت ٨٩٨هـ)[١٧٣].

ومن المجاورين من احترف عمل تجليد الكتب واشتهر بذلك، ومنهم محمد بن محمد بن عيسى بن أحمد القاهري المعروف بابن أبي الفتح الذي اشتغل بالتجليد والتذهيب وتميز بذلك[١٧٤]، ومحمد بن محمد بن محمد بن الصدر القاهري الملقب بمعلم السلطان والذي قال عنه السخاوي[١٧٥]: " .. وجاور وتكسب بالتجليد وهو أجود من غيره، مع كونه متوسط الأمر في صناعته ". ومحمود بن أحمد بن حسن العينتابي المعروف بابن الأمشاطي، وهو ممن طلب العلم في مكة واعتنى بالتجليد[١٧٦]. ومحمد بن أحمد بن يوسف الزعيفريني وقد سمع بمكة على بعض العلماء، ومارس مهنة تجليد الكتب[١٧٧].

ثانياً : حركة بيع الكتب :

اقتضت التحركات العلمية النشطة والمختلفة الاتجاهات في مكة خلال العصر المملوكي، إضافة إلى كثرة الوافدين من العلماء والطلاب تنظيم عملية بيع الكتب والمصنفات العلمية التي تزايد الطلب عليها في الأوساط العلمية. ومن هنا فقد ظهرت فئة من الوراقين[١٧٨] في مكة عُنيت بتسويق الكتب، وتوفير حاجات العلماء والطلاب من هذه الكتب، وجعلت من هذا العمل مصدراً للرزق.

وتزودنا المصادر المتاحة بمعلومات وافرة ومتنوعة تبين اتساع نطاق حركة بيع الكتب، وتؤكد - في الوقت نفسه - مدى ازدهارها في مكة. وقد أشارت هذه المصادر إلى عدد كبير ممن مارسوا تجارة بيع الكتب وتداولها، ومن هؤلاء - على سبيل المثال - محمد بن خالد ابن حمدون الهكاري (ت ٦٨٧هـ) الذي شُهر بالتجارة في الكتب[١٧٩]. ومحمد الحريري البصري نزيل مكة (ت ٨٥٤هـ) الذي تفرغ لبيع الكتب بمكة[١٨٠]. وسعيد بن محمد بن أبي بكر الكوراني الشهير بالكردي نزيل مكة (ت ٨٧٢هـ) الذي اشتغل دلالاً للكتب في مكة، فكان يُعرف بدلال الكتب[١٨١]. وكان أحمد بن محمد بن محمد بن المولى المقدسي المعروف بابن شريفة (ت ٨٧٣هـ) ممن "جاور بمكة وتكسب بها بشراء الكتب وبيعها"[١٨٢]. كما كان علي بن أحمد بن دحية القاهري (ت ٨٩٨هـ) ممن تردد كثيراً بين مكة ومصر، واشتغل خلال ذلك بتجارة الكتب[١٨٣].

وممن عُرف بتجارة الكتب والخبرة الواسعة في هذا المجال محمد بن أحمد بن محمد الشمس الجيزي الناسخ، حيث قال عنه السخاوي - بعد أن ذكر استيطانه مكة وطلبه العلم فيها[١٨٤]: " .. كل ذلك مع ملازمته النساخة وخبرة بالكتب وقيمتها، وربما اشترى منها ما يربح فيه، أو يكسد عليه .. ". وممن كان يتجر بالكتب ويسوقها في مكة - أيضاً - محمد بن عمر بن محمد التميمي التونسي المعروف بابن عزم (ت ٨٩١هـ) حيث كان يتاجر بالكتب، ويتكسب من بيعها في مكة والقاهرة[١٨٥].

وهناك فئة أخرى قامت باستئجار الناسخين للعمل لديهم في نسخ الكتب، وربما كان هؤلاء بمثابة تجار كتب ينسخونها ويسوقونها في أماكن البيع المخصصة لذلك، ومن هؤلاء حسين بن قاوان وأخوه محمد، حيث عمل لديهم بعض النساخ بالأجرة[١٨٦]، وعبد المعطي بن خصيب بن زائد المحمدي الأندلسي - نزيل مكة - الذي كان يستأجر النساخ لينسخوا له بعض الكتب[١٨٧].

ومما يؤكد نشاط حركة تسويق الكتب واتساع نطاق هذه التجارة - أيضاً - في مكة ما تطالعنا به بعض المصادر من معلومات أخرى حول بيع الكتب المستعملة أو التركات، ومن ذلك - على سبيل المثال - ما أورده الفاسي في ترجمته لضياء الدين محمد بن محمد بن سعيد بن عمر الصغاني الهندي نزيل مكة (ت ٧٨٠هـ) حيث قال[١٨٨]: "وقد سمعت شيخنا الحافظ زين الدين العراقي

يقول : إنه اجتمع مع الضياء هذا ، في بيع تركة كتب في مكة ..". وكان تجمع الناس المتكرر بمكة وتكاثرهم فيها للحج والعمرة والزيارة فرصة لكثير ممن يستغني عن كتبه أو يحتاج إلى قيمتها المادية فيضطر لبيعها للاستفادة من قيمتها لتغطية بعض متطلباته المادية(١٨٩) .

من جانب آخر فإن تعدد المكتبات العامة والخاصة وانتشارها في مكة – كما سنتحدث عنه لاحقاً – لتؤكد كثرة تداول الكتب ، وتعدد مصادرها في مكة إبان العصر المملوكي . فضلاً عن أن زيادة المشتغلين بالوراقة – كما رأينا – وملازمة بعض النساخ الدائمة لهذا العمل، واعتماد مجموعة منهم على هذا العمل كمصدر للرزق لهي دليل واضح على تنامي تجارة الكتب وتزايد نشاطها في مكة آنذاك .

ويشكل النساخون – بطبيعة الحال – المصدر الرئيس لتزويد المحتاجين للكتب في مكة بما يدفعونه للأسواق من كتب متنوعة ، إما عن طريقهم مباشرة ، أو بواسطة من كلفهم من تجار الكتب بالنسخ(١٩٠)، إضافة لما يتم بيعه في هذه الأماكن من تركات العلماء وأصحاب المكتبات الخاصة(١٩١)، أو ما يضطر بعض العلماء وغيرهم لبيعه سداً لحاجته(١٩٢) ، أو ما يجلب إلى هذه الأسواق من خارج مكة(١٩٣) .

أما أماكن بيع الكتب ونسخها وتسويقها فقد انتشرت – كما يبدو – في أكثر من موقع في مكة ، وإن كانت جميعها داخل المسجد الحرام ، أو في إحدى جنباته. وقد أشار ابن بطوطة – الذي كان في مكة سنة ٧٢٦هـ – إلى وجود بعض النساخين الذين يجلسون على مصاطب(١٩٤) داخل المسجد الحرام ينسخون الكتب(١٩٥) .

ويبدو أن تكاثر النساخ وازدياد عددهم في مكة خلال القرن التاسع الهجري قد دفع البعض للجلوس عند باب السلام لممارسة عملهم في هذا المكان(١٩٦)، إضافة للموجودين داخل المسجد الحرام – كما أشرنا . وربما نُقل مكانهم – فيما بعد – من داخل المسجد إلى باب السلام ، لإبعادهم عن المطاف مراعاة لازدياد أعداد الحجاج والمعتمرين آنذاك .

وهناك من مارس مهنة النساخة في مكان آخر ، وربما يكون ذلك في مكان عمله الأساسي ، مستغلاً أوقات الفراغ لنسخ الكتب(١٩٧) ، وهذا ما كان يفعله – على سبيل المثال – أحمد بن محمد بن عماد الدمنهوري (ت ٨١٦هـ) حيث قدم مكة ، وفيها "عانى السَّبَب في العطارة . وكان له دكان مع العطارين ، وكان مع ذلك ينسخ كتباً من العلم .."(١٩٨).

ورغم هذه الإشارات التي أوردتها المصادر عن توفر أكثر من مكان للوراقين في مكة خلال العصر المملوكي ، إلا أن الواقع العلمي المزدهر في مكة في تلك الفترة ، مع ما أثبتناه من تطور حركة بيع وشراء الكتب وكثرة تداولها، فضلاً عن كثرة الوراقين فيها ، وإقبال الناس على هذا العمل خلال الفترة التاريخية المذكورة ليوحي بوجود أماكن أخرى ثابتة أو متنقلة تمارس فيها تجارة الكتب في مكة .

ثالثاً : ملازمة الوراقة والاهتمام بها :

إن ملازمة الوراقة والإكثار من نسخ الكتب وبيعها ليؤكد – بما لا يدع مجالاً للشك – مدى ازدهار أعمال الوراقة المختلفة وانتشارها على نطاق واسع ، وهي دلالة واضحة على تزايد الإقبال على الكتب والمصنفات العلمية ، ومؤشر على تنامي حركة تسويقها . وعندما نسلط الضوء على حياة الوراقين الذين عاشوا في مكة – سواء كانوا مكيين أو نزلاء أو مجاورين – خلال العصر المملوكي نلحظ كثرة الملازمين للكتابة والمكثرين من النسخ ؛ إما رغبة في اقتناء الكتب المهمة والاحتفاظ بها ، أو استغلال الإقبال على شراء الكتب من أهل مكة والوافدين إليها وتلبية متطلبات السوق من تلك الكتب ، أو بهدف الحصول على لقمة العيش والاسترزاق من وراء ذلك .

وتطالعنا المصادر – أثناء تراجمها للمهتمين

بالنساخة في مكة إبان العصر المملوكي - بألفاظ مختلفة تدل في مجملها على كثرة نسخ الكتب ، وعبارات تؤكد رواج الوراقة في مكة ، كما تبين - في الوقت نفسه - الجهود المبذولة من النسّاخ لتوفير الكتب المطلوبة . ومن هذه الألفاظ والعبارات التي ترد في بعض تراجم الوراقين - على سبيل المثال - : "كتب بخطه كثيراً" و "كتب بخطه كتباً كثيرة" و "كتب بخطه عدة كثيرة من المؤلفات" و"كان ملازماً للنساخة " و "أقام بمكة ملازماً للنساخة حتى كتب بخطه الكثير من الكتب الكبار" و "كتب الكثير جداً" و"كتب بخطه كثيراً من الكتب والأجزاء" و "كتب بخطه كثيراً لنفسه ولغيره" و "كان ينسخ ويكتب بخطه كثيراً" و"ونسخ بالأجرة كثيراً" ، "كتب الكثير للناس "(١٩٩)، إلى غير ذلك من الجمل والعبارات المختلفة التي تؤكد الحضور القوي لأعمال الوراقة من خلال كثرة النسخ وملازمته من جانب فئات المجتمع العلمية والاجتماعية المختلفة في مكة خلال العصر المملوكي(٢٠٠).

الجدير بالذكر أن تعليم صناعة الخط بمكة كانت مهنة رائجة خلال العصر المملوكي ، فكان هناك معلمون يأخذ عنهم الطلاب ويتعلمون على أيديهم أنواع الخطوط المختلفة(٢٠١). وقد يكون ذلك عن طريق بعض الكتاتيب ، التي غالباً ما يكون من مهامها تعليم القراءة والكتابة . وربما عن طريق بعض المدارس المنتشرة في مكة ، أو باجتهاد من بعض الأشخاص الذين نذروا أنفسهم لهذا العمل كعلي ابن عبد الرحمن البدماصي - مثلاً - والذي جاور في مكة، وكان ماهراً في صناعة الخط حتى قال عنه المقريزي(٢٠٢): "كتب الخط المليح ، وعَرَف صناعة الوراقة ... ، وجاور بمكة سنين ... وعلّم الناس الخط المنسوب فجاد به جماعة " ، وذكر السخاوي(٢٠٣) أن شيخه ابن حجر العسقلاني قد تعلّم من البدماصي هذا الخط في مكة . ومنهم ياسين بن محمد بن مخلوف الجلالي المعروف بياسين المكتب والذي قال عنه السخاوي(٢٠٤): ".. وفاق في النسخ وبرع فيما عداه ، وتصد للتكتيب ... وحج وجاور، وممن كتب عليه حينئذ الفخر أبو بكر بن ظهيرة " . من جانب آخر فقد قدم إلى مكة الكثير ممن تعلموا الكتابة وأتقنوها في بلادهم ، وشاركوا في الوراقة في مكة من خلال نسخ الكتب المختلفة(٢٠٥). وكانت هذه الفرص خير معين لتأهيل كثيرين لممارسة الوراقة والإقبال على الاشتغال بالنسخ ، سيما من الطلاب المكيين الذين جدوا في تعلم الكتابة والخطوط والحرص على تجويدها(٢٠٦)، بعد أن أدركوا - بلا شك - حاجة الساحة العلمية في مكة لمزيد من النساخ لتغطية الطلب المتزايد على الكتب .

رابعاً : انتشار الكتب والمكتبات :

يعكس انتشار الكتب وتعدد المكتبات وتكاثرها في مكة مدى ما وصلت إليه جهود الوراقين ونشاطاتهم المختلفة في مجال توفير الكتاب ونشره في أوساط المتعلمين . والمطلع على كتب التراجم والطبقات التي تناولت سير العلماء وطلاب العلم - سواء كانوا من أبناء مكة أو النزلاء والمجاورين - في مكة خلال العصر المملوكي يقف منبهراً أمام تلك الأعداد الضخمة والمتنوعة من كتب العلم المختلفة ، خصوصاً في علوم الشريعة وما يتعلق بها .

وكان للنشاط العلمي المتنوع في مكة آنذاك أثره في حرص العلماء والطلاب المكيين وغيرهم على تحصيل الكتب واقتنائها ، فهب العارفون منهم بالنسخ لجمع المصنفات المختلفة ودراستها على العلماء للحصول على إجازات علمية فيها ، كما قام العلماء والطلاب الآخرون ممن ليس لديهم معرفة بالنسخ أو قدرة عليه باستئجار بعض النساخ كوسيلة للحصول على هذه الكتب . ورغم عدم تركيز المصادر المتاحة على ذكر أسماء الكتب التي قام الوراقون بنسخها في مكة ، إلا أنها قد وضحت - من خلال ما ذكرته من الكتب المتداولة بين العلماء والطلاب - أن تركيز

النساخ انصبّ على كتب التفسير والحديث والفقه والوعظ والإرشاد وغيرها من العلوم الدينية ، فضلاً عن بعض العناية بالعلوم الأخرى مثل الكتب الخاصة باللغة العربية أو الأدب أو السيرة النبوية والتاريخ(٢٠٧).

من جانب آخر فإننا نلحظ من خلال التأمل في الحياة العلمية في مكة إبان العصر المملوكي تطوراً ملموساً في زيادة المكتبات الخاصة والعامة فيها ، بعد أن أثّرت صناعة الكتاب ، ورواج تجارته في ظهور وإثراء الكثير من المكتبات وازدهارها آنذاك(٢٠٨). وكانت ظاهرة حب جمع الكتب واقتنائها قد برزت لدى شريحة كبيرة من العلماء وطلاب العلم على مختلف نوعياتهم في مكة ، ويؤكد ذلك ما تطالعنا به بعض المصادر من عبارات متعددة تبين مدى الحرص على ذلك ، مثل عبارة "نسخ لنفسه" أو "كتب لنفسه" أو "وحصل على عدة من الكتب النفائس" أو "واقتنى كثيراً من الكتب" ، إلى غير ذلك من العبارات الواردة في الكثير من المصادر ، والتي تؤيد شغف العلماء والطلاب المكيين وغيرهم في جمع المصنفات العلمية المفيدة .

كما حظيت الكثير من المكتبات العامة في مكة باهتمام متنوع ، فأثريت بمجموعة كبيرة من الكتب في شتى التخصصات العلمية ، بعد أن حرص الأثرياء ، وأصحاب المكتبات الخاصة ، فضلاً عن عدد من الوراقين على إيقاف كتبهم على عدد من مكتبات المدارس والأربطة المنتشرة في مكة ، رغبة في تعميم فائدتها وتضاعف أجرها ، حيث سينتفع بها أكبر عدد من أبناء المسلمين المقيمين في مكة أو الوافدين إليها كل عام(٢٠٩).

عوامل ازدهار الوراقة في مكة :

لقد كشف لنا استعراض مظاهر انتشار الوراقين في مكة مدى تكاثر هذه الفئة وجهودها الواسعة في أعمال الوراقة وإنمائها إبان العصر المملوكي . وفي الصفحات التالية سنحاول التنقيب عن العوامل التي هيأت الفرص لازدهار الوراقة في مكة آنذاك ، والأسباب التي أفسحت المجال للوراقين للمضي قدماً في سبيل خدمة العلم والمشاركة في دعم الحياة العلمية عن طريق العمل في الوراقة .

١ - لقد هيأت مكانة مكة الدينية السامقة في نفوس المسلمين عامة مزيداً من وشائج الصلة الدائمة لها مع بقية البلدان والأقاليم الإسلامية الأخرى(٢١٠)، فكان المد العلمي والتواصل الثقافي بين مكة وبقية البلدان الإسلامية مستمراً ، ينشط في بعض الأحيان فيتكاثر فيها العلماء وطلاب العلم الوافدين ، ويتقلص تواجدهم في أحيان أخرى حسب الظروف الأمنية والاقتصادية السائدة في بلاد الحجاز بصفة خاصة، أو في البلدان الأخرى بصفة عامة .

وكانت كثرة الوافدين إلى مكة من العلماء وطلاب العلم سمة بارزة ميزت العصر المملوكي عن غيره من العصور ، فقل أن تجد عالماً مسلماً له شأنه لم يفد إلى مكة، ويمكث فيها فترة من الزمن ، يلتقي خلالها بالعلماء ، ويفيد الطلاب بما يعقده من دروس وحلقات علمية في مجال اهتمامه ، ومن هؤلاء من يفضل الاستقرار في مكة بقية حياته ، ومنهم من يجاور فيها بضع سنوات للعبادة وطلب العلم . وكان من هؤلاء القراء والمفسرون والفقهاء والمحدثون والنحاة والأدباء والمؤرخون وغيرهم ، ومنهم من عُني بالتصنيف - أيضاً - فأثرى بذلك الحياة العلمية ، بعد أن انتشرت مصنفاته بين منسوبي التعليم . وكان وجود هؤلاء العلماء البارزين والمصنفين البارعين قد أتاح للوراقين - بلا شك - المزيد من الفرص لممارسة عملهم والتكثيف من نشاطهم ، وذلك عن طريق توريق الكتب التي عُني هؤلاء العلماء القادمين إلى مكة بتدريسها وروايتها ، والمساهمة - أيضاً - في نشر كتب المصنفين الوافدين وتوفيرها للراغبين فيها .

ومن أبرز العلماء الذين قدموا إلى مكة وشاركوا في إثراء الحياة العلمية فيها إبان العصر المملوكي - على

سبيل المثال - عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن الدمشقي المعروف بابن عساكر (ت ٦٨٦هـ) العالم الفاضل والمحدث المتمكن والأديب البارع ، وكان ممن رحل في طلب العلم إلى أمصار مختلفة ، حتى تمكن من عدة علوم[٢١١]. ثم استقر به المقام في مكة بعد سنة ٦٤٧هـ ، واستمر فيها باذلاً نفسه للطلاب ، مشاركاً في التصنيف ، حتى وافاه الأجل في المدينة[٢١٢]. ومحمد بن غالب بن يونس الأنصاري الأندلسي الجياني المعروف بابن شعبة (ت ٧٠٣هـ) الذي وفد إلى مكة في مطلع القرن الثامن الهجري فأفاد فيها واستفاد ، وكان إماماً فقيهاً فاضلاً عالماً زاهداً ورعاً[٢١٣]. ومحمد بن محمد بن محمد بن علي بن إبراهيم ابن حريث العبدري البلنسي السبتي (ت ٧٢٢هـ) وكان إماماً في القراءات والفقه وعلوم العربية ، جاور في مكة آخر حياته ملازماً للتدريس والإفادة حتى وافاه الأجل فيها[٢١٤]. وكذلك قاضي حماة ومفتي الشام هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجهني المعروف بابن البازي (ت ٧٣٨هـ)، وكان ممن وفد إلى مكة أكثر من مرة للحج، وأفاد خلال ذلك كثيراً من طلبة العلم، وله عدة مصنفات[٢١٥]. والإمام العالم الحافظ المؤرخ المصنف القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الأشبيلي الدمشقي (ت ٧٣٩هـ) الذي تردد إلى الحجاز كثيراً ، وأفاد خلال فترة إقامته[٢١٦]. ومنهم عمر بن محمد بن علي بن فَتُّوح المقري الدمنهوري (ت ٧٥٢هـ) وكان ممن جاور بمكة ، وهو من البارزين في علوم النحو والقراءات والحديث والفقه، درّس في مكة وحدث وأفتى وأقرأ ، وانتفع به عدد كبير من طلبة العلم خلال إقامته بمكة . واستمر في مكة حتى وفاته[٢١٧]. ومنهم الإمام العلامة الحافظ عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني المصري (ت ٧٦٧هـ) وهو أحد العلماء الأفذاذ ، وله تصانيف مفيدة ، جاور بمكة أكثر من مرة ، ودرّس فيها الحديث حتى وفاته[٢١٨].

والإمام المحدث محمد بن عمر بن حسن بن عمر بن حبيب الدمشقي (ت ٧٧٧هـ) وهو ممن تفرد بالرواية، فرحل إليه الناس ، وقد جاور في مكة سنة ٧٧٣هـ فأكثر أهل مكة والقادمون إليها من الرواية عنه[٢١٩]. ومنهم أحمد بن محمد بن عبد المعطي بن طِرَاد الأنصاري الخزرجي المشهور بنحوي الحجاز (ت ٧٨٨هـ) وكان ممن بذل نفسه للتعليم في مكة بعد استقراره فيها ، سيما في علوم اللغة العربية والفقه حيث كان بارعاً فيهما[٢٢٠].

ومن الوافدين - أيضاً - إلى مكة خلال القرن التاسع وأوائل العاشر الهجري ، الإمام الفقيه المصنف محمد بن موسى بن عيسى بن علي المصري المعروف بالدميري (ت ٨٠٨هـ) الذي جاور كثيراً في مكة ، ودرّس وأفتى فيها حتى وفاته[٢٢١]. والإمام المحدث الفقيه أبو بكر ابن حسين بن عمر بن عبد الرحمن العثماني المراغي نزيل المدينة النبوية (ت ٨١٦هـ) ، وكان ممن جاور في مكة بعض السنوات ، وأفاد فيها بعد أن نهل طلبة العلم منه كثيراً في مكة[٢٢٢]. وكذلك إمام عصره في اللغة العربية وصاحب المصنفات المشهورة القاضي مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروزأبادي (ت ٨١٧هـ) ، الذي جاور في مكة مراراً واستفاد منه طلبة العلم كثيراً[٢٢٣]. والإمام العلامة الحافظ الفقيه أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني المعروف بابن العراقي (ت ٨٢٦هـ) صاحب التصانيف القيمة والكثيرة ، وفد إلى مكة سنة ٨٢٢هـ ، فنهل طلبة العلم من علومه ومعارفه[٢٢٤]. وكذلك إمام القراءات المشهور شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي المعروف بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) وهو ممن جاور ، وتتلمذ عليه في القراءات عدد من أبناء مكة والقادمين إليها[٢٢٥]. والإمام البارع عمدة المؤرخين تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت ٨٤٥هـ) وكان من أبرز من جاور في مكة ،

وفيها درّس بعض كتبه ، حيث عُرف بكثرة مصنفاته وقيمتها العلمية[٢٢٦]. ومنهم إمام العصر وشيخ الإسلام قاضي القضاة الإمام الحافظ أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) الذي جاور فترة من الزمن ، قال عنه ابن تغري بردي[٢٢٧]: " ورحل إلى اليمن بعد أن جاور بمكة ، وأقبل على الاشتغال والإشغال والتصنيف ، وبرع في الفقه والعربية ، وصار حافظ الإسلام ، علامة في معرفة الرجال واستحضارهم ، والعالي والنازل مع معرفة تامة بعلل الأحاديث وغيرها . وصار هو المعول عليه في هذا الشأن في سائر أقطار الأرض ، وقدوة الأمة ، وعلامة العلماء ، حجة الإسلام ، محيي السنة "[٢٢٨]. ومنهم العلامة المسند الحافظ المصنف المتقن محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ) الذي جاور بمكة مراراً ، ونهل من علمه كثير من أبناء مكة والوافدين إليها ، بعد أن عُني بتدريس مصنفاته وبعض مصنفات غيره من الأئمة[٢٢٩]. ومنهم الإمام العلامة المصنف الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت ٩١١هـ) وهو ممن جاور في مكة ، وبذل علمه لطلبة العلم[٢٣٠]. وكذلك عالم المدينة الإمام الحجة المؤرخ ذو التصانيف الشهيرة علي بن عبد الله بن أحمد السمهودي (ت ٩١١هـ) وهو ممن جاور في الحرمين ، وانتفع به جماعة من الطلبة[٢٣١]. إلى غير ذلك من العلماء – مما لا يتسع المجال لذكرهم – ممن قدموا إلى مكة خلال العصر المملوكي ، وأثروا بطرق مختلفة في جوانب الحياة العلمية .

٢ – من جانب آخر فقد اشتهر العديد من أبناء مكة بالعلم ، فبرز منهم فطاحل في كثير من العلوم الشرعية والعربية والتاريخية ، وتصدروا للتدريس في مكة من خلال عقد حلقات العلم ودروسه في المسجد الحرام والمدارس والأربطة وغيرها[٢٣٢]. كما أصبح هؤلاء العلماء البارزون مقصداً للطلاب الذين وفدوا إليهم من شتى بلدان العالم الإسلامي ، فكانوا يفدون في الغالب للحج ويستغلون ذلك في طلب العلم على علماء مكة ، ومنهم من يجاور لهذا الغرض بعض السنوات[٢٣٣].

وقد برزت في مكة آنذاك بعض البيوت التي عُرفت بكثرة العلماء ، مثل ؛ بنو فهد وبنو ظهيرة والنويريون وبنو الضياء وبنو الفاسي وبنو القسطلاني وغيرهم من العلماء الآخرين الذين بذلوا أنفسهم للطلاب ، واشتغلوا بالتدريس، وصنفوا في مجالات علمية مختلفة[٢٣٤].

وكان توافر هؤلاء العلماء وكثرتهم واستمرار عطائهم العلمي واشتغال عدد منهم – أيضاً – بالتصنيف قد فتح مجالاً أوسع أمام الوراقين لممارسة نشاطهم في مكة من خلال التوريق لهؤلاء العلماء، وتسويق مصنفاتهم . أو قراءة كتب العلم عليهم ، ومن ثمّ مقابلة ما ينسخون بالنصوص الأصلية التي يتناولها هؤلاء العلماء في دروسهم وحلقهم العلمية[٢٣٥].

بيد أن معرفة عدد من العلماء المكيين بالوراقة ، واشتغالهم بنسخ الكتب ، والحرص على جمعها عن طريق التوريق لأنفسهم ، أو لغيرهم ، قد ساعد – أيضاً – على تطور الوراقة وازدهارها في مكة آنذاك[٢٣٦].

٣ – وكانت شريحة كبيرة من النزلاء والمجاورين والذين كثر تواجدهم في مكة إبان العصر المملوكي – كما سبق أن ذكرنا – من المهتمين بأعمال التوريق المختلفة، حيث تحفل كتب التراجم والطبقات بإشارات متعددة وإيماءات متنوعة تبيّن جهود هؤلاء النزلاء والمجاورين في مكة في مجال النسخ والمداومة على الاشتغال بكتابة المؤلفات المختلفة، إما لأنفسهم ، وإما لغيرهم . وتؤكد من خلال أثرهم الفاعل في تطور الوراقة وازدهارها في مكة في تلك الفترة.

٤ – من جانب آخر أولى عدد من المكيين اهتماماً ملحوظاً بجوانب الوراقة المختلفة في مكة – كما ألمحنا ، فاشتغل عدد منهم بنسخ الكتب ، كما عُني آخرون

بتسويقها . وخير دليل على ذلك ما أشرنا إليه من بروز بعض البيوت العلمية في مجال الوراقة وتحمسهم لها ؛ كبني فهد - مثلاً - الذين اشتغل منهم بالوراقة أكثر من سبعة أشخاص . ويعد حرص المكيين على العمل في مجال الوراقة ، وتكاثر المهتمين بها من أهم العوامل التي أسهمت في تطور عمل الوراقة في مكة وازدهارها .

٥ - وكانت ظاهرة جمع الكتب والحرص على اقتنائها من المكيين[٢٣٧]، أو الوافدين الذين استغلوا - بلا شك - فرصة توافر كثير من العلماء وطلاب العلم في مكة للحصول على الجديد والمفيد من الكتب المهمة[٢٣٨]، قد دفعت الوراقين إلى تكريس جهودهم لتغطية الطلب المتزايد على الكتب، وتلبية رغبات مرتادي أسواق الكتب وحوانيت النساخ من العلماء والطلاب . ولا غرو أن هذه الطلبات المتواصلة للكتب والجهود المكثفة من الوراقين ستعمق تطور حركة الوراقة في مكة ، كما ستزيد من عدد المشتغلين في هذا المجال .

٦ - وبالرغم من عدم توقف النشاط العلمي بمكة منذ ظهور الإسلام ، إلا أن ظاهرة تقلبه بين المد والجزر كانت سمة واضحة للعيان خلال العصور الإسلامية المتعاقبة ، وعندما نعمل النظر في العصر المملوكي نجد مكة قد شهدت تطوراً ملحوظاً في الحركة العلمية ، فأصبحت حينذاك إحدى المراكز العلمية المهمة في العالم الإسلامي ، بعد أن زاد الإقبال على العلم ، وكثرت المناشط العلمية المختلفة فيها ، من خلال مشاركة العلماء المكيين وغيرهم من علماء الأمصار الإسلامية بمختلف مشاربهم وثقافاتهم ومعارفهم.

ولما كان الكتاب مرتكز العملية التعليمية ومحورها الأساس فقد تزايدت الحاجة إليه في أوساط العلماء والطلاب ، وسعى الجميع في سبيل الحصول على نُسخٍ من بعض الكتب والمصنفات التي قامت عليها حلق العلماء ودروسهم المختلفة . ومن هنا جاء دور الوراقين ، وازدادت الحاجة لخدماتهم ، لتوفير الكتب بمختلف أصنافها وتنوع مشاربها في الأسواق ، مما ترتب عليه كثرة النساخ في مكة ، وتزايد أعدادهم ، وتطور عملهم .

٧ - من جانب آخر فقد اكتظت جنبات المسجد الحرام إبان العصر المملوكي بحلق العلماء ودروسهم المؤقتة أو الدائمة ، والمفتوحة - في الغالب - لعموم الراغبين في طلب العلم[٢٣٩]. وانتشرت فيه كثير من الدروس الخاصة[٢٤٠] التي أقرها بعض الأمراء والموسرين، ودعموها من مالهم الخاص[٢٤١]. كما حوت - أيضاً - المدارس الموجودة في مكة - سواء منها الباقية من العصور السابقة ، أو تلك التي استحدثت في العصر المملوكي[٢٤٢]، وكذلك بعض الأربطة المنشرة فيها[٢٤٣]، العديد من الدروس العلمية التي تسابق العلماء على عقدها، سواء في العلوم الشرعية أو اللغوية أو غيرها من العلوم[٢٤٤].

وكان توافر هذه الحلق العلمية والدروس المختلفة في المسجد الحرام وغيره من المدارس والأربطة، وإحياء كوكبة من علماء المسلمين لها قد هيأ مجالات عديدة للوراقين في مكة لمقابلة هؤلاء العلماء، والاستفادة من نسخ مصنفاتهم ومقابلتها ، فضلاً عن مقابلة الكتب التي يُدرّسها هؤلاء العلماء من مصنفات غيرهم ، ومن ثم عرض هذه الكتب المختلفة للبيع ، بعد النسخ والمقابلة والتأكد من صحتها .

٨ - وقد نتج عن الطلب المتزايد للكتب في مكة ، والإقبال عليها أن أصبح العمل في مجالات الوراقة آنذاك مصدر رزق ، وعملاً مغرياً لكثير من الناس ، فتكاثر النساخون بالأجرة في مكة خلال العصر المملوكي - كما رأينا عند الحديث عن انتشار الوراقين . ولم يقتصر ذلك العمل على المتخصصين في النسخ ، بل تعداهم إلى بعض العلماء وطلبة العلم الذين استعانوا بالنسخ لغيرهم للحصول على القوت[٢٤٥]. كما كثف النساخ جهودهم خلال هذا العصر، فاشتهر العديد منهم بكثرة النسخ وتكراره[٢٤٦]. وإلى هذه المهنة لجأ - أيضاً - الكثير من

الفقراء الذين وجدوا في ممارسة النساخة سبيلاً لسد لقمة العيش وعدم الاحتياج للآخرين(٢٤٧). ومنهم من استعان بالنسخ لسداد ديون قد تلحق به(٢٤٨). بل كانت هذه المهنة عند البعض سبيلاً لكسب الأموال الطائلة والثراء، كما يوضح ذلك قول السخاوي في ترجمته لأحمد بن أبي بكر ابن أحمد بن موسى الأشعري اليماني نزيل مكة، حيث يقول عنه(٢٤٩): "... يتكسب بالنساخة الجيدة مع مزيد فاقته وكثرة أخلافه وعدم موافاته في الكتابة، ولولا ذلك لكان غنياً منها".

ولعل ما يؤكد الإغراء المادي من العمل في مجال الوراقة في مكة - أيضاً - كثرة نزول الوراقين في مكة، ورغبتهم في الاستقرار فيها خلال العصر المملوكي، كما رأينا. وكذلك استغلال بعض المجاورين فترة بقائهم في مكة للتكسب من النسخ بالأجرة(٢٥٠). بل كانت ممارسة هذه المهنة حافزاً للمجاورة في مكة، حيث يقول السخاوي - مثلاً - عن أبي القسم بن علي بن محمد الزبيدي المعروف بالشرف زبيدة (ت ٨٥٨هـ)(٢٥١): "ثم حج وأقام بمكة ينسخ بالأجرة".

بل إن رواج سوق الوراقة والمردود المادي الطيب للعاملين فيها ليؤكده دخول مجموعة ممن عرفوا بعدم جودة خطوطهم أو رداءتها في هذا المجال(٢٥٢). ولا شك أن الحاجة المتزايدة للكتب، وزيادة أجور النساخ المتميزين قد جعلت البعض يضطر لقبول خطوط مثل هؤلاء النساخ، كما أتاحت في الوقت نفسه لهؤلاء النساخ ترويج بضاعتهم من الكتب. وقد أشار السخاوي إلى ارتفاع أسعار الكتب في الأسواق المكية، وعدم تمكن البعض من الحصول عليها، فقال - مثلاً - عن محمد بن محمد بن أحمد الدلجي - نزيل مكة - (٢٥٣): "وكان يتأسف على عدم تحصيل تصانيفي لمزيد فاقته". وربما كان لجوء بعض العلماء وطلاب العلم لنسخ بعض المصنفات بأنفسهم - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً - دليل على ما ذهبنا إليه من ارتفاع قيمة الكتب عند النساخ والباعة في مكة، وصعوبة الحصول عليها. ولا شك - أيضاً - أن غلاء الأسعار قد دفع الكثيرين من النساخ والوراقين وأغراهم بالعمل في بيع الكتب، فضلاً عن تجليد الكتب وتذهيبها.

من جانب آخر فإن المتتبع لحركة الوراقة في مكة يدرك مدى الجدوى المادية للاشتغال بنسخ الكتب أو بيعها من خلال اتجاه عدد من مؤدبي الأطفال في مكة خلال العصر المملوكي للعمل في مجال الوراقة، جنباً إلى جنب مع عملهم الأساسي(٢٥٤)، خصوصاً وأن النظرة للمشتغل بالوراقة تسمو وتختلف عن النظرة لمؤدب الأطفال الذي يعد في الغالب من عوام الناس(٢٥٥). بل إن من المؤدبين من ترك التأديب، وتفرغ نهائياً للوراقة(٢٥٦).

٩ - ومما زاد من التحركات العلمية، والمنافسة في الإقبال على العلم وخدمته، ومن ثمّ تطور أعمال الوراقة وازدهارها في مكة، تعدد المذاهب الدينية فيها، وتنوع مجالات خدماتها(٢٥٧)، والحرص على إثراء دراستها بعقد الحلق والدروس المتعددة، وتأليف المصنفات المختلفة. دون صدام مع الآخرين، أو تنافس ممقوت بين علماء هذه المذاهب واتباعها(٢٥٨). وقد ولّد ذلك التسابق الشريف الحرص على نشر كتب المذاهب في مكة، إما عن طريق النساخ الذين رأوا في نشرها فرصة لمزيد من الكسب، أو عن طريق النساخ المتطوعين لخدمة مذهبهم.

إضافة إلى ذلك فقد تواجد في مكة آنذاك عدد من أتباع الصوفية والرافضة، وقد وجدت كتبهم رواجاً عند بعض النساخ والباعة، بعد أن لاحظوا الإقبال عليها؛ فهذا محمد بن أحمد بن محمد بن علي المصري نزيل مكة (ت ٨٠١هـ) كان من الوراقين الذين مالوا للصوفية ولجمع كتبهم. ومحمد بن عمر بن محمد بن عَزم التميمي التونسي نزيل مكة (ت ٨٩١هـ) وكان ممن تكسب بتجارة

الكتب ، واعتنى بتحصيل كتب ابن عربي والميل إليه ، حتى قال عنه السخاوي[٢٥٩]: " اشتد حرصه على تحصيل تصانيف ابن عربي والتنويه بها وبمصنفها حتى صار داعية لمقالته ، وركن إليه أهل هذا المذهب ، فكان يجلب إليهم من تصانيفه ما ينمقه ويحسنه فيرغبونه بثمنه ، وربما قصد كثيراً من عوام المسندين في الخفية لقراءتها لتكون متصلة الإسناد زعم ، وعذلته كثيراً عن ذلك فما كف بل أفاد حقداً ومقاطعة " . كما انتشرت كتب الرافضة – أيضاً – حيث وُجِد – مثلاً – مجموعة منها في مكة لدى رجل يدعى يوسف العجمي ، وفيها كما أشياء من الكفريات[٢٦٠]. كما عُرف محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمذاني السكاكيني الدمشقي (ت ٧٢١هـ) بتشيعه والدعوة لنحلته ، وكان ممن عُني بنسخ بعض الأشياء ، وجاور بالحرمين حوالي سبعة أعوام[٢٦١].

١٠- وقد أولى المماليك بلاد الحجاز بصفة عامة وإمارة مكة بصفة خاصة كل الاهتمام والعناية ، فسعوا في بسط سلطتهم على المنطقة ، كما حرصوا على إقرار الأمن فيها باستعمال أساليب الترغيب والترهيب مع أشراف الحجاز . ورغم بعض المخالفات والمشاكل التي ظهرت في المنطقة خلال حكم المماليك البحرية ، إلا أن سلاطينها استطاعوا إحكام القبضة على الأوضاع في مكة في كثير من الأوقات[٢٦٢]. ثم شهدت مكة نوعاً من الاستقرار والهدوء خلال حكم المماليك الجراكسة ، خاصة عندما حُولت بلاد الحجاز إلى نيابة مملوكية سنة ٨١١هـ ، وعين شريف مكة نائباً للسلطة المملوكية[٢٦٣]، وبعد أن عمل حكام المماليك على دعم حاكم الحجاز سنة ٨٢٧هـ بقوة دائمة ترابط في مكة لإقرار الأوضاع فيها[٢٦٤]. ثم استمر الوضع حتى تولى الشريف محمد بن بركات (٨٥٩ – ٩٠٣هـ) حكم مكة فبلغت إمارتها خلال عهده أقصى توسع لها[٢٦٥]، كما وصلت إلى درجة كبيرة من الأمن والاستقرار حتى قال السخاوي عنه[٢٦٦]: "ارتفع ذكره بين الصغير والكبير ، واندفع به المكروه عن أهل الحرمين ومن إليها يسير ، أمن الله بفضله وعدله في أيامه الطرقات " . وقد ترتب على ذلك زيادة الاعتماد على ميناء جدة في نشاط التجارة عبر البحر الأحمر، فزاد نمو الاقتصاد المكي ، كما ساعد إقرار الأمن في الحجاز – أيضاً – على استتباب الأمن على طرق الحج والتجارة ، فزاد الاستقرار ونما النشاط الاقتصادي ، بعد أن أمن الحجاج والتجار على أنفسهم وأموالهم[٢٦٧].

وكانت تلك التغيرات الأمنية والاقتصادية التي شهدتها مكة خلال العصر المملوكي – سيما في عصر المماليك الجراكسة – خير معين على تطور الحركة العلمية، حيث أصبحت مكة موئلاً لكثير من العلماء وطلاب العلم الذين وفدوا إليها للحج والزيارة أو الاستقرار أو المجاورة ، بعد أن اطمئنوا على توفر سبل العيش فيها ، وأحسوا بالراحة النفسية التي ينشدونها . كما أسهم الرخاء الاقتصادي – بلا شك – في قدوم الكثير من الوراقين الذين وجدوا في مكة فرصاً معيشية أفضل ، من خلال ممارسة النسخ أو المتاجرة بالكتب . فضلاً عن أن توفر المال في أيدي كثير من الناس قد دفعهم لشراء الكتب والتنافس في الحصول عليها من أسواق الوراقين وحوانيت النساخ . ومن هنا فإننا نرى أن الاستقرار الأمني والثراء الاقتصادي الذي عاشته مكة خلال العصر المملوكي كان من عوامل ازدهار الوراقة في مكة ، وكثرة انتشار الوراقين فيها إبان هذا العصر .

أثر الوراقين في الحياة العلمية في مكة:

أولاً : تزويد المكتبات العامة :

لقد زرعت تعاليم الإسلام في نفوس المسلمين حب العلم ، بعد أن بيّنت لهم أهميته ، وأكدت على ضرورة طلبه ونشره ، ومن هنا فقد ظهر إبان العصور التاريخية علماء أجلاء في طول البلاد الإسلامية وعرضها ، وقامت الرحلات

لطلب العلم أو الاستزادة منه ولقاء العلماء والمشايخ ، كما بدأ تدوين العلوم ، فظهر الكتاب الذي يُعد الوعاء النافع الذي حفظ لنا علومنا الإسلامية وتراثنا الخالد من الضياع.

وقد اعتمد نشر الكتاب على الوراقين الذين عُنوا بنسخ الكتب وبيعها . ونظراً لصعوبة الحصول على الكتب، إما لندرتها ، أو لارتفاع أثمانها ، فقد سعى عدد من الموسرين المسلمين لتوفير الكتب وتيسيرها للناس عن طريق وقفها في المساجد والمدارس والأربطة وغيرها من الأماكن العامة المفتوحة للجميع .

ثم غدت هذه المكتبات الوقفية ، والتي بدأ انتشارها وتكاثرها منذ القرن الرابع الهجري " قبلة لطلاب العلم تعينهم على التزود بكل جديد ، وتوفر لهم فرص مواكبة الأفكار والآراء المدونة لمؤلفين من أصقاع العالم الإسلامي"(٢٦٨). كما أصبحت هذه المكتبات - أيضاً - من أبرز دعائم حركة الازدهار الفكري والثقافي التي شهدها العالم الإسلامي خلال عصوره المختلفة(٢٦٩).

وفي مكة انتشرت خلال العصر المملوكي المكتبات الوقفية في المسجد الحرام وعدد من مدارسها وأربطتها، وفي ما يلي سوف نتحدث عن التطورات التي استجدت على المكتبات في هذه الأماكن خلال هذا العصر(٢٧٠)، محاولين إبراز أثر الوراقين في تقديم خدمات ثقافية أوسع من خلال هذه المكتبات .

١ - المسجد الحرام :

رغم أن أول إشارة لمكتبة عامة في مكة كانت في أوائل القرن الخامس الهجري عندما نصّت بعض المصادر على وجود خزائن كتب في المسجد الحرام ، تعرضت للتلف بعد أن أصابتها السيول العظيمة التي دخلت المسجد سنة ٤١٧هـ(٢٧١)، إلا أننا لا نستبعد أن هذه الخزائن كانت متقدمة الوجود عن هذا التاريخ، نظراً لأهمية المسجد الحرام ومكانته في نظر المسلمين ، والذين دأبوا منذ أوائل عصورهم على أن يضعوا في المساجد عدداً من نسخ القرآن الكريم وبعض الكتب الدينية المفيدة(٢٧٢). فضلاً عن تكرر اللقاءات العلمية والتبادل الفكري بين علمائهم ، وهو ما سيدفع كبار رجالات الدولة الإسلامية ، وبعض الموسرين ، فضلاً عن العلماء وطلاب العلم - بلا شك - لاغتنام هذه الفرصة ، ومن ثمّ السعي لوقف المصاحف والكتب في المسجد الحرام.

ولا شك أن توافر الكتب الوقفية في المسجد الحرام واستمرار تواجدها ضرورة اقتضتها مكانته وعلو شأنه بين عامة المسلمين ، فبالرغم مما حصل لكتبه من تلف ، أو ما قد تتعرض له من جراء الاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي في مكة ، والذي غالباً ما يُعرّض هذه الكتب للسرقة أو الضياع(٢٧٣)، إلا أن المصادر تؤكد لنا استمرار وجود خزائن الكتب في المسجد الحرام خلال العصور اللاحقة ، حيث أشار الفاسي إلى أن محمد بن عبد الله بن الفتوح المكناسي - إمام المالكية بالحرم الشريف - قد وقف في سنة ٥٨٨هـ كتاب "المقرّب" لمحمد بن عبد الله بن زَمَنِين المالكي على المالكية والشافعية والحنفية بمكة ، وجعل مقره خزانة المالكية(٢٧٤). كما جاءت إشارات أخرى في بعض المصادر تؤكد - أيضاً - استمرار خزائن الكتب في أنحاء متفرقة من المسجد الحرام طوال العصر المملوكي(٢٧٥).

من جانب آخر فقد أفادت بعض المصادر وقف عدد من الوراقين لمكتباتهم الخاصة ، أو بعض الكتب التي اهتموا ينسخها أو الحصول عليها في مكة خلال العصر المملوكي ، دون أن تحدد بالدقة مكان وقفها في مكة ، ولذا فإننا لا نستبعد أن نصيب المسجد الحرام كان كبيراً من هذه الكتب الموقوفة ؛ نظراً لكثرة المترددين عليه ، وشمول الفائدة لجميع أتباع المذاهب ، في حين أن أكثر المدارس والأربطة غالباً ما تكون لفئة معينة أو مذهب محدد . وممن أشارت المصادر إلى وقفه لكتب في مكة دون أن تحدد مكانها - على سبيل المثال - إبراهيم بن محمد بن حسين القاهري المعروف بالموصلي (ت ٨١٥هـ) وهو ممن استقر

في مكة ، وكان ممن جوّد الخط ، وبه تكسب ، ثم وقف قبل وفاته في مكة عدداً من الكتب التي نسخها[٢٧٦]. ومنهم إبراهيم بن رجب بن حماد الرواشي العامري - نزيل المدينة (ت ٧٥٥هـ) الذي وقف أكثر كتبه في مكة ، وكانت تحتوي على مصنفات مختلفة في علوم الفقه والأصول والحديث واللغة وغيرها[٢٧٧]. وكذلك عبد الملك بن سعيد بن الحسن الكردي نزيل رباط السدرة (ت ٨٢٤هـ) الذي وقف كتبه بمكة أيضاً[٢٧٨]. كما وقف إبراهيم بن خليل بن محمد الداوي الحلبي (ت ٨٤٠هـ) كتبه على طلبة العلم بمكة[٢٧٩].

٢ - المدارس :

لقد أدرك المسلمون أهمية الكتاب في نجاح العملية التعليمية وضرورة توفيره للمعلم والمتعلم على حد سواء ، فواكب إنشاء المدارس في البلدان الإسلامية اهتمام كبير بوقف أكبر قدر ممكن من الكتب المختلفة في سائر العلوم ، بعد أن خصص لها من الموارد المالية ما يساعد على استمرارها والحفاظ عليها[٢٨٠].

وكان للمدارس المنتشرة في مكة آنذاك نصيب وافر من الكتب الموقوفة ، بعد أن عمد مؤسسوها إلى تخصيص خزائن للكتب فيها ؛ يستفيد منها منسوبو المدرسة ومرتاديها ، وتكفل لهم عناء البحث عن الكتب ، أو الاضطرار إلى شرائها ، كما تزيد - في الوقت نفسه - من زيارات طلاب العلم للمدرسة بصفة مستمرة .

والمدارس في مكة خلال العصر المملوكي كانت على نوعين ؛ نوع أسس قبل ظهور الدولة المملوكية ، واستمر في أداء رسالته العلمية في المجتمع المكي إبان هذا العصر ، ونوع استحدث في مكة في العصر ذاته ، وزوّد - في الغالب - بالكثير من الكتب المهمة . وكان من أبرز هذه المدارس مدرسة السلطان قايتباي التي دعمت عند تأسيسها بالكثير من الكتب في عدد من التخصصات[٢٨١]. ثم أضيفت لهذه المكتبة مجموعة من محتويات كتب الإمام السخاوي ، بعد أن أوصى بوقف كتبه بعد وفاته بمدرستي السلطان قايتباي في مكة والمدينة[٢٨٢]. وكان الإمام السخاوي ممن ورّق لنفسه الكثير من الكتب[٢٨٣]، كما درّس في مدرسة السلطان قايتباي بمكة[٢٨٤].

٣ - الأربطة :

يتضح من خلال تتبع نشاط تأسيس المكتبات العامة في مكة خلال العصر المملوكي ، أو تزويدها بالكتب ، عن طريق الوقف وغيره ، أن الأربطة - بصفة عامة - قد حظيت باهتمام أكبر من غيرها في هذا الجانب ، سواء كان ذلك من واقفي هذه الأربطة أنفسهم[٢٨٥]، أو بعض المحسنين الذين دأبوا على مدّها بالكثير من الكتب النافعة - كما سنرى . بعد أن أحس هؤلاء - كما يبدو - بكثرة روّاد هذه الأربطة ، ونوعية المقيمين فيها من طلبة العلم ، والذين يغلب عليهم الحاجة أو الفقر .

وكان رباط ربيع من أبرز الأربطة المكية التي حظيت باهتمام كبير من واقفي الكتب ، فأضيفت خلال العصر المملوكي لمكتبته الكثير من المصنفات المفيدة[٢٨٦]، ومن ذلك - على سبيل المثال - إيقاف بعض مؤلفات محمد ابن عيسى بن سالم الأزدي الدوسي ، المعروف بابن حنيش (ت ٦٧٤هـ) في رباط ربيع[٢٨٧]. كما وقف عبد الله ابن أبي بكر الكردي (ت ٧٨٥هـ) أيضاً كتباً كثيرة فيه[٢٨٨]. وكان علي بن محمد بن سند المصري - الفراش بالمسجد الحرام - (ت ٨٢٧هـ) قد اقتنى مكتبة خاصة ، تبرع بها وقفاً على رباط ربيع أيضاً[٢٨٩].

وإلى هذا الرباط نقلت أيضاً الكثير من المكتبات الخاصة بعد وفاة أصحابها الذين أوصوا بذلك ، ومن هؤلاء مكتبة إمام القراءات عبد الرحمن بن أحمد بن عياش الدمشقي نزيل مكة (ت ٨٥٣هـ) ، يقول نجم الدين ابن فهد عنه[٢٩٠]: "وحصل جملة من كتب القراءات وغيرها ، وأوقفها على نفسه ، ثم على من سيحدثه الله له من الولد ، ثم على

سائر المسلمين ، وجعل مقرها بعد موتهم برباط ربيع من مكة المشرفة ، فلم يعقب ، فنقلت بعد موته إلى الرباط المذكور ، فانتفع بها المسلمون" . وكذلك محمد بن علي بن هاشم بن غزوان الهاشمي المكي (ت ٨٥٩هـ) الذي نسخ بنفسه الكثير من الكتب ، ثم أوصى بوقفها بعد موته ، فوضعت برباط ربيع[٢٩١]. وكان عبد الكبير بن عبد الله بن حميد الأنصاري الحضرمي (ت ٨٦٩هـ) قد أوصى بوقف مجموعة من كتبه في هذا الرباط بعد وفاته، وكان من نزلائه[٢٩٢].

ورغم الاهتمام بكتب رباط ربيع ، والعناية بحفظها عن طريق تعيين خازن يتعهد حفظ كتبه[٢٩٣]، إلا أنها قد تعرّضت في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري للضياع ، وذلك بسبب إهمال القائم عليها وتفريطه ، يقول السخاوي مبيناً ذلك في ترجمته لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم اليماني (ت ٨٨٢هـ)[٢٩٤]: " وقد فرّط في ذلك من كتب الرباط بعاريتها لمن لا يعرفه أو لمن يختلسها مما لا تحامل عليه صلاحيته وغفلته " .

ويتضح مما سبق أن رباط ربيع قد ضم خلال العصر المملوكي أكبر مكتبة عامة في مكة ، بعد أن أوقفت عليه الكثير من الكتب إبان هذا العصر ، وضمت إليه العديد من المكتبات الخاصة ، والتي تحوي في مجملها أصنافاً شتى من العلوم والفنون المختلفة .

ومن الأربطة التي نالت نصيبها من المهتمين بالوراقة في مكة خلال العصر المملوكي رباط الخوزي حيث ذكر الفاسي أن محمود بن جمال الدين أبي طاهر الهروي الناسخ - المجاور بمكة (ت ٧٩٦هـ) كان ممن "كتب بخطه الكثير، ووقف كتباً في الحديث والفقه ، وجعل مقرها برباط الخوزي بمكة "[٢٩٥]. وفي هذا الرباط وقف أحمد بن سليمان ابن أحمد المعروف بالتروجي المصري (ت ٨١٢هـ) عدة كتب ، وكان ممن استقر في هذا الرباط حتى وفاته[٢٩٦].

وفي رباط السدرة وقف محمد بن محمد بن عمر الهندي الكابلي إمام مقام الحنفية بمكة مجموعة من الكتب التي نسخها بنفسه ، يقول الفاسي مشيراً إلى ذلك[٢٩٧]: "كتب بخطه كثيراً ، ووقف جملة " ، ثم أكد المقريزي ذلك عندما قال[٢٩٨]: " وكتب بخطه كتباً كثيرة في الفقه وغيره ، ووقفها جميعاً برباط السدرة " .

ووقف إبراهيم بن عيسى بن إبراهيم الشرعبي اليمني (ت ٨٩٦هـ) مجموعة من الكتب القيمة برباط الصفا بمكة[٢٩٩]. كما وجدت مجموعة من الكتب في رباط الموفق[٣٠٠]. وكذلك رباط ابن الزمن[٣٠١].

ثانياً : ظهور المكتبات الخاصة وتنميتها :

أسهم تطور أعمال الوراقة وتكاثر الوراقين وتنوعهم في مكة في تزايد أعداد المكتبات الخاصة في أوساط المجتمع المكي ، فشكلت زيادتها - كماً وكيفاً - ظاهرة صحية فريدة ، تميزت بها مكة إبان العصر المملوكي .

وكانت المعرفة بالنساخة والاشتغال بها ، فضلاً عن توافر العلماء ، وانتشار الكتب المتنوعة في مكة ، سبيلاً لنشوء بعض المكتبات الخاصة عند عدد من العلماء والطلاب الذين سعوا في التوريق لأنفسهم بنسخ الكتب المختلفة ، مستغلين الفرص المتوفرة لهم في هذا المجال . وتحفل المصادر بالإشارة لعدد من المكيين والنزلاء الذين كونوا مكتبات خاصة ، بعد نسخهم مجموعات من الكتب المفيدة في تخصصات مختلفة ، وكان من أبرزهم - على سبيل المثال - أحمد بن علي بن أبي بكر العبدري الميورقي (ت ٧٧٨هـ) وكان من علماء مكة الأفاضل الذي استفاد منه طلاب العلم بمكة ، وقد كتب بخطه تعاليق كثيرة مشتملة على فوائد جمة ، ووقفها مع كتبه بوج في الطائف، حين سكنها في آخر حياته[٣٠٢]. وأحمد بن محمد بن عماد الدمنهوري العطار (ت ٨١٦هـ) والذي استغل معرفته بالنسخ في تحصيل مجموعة من الكتب المهمة لنفسه[٣٠٣]. والإمام البارع النحوي محمد بن أبي بكر بن علي بن

يوسف الذوري ، المعروف بالمرجاني (ت ٨٢٧هـ) ، وكان ممن رحل في طلب العلم ، وعُني بفنون عدة ، ومهر بالعربية ومتعلقاتها ، كما درّس في مكة وأفاد ، وصنّف فأجاد ، وملك كتباً كثيرة نفيسة ، وكان محسناً بعاريتها[٣٠٤]، ولا نستبعد أن تحصيل المرجاني لهذه الكتب كان بالنسخ والشراء أيضاً ، فقد كُلّف - بالإضافة لما عُرف عنه من جودة لكتابته وسرعتها - من قِبل حاكم اليمن الرسولي الملك الأشرف الثاني (٧٧٨-٨٠٣هـ) بتحصيل الكتب له من بعض الأمصار[٣٠٥]، مما سيدفعه - بلا شك - لتحصيل شيء منها لنفسه خلال ذلك . ومنهم الإمام المؤرخ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت ٨٣٢هـ) الذي استطاع جمع مكتبة قيمة ضمت مصنفاته ، ومصنفات أخرى نسخها بنفسه في مكة وغيرها[٣٠٦]. وبهاء الدين محمد بن أحمد بن الضياء المكي (ت ٨٥٤هـ) والذي وصفه نجم الدين ابن فهد بقوله[٣٠٧]: " كان إماماً عالماً ، متقدماً في فنون كالفقه والأصولين ومشاركاً في غيرها ، حسن الكتابة والتقييد ، كثير المطالعة والانتقاء ، ودرّس وأفتى وصنف ونظم ، وانتفع به جماعة " . وقد استطاع ابن الضياء هذا تكوين مكتبة قيمة ومليئة بنفائس الكتب مما نسخه بخطه الحسن من مصنفات بعض العلماء، أو من مصنفاته العديدة التي ألفها في التفسير والحديث والفقه وغيرها[٣٠٨]. ورضي الدين أبو حامد محمد بن أحمد بن الضياء المكي (ت ٨٥٨هـ) "وكان إماماً علامة، مشاركاً في فنون ، كثير المطالعة والانتقاء ، وكتب بخطه الكثير ... واقتنى كثيراً من الكتب"[٣٠٩]. والعالم الفاضل محمد بن علي بن هاشم بن علي بن غزوان الهاشمي (ت ٨٥٩هـ) وكانت لديه مكتبة خاصة جمعها بخطه الحسن[٣١٠]. ومحمد بن حسن بن إلياس الرومي المكي (ت ٨٦٠هـ) الذي جمع كتباً بخطه وبخط غيره من الوراقين ، وكان قد رحل إلى القاهرة لطلب العلم، وتميز بالفقه[٣١١]، ويبدو أنه عاد من القاهرة ومعه شيء من هذه الكتب ، التي نتوقع - أيضاً - ومن خلال اهتماماته أن غالبيتها من الكتب الفقهية . ومنهم حسين بن حسن بن حسين بن علي الغازي الشيرازي الشهير بالفتحي نزيل مكة (ت ٨٩٥هـ) وكان ممن عُرف بجودة خطه ، وبه حصل على أشياء من الكتب التي أعجبته[٣١٢]، كما أضاف إلى مكتبته مجموعة من الكتب الأخرى التي حصلها بخط غيره[٣١٣]. وإسماعيل بن محمد بن الأمين المليكي اليمني نزيل مكة الذي استغل معرفته بالنسخ في الحصول على بعض المجاميع المفيدة[٣١٤].

بيد أن فئة من الوراقين - خصوصاً المهتمين بطلب العلم منهم - قد فطنت - وهي في خضم التكسب من النسخ للآخرين - إلى ضرورة اغتنام فرصة تيسر العديد من المصنفات القيمة بين أيديهم ، فراحوا ينسخون لأنفسهم منها ما يحسون بأهميته وقيمته العلمية ، مكونين في النهاية مكتبات خاصة ، يستفيدون منها متى أرادوا ذلك . ومن هؤلاء - مثلاً - الإمام الحافظ محمد بن موسى ابن علي بن عبد الصمد المكي المراكشي (ت ٨٢٣هـ) الذي قال عنه البريهي[٣١٥]: "وكان لديه من المعارف وفرائد اللطائف وغرائب الفوائد ما يدل على ارتفاع قدره وظهور بدره" . وكان ممن شُهر بكثرة نسخ الكتب والدقة المتناهية في ذلك ، وبخطه جمع منها الشي الكثير مكوناً لنفسه مكتبة قيمة ، فتح أبوابها لطلبة العلم في مكة ، ثم انتقل بها آخر الأمر إلى مدينة زبيد[٣١٦]. وعلي بن إبراهيم بن علي بن راشد الإبي ، نزيل مكة (ت ٨٥٩هـ) الذي " كتب بخطه الحسن الكثير لنفسه ولغيره ... وجمع مجاميع حسنة وفوائد مهمة "[٣١٧]. وأحمد بن علي بن عمر الكلاعي اليمني (ت ٨٦٣هـ) ، وكان ممن ركز اهتمامه على علم القراءات ، وبرز فيها ، وعليه تتلمذ الكثير من طلبة العلم بمكة ، وكان قد كتب لنفسه بعض الكتب[٣١٨]، لا نستبعد كون أكثرها من كتب علم القراءات التي اهتم بها - كما

وضحنا. وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الهرموزي الذي عُني بدراسة التفسير والفقه والحديث والنحو كما جمع كتباً لنفسه من خلال اشتغاله بالنسخ، كان من أبرزها كتب الإمام السخاوي(٣١٩). ومحمد بن عبد الله الشمس الصعيدي المعروف بالمدني ، نزيل مكة (ت ٨٩١هـ) وقد كتب لنفسه جملة من الكتب ، وربما كتب للناس أيضاً(٣٢٠).

وقد اقتضى حرص عدد من بني فهد على العلم ورغبتهم في جمع الكتب واقتنائها ، اهتماماً ملحوظاً بالوراقة ، فما فتئوا ينسخون الكتب بأنفسهم ويجمعونها من مظانها ، حتى تكونت لدى مجموعة منهم مكتبات خاصة ، متنوعة الأحجام والتخصصات . وكان ممن نهج منهم هذا السبيل في جمع الكتب ، يحيى بن عبد الرحمن ابن أبي الخير محمد بن فهد (ت ٨٤٣هـ) وكان من الوراقين المكيين الذين أكثروا من النسخ لأنفسهم ولغيرهم، سواء في مكة ، أو خلال رحلاته العلمية المتعددة لطلب العلم(٣٢١). والإمام الحافظ تقي الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد (ت ٨٧١هـ) الذي تُعد مكتبته - بما ضمته من كتب متنوعة في شتى التخصصات - أكبر مكتبة خاصة في مكة آنذاك ، يقول ابنه نجم الدين عمر عن هذه المكتبة وضخامتها(٣٢٢): " واقتنى من الكتب الحسان والأصول ما لم يحصل لأحد من أهل بلده ، وكان سمح العارية بها لأهل بلده وغيرهم من الغرباء من عرف ومن لا يعرف، وهذا شيء لا يعرف لأهل بلده ، وأوقف كتبه على أولاده الذكور وأولادهم لتستمر العارية على عادتها وليحصل له الثواب والأجر وله ما نوى" . وكان معظم هذه الكتب بخطه(٣٢٣)، ومنها ما استعان في الحصول عليه ببعض النساخين(٣٢٤). كما كانت لدى ابنه نجم الدين عمر (ت ٨٨٥هـ) مكتبة أخرى اعتمد في تزويدها على معرفته بالنسخ ، سواء في مكة ، أو أثناء رحلاته العلمية لبعض الأمصار(٣٢٥)، فضلاً عن ما اشتراه من أسواق الوراقين(٣٢٦).

وهناك مكتبات أخرى خاصة قام تأسيسها - كما يظهر - على أسواق الوراقين ، فلم تذكر المصادر اشتغال أصحابها بالنسخ . وممن كانت لديه مكتبة خاصة في مكة آنذاك - مثلاً - محمد بن عبد الله بن محمد المرسي السلمي الأندلسي (ت ٦٥٥هـ) وهو أحد العلماء المبرزين ، قال عنه الدمياطي(٣٢٧): " وكان من الأئمة الفضلاء في جميع فنون العلم ، والحديث ، وعلوم القرآن ، والفقه ، والخلاف ، والأصلين ، والنحو ، واللغة ، وله قريحة حسنة ، وفهم ثاقب ، وتدقيق في المعاني . وله مصنفات في جميع ما ذكرناه من العلوم " ، وهو ممن جاور بمكة كثيراً ، وكان له في كل بلد يتنقل إليها مكتبة ثابتة يكتفي بها عن نقل كتبه(٣٢٨). ومنهم سراج الدين عمر بن محمد بن علي بن فَتُّوح الدمنهوري (ت ٧٥٢هـ) نزل مكة بعد تأهله العلمي ، وأفاد فيها ، سيما في القراءات ، وكان بارعاً أيضاً في النحو والحديث والفقه ، وقد خلّف مجموعة جيدة من الكتب(٣٢٩). والعلاّمة البارع محمد بن أحمد بن عثمان التونسي المعروف بالوانوغي ، نزيل مكة (ت ٨١٩هـ) ، قال عنه الفاسي(٣٣٠): " وكان ذا معرفة بالتفسير ، والأصلين ، والمنطق ، والعربية ، والفرائض ، والحساب ، والجبر ، والمقابلة ، وأما الفقه فمعرفته به دون ما سبق " ، وكانت له مكتبة حوت الكثير من الكتب(٣٣١). ومنهم نزيل مكة إبراهيم بن خليل بن محمد الداوي الحلبي (ت ٨٤٠هـ) الذي امتلك مكتبة خاصة غالبيتها - كما يبدو - من كتب الأدب خصوصاً المعاني والبيان ، حيث ركز عليهما كثيراً في دراسته وتدريسه(٣٣٢). وكذلك محمد بن أبي يزيد بن محمد الكيلاني المقري ، نزيل الحرمين (ت ٨٥٣هـ) وكانت لديه مكتبة صغيرة انتقل بها إلى القاهرة في آخر حياته(٣٣٣). وقاضي القضاة الإمام العلامة محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة (ت ٨٦١هـ) الذي وصفه نجم الدين ابن فهد بقوله(٣٣٤): " وبالجملة فكان فقيه

الشافعية مشاراً إليه ، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء ببلده ، وله معرفة بالأحكام مع ذكاء مفرط ، وفهم جيد ، وفطنة حسنة ، وكان بآخره يذكر أشياء مستحسنة من التاريخ والشعر ، لا تمل مجالسته " ، وقد استطاع جمع الكثير من الكتب[٣٣٥]، والتي تضم - كما يظهر من خلال اهتماماته - مصنفات في علوم الشريعة وبعض كتب التاريخ والأدب . وكذلك عبد الكبير بن عبد الله بن محمد بن حميد الأنصاري الحضرمي ، نزيل مكة (ت ٨٦٩هـ) ، وكانت لديه مكتبة أوصى بوقفها على رباط ربيع بعد وفاته[٣٣٦]. ومحمد بن محمد بن أحمد النويري (ت ٨٧٣هـ) الذي جمع مكتبة حوت الكثير من نفائس الكتب[٣٣٧]. وأبو العزم محمد بن محمد بن يوسف القدسي الحلاوي ، نزيل مكة (ت ٨٨٣هـ) وكان من المتفرغين لتدريس النحو في مكة ، قال السخاوي[٣٣٨]: " ... وجد له من النقد والكتب ما لم يكن في الظن " . ومحمد بن محمد بن محمد بن شرف الدين الرميثي الخراساني ، نزيل مكة (ت ٨٩٥هـ) والذي جمع كتباً نفيسة ، لكنها - كما ذكر السخاوي - غير مقابلة ، بل كثيرة السقم[٣٣٩].

وكان جماعة ممن قدموا مكة للاستيطان قد اصطحبوا مكتباتهم الخاصة ، والتي انتقوها - بلا شك - من مظان مختلفة ومشارب شتى ، مما سيؤثر إيجاباً على الحياة العلمية في مكة ، بعد أن تستقبل المزيد من الكتب والمصنفات الجديدة على الساحة . ومن هذه الفئة ؛ محمد ابن أحمد بن حاجي التبريزي المقدسي المعروف بابن عذيبة (ت ٨٣٥هـ) وكان ممن عُني بدراسة اللغة العربية والتفسير والقراءات ، واقتنى مجموعة من الكتب القيمة[٣٤٠]. وإبراهيم بن خليل بن محمد الداوي الحلبي (ت ٨٤٠هـ) الذي قدم إلى مكة بعد سنة ٨٣٠هـ وأقام فيها مدرساً ومفتياً حتى وافاه الأجل ، وكانت لديه مكتبة قيمة قدم بها إلى مكة ، ثم أوقفها على طلبة العلم[٣٤١]. وعلي بن محمد ابن محمد بن علي التميمي الجيزي المعروف بابن الجريش (ت ٨٨٠هـ) ، وكان قد استغل ثراءه في تحصيل الكتب ، واقتنى منها الكثير من النفائس ، حتى ذكر أن قيمتها تساوي أربعة آلاف دينار[٣٤٢]، وقد نزل مكة في آخر حياته بعد أن حمل إليها جميع كتبه[٣٤٣].

ومن العلماء من وجد في توافر المصنفات المختلفة وتكاثرها عن طريق الوراقين في مكة آنذاك فرصة لجمع بعض الكتب المهمة ، يستفيد منها في تحضير دروسه العلمية ، وتخدمه في تأليف بعض الكتب ، ومن هؤلاء - على سبيل المثال - إبراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة (ت ٨٩١هـ) الذي يقول عنه السخاوي[٣٤٤]: "وقد حصل من تصانيفي جملة اغتبط بها، ورأى أنها في مقصودها أتم وصلة بحيث ينقل عنها في دروسه ، ويتعقل ما فيها من بليغ القول ونفيسه ، ويحسن مشيه فيها وسيره لكونه لا يقدم على مصنفها غيره " .

وهناك من أصحاب المكتبات الخاصة في مكة من ركز على جمع فئة معينة من الكتب المتخصصة في علوم مذهب أو فرقة معينة ، مستغلين تحمس بعض النساخ في نشر كتب بعض المذاهب - كما أشرنا . وبطبيعة الحال فإن هذا النوع من المكتبات محدود في عدده ومحتوياته . ومن ذلك محمد بن حسين بن محمد الكردي المقدسي ، نزيل مكة (ت ٨٤٣هـ) قد عُني - رغم اهتماماته الطبية - باقتناء كتب ابن عربي [٣٤٥]. وكذلك محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن عَزْم التميمي التونسي ، نزيل مكة (ت ٨٩١هـ) ، وهو ممن حرص على جمع كتب ابن عربي ، وخلّف بعد وفاته مجموعة كبيرة منها[٣٤٦].

ثالثاً : إثراء الأسواق بالكتب :

إن النظرة الشاملة والمتفحصة للحياة العلمية بمختلف جوانبها في مكة إبان العصر المملوكي تفضي بنا إلى أثر آخر أسهم من خلاله الوراقون في إثراء الحياة العلمية

وتطورها في مكة آنذاك، حيث حملت هذه الفئة على عاتقها مدّ المنتمين للعلم والمشتغلين فيه من العلماء والطلاب على حد سواء بما يحتاجون من مصنفات قامت عليها الدروس والحلق العلمية المختلفة في المسجد الحرام وغيره، كما جدّت هذه الفئة في توفير كتب أخرى كانت محط أنظار العلماء والطلاب على اختلاف رغباتهم وتباين أصقاعهم واهتماماتهم.

وتنقسم الكتب التي عُني بها الوراقون في مكة خلال العصر المملوكي إلى نوعين ؛ النوع الأول عبارة عن أمهات الكتب المشهورة في فنون العلم الإسلامية المختلفة ، سيما الشرعية منها ، ويدخل في الإطار نفسه ما تعاقب على هذه المصنفات من شروحات وتفسيرات مهمة وقيمة . أما النوع الثاني فكان مصنفات العلماء والأئمة المعاصرين ، سيما منهم من انتصب للتعليم والإفادة في مكة آنذاك ، وعنوا بتدريس مصنفاتهم فيها ، أو منح الطلاب إجازات علمية برواياتها ونشرها .

وقد دفعت الرغبة في تزويد المسجد الحرام وغيره من المساجد في مكة بالمصاحف ، والحرص على خدمة المصدر الأول للتشريع الإسلامي ونشره ، فضلاً عن تلبية حاجات القادمين من الحجاج والمعتمرين - النساخ على اختلاف أصنافهم في مكة لتوجيه عناية فائقة بالمصحف الشريف ، فحرصوا على تكرار نسخه ، مع العناية بإتقانه وضبطه ، والتأنق في خطه وتذهيبه وتجليده .

وممن أشارت المصادر إلى عنايته آنذاك بنسخ المصاحف - سواء من المكيين أو النزلاء والمجاورين - محمد بن إسماعيل بن يوسف الحلبي نزيل مكة (ت ٨١٤هـ) الذي قال عنه الفاسي[٣٤٧]: " كتب مائة وأربع وثمانين مصحفاً ، وربعة ، بقطع لطيف وكبير . جميعها مكتوباً ومضبوطاً على الرسم العثماني . وأنه كتب ذلك من صدره ، وأن بعض ما كتبه من هذا العدد ، وذلك أزيد من الربع مكتوب بالقراءات السبع ، وعدة علوم " . وبيّن - أيضاً - الفاسي[٣٤٨] والمقريزي[٣٤٩] أن الحلبي هذا كتب لتلك العلوم ديباجة لكل مصحف عدة أوراق بيّن فيها ما وضعه فيه من العلوم . كما أشار المقريزي[٣٥٠] إلى أن محمد ابن إسماعيل هذا كان يكتب المصحف الواحد في أربعين يوماً، ثم مع التمرس في الكتابة وإجادتها بدأ يكتب المصحف في ثلاثين يوماً . وكان أحمد بن أحمد بن محمود بن موسى المقدسي المعروف بالعجيمي (ت ٨٦٥هـ) قد شُهر بإتقان كتابة المصاحف على مستوى الأمصار الإسلامية ، يقول السخاوي[٣٥١]: "وتكسب بكتابة المصاحف ، وكان متقناً فيها ، مقصوداً من الآفاق بسببها، وحج غير مرة وجاور" . وكذلك إبراهيم بن أحمد بن عثمان الدمشقي القاهري (ت ٨٨٤هـ) الذي جاور أكثر من مرة في مكة ، ثم سكنها في آخر حياته ، وفيها كتب عدة مصاحف[٣٥٢].

ورغم أن المصادر المتاحة تشح علينا في معرفة أسماء الكثير من الكتب التي قام الوراقون بنسخها آنذاك - حيث تكتفي في الغالب بذكر الوراقين ، وتشير إلى كثرة اشتغالهم بالنسخ ، دون أن تركز على نوعية الكتب المنسوخة أو أسمائها - فإننا نستطيع الوقوف على الجهد المبذول من الوراقين في نشر الكتب في مكة، وأسماء كثير منها، من خلال الاطلاع على الكتب والرسائل المتداولة بين أوساط العلماء والطلاب فيها في تلك الفترة[٣٥٣].

وقد فرضت مكانة كتب السنة الستة المشهورة عند المسلمين عامة ، سيما صحيح البخاري وصحيح مسلم ، مزيداً من التركيز على نسخها ، بل تعدت العناية بها إلى الاهتمام بما ألحق بهذه الكتب من شروح مهمة[٣٥٤]. كما امتدت جهود الوراقين لعدد آخر من كتب الحديث وأصوله مما كان الطلب قائماً عليه[٣٥٥].

كما عُني الوراقون بنسخ عدد من الكتب الرائجة في التفسير والقراءات وغيرها من علوم القرآن[٣٥٦].

أما الكتب الفقهية فقد نالت بمختلف مذاهبها

نصيباً وافراً من جهود الوراقين الذين لم يألوا جهداً في نسخها وبيعها في الأسواق المكية . ورغم أن هذه الإسهامات قد شملت - بلا شك - نشر كتب المذاهب الفقهية المعروفة، إلا أن كثرة المنتمين في مكة للمذهب الشافعي ، وتركيز عدد من الحلق والمدارس والدروس الخاصة على تدريسه - كما ذكرنا سابقاً ، فضلاً عن كونه المذهب الرسمي المقدم على غيره في مكة آنذاك ، قد حتمت ميل النساخ وصرفتهم لنشر كتب هذا المذهب والاهتمام بها أكثر من غيرها(٣٥٧).

وبنصيب أقل شارك الوراقون - أيضاً - في إثراء الساحة العلمية بنسخ وتوفير عدد من الكتب والمصنفات المهمة في بعض العلوم الأخرى ، كبعض المصنفات المهمة في السيرة النبوية(٣٥٨)، وعدد من كتب التاريخ المشهورة(٣٥٩)، إضافة لكتب أخرى تخدم اللغة العربية وعلومها(٣٦٠)، فضلاً عن بعض كتب الأذكار والأدعية والأوراد(٣٦١)، وبعض كتب التصوف التي أقبل عليها قلة من الناس في مكة آنذاك(٣٦٢).

وهناك كتب أخرى ساعد مصنفوها على رواجها في الأسواق المكية بعد أن قاموا بتوريقها بأنفسهم ، أو عهدوا بذلك لأحد النساخ ؛ ومن ذلك - على سبيل المثال - الإمام السخاوي (ت ٩٠٢هـ) الذي انتشرت كتبه على نطاق واسع في مكة ، وكثر طلب العلماء والطلاب لها ، مستغلين مجاوراته المتعددة في مكة للحصول على مصنفاته ، والإذن بروايتها وتدريسها ، يقول السخاوي - على سبيل المثال - عن كتابه الذي ألفه في ابن حجر(٣٦٣): " وأفردت له ترجمة حافلة لا تفي ببعض أحواله في مجلد ضخم أو مجلدين كتبها بعض الأئمة عني وانتشرت نسخها وحدثت بها الأكابر غير مرة بكل من مكة والقاهرة وأرجو كما شهد به غير واحد أن تكون غاية في بابها، سميتها الجواهر والدرر". وقد عُرف عن السخاوي الحرص الشديد على نشر كتبه وتغطية الإقبال المتزايد عليها في مكة آنذاك بتوريقها بنفسه ، أو عن طريق نساخ يكلفهم بهذا العمل(٣٦٤).

وكان كتاب خليل بن هارون بن مهدي الجزائري نزيل مكة (ت ٨٢٦هـ) وعنوانه: "تذكرة الإعداد ليوم المعاد" من الكتب التي راجت بشكل واسع في مكة عن طريق مصنفه الذي كان ينسخه بخط يده في مجلد ، في الوقت الذي يكتب بخط غيره في مجلدين(٣٦٥). كما قام محمد بن أحمد بن موسى الكفيري العجلوني الدمشقي (ت ٨٣١هـ) الذي جاور بمكة سنة ٨٢٧هـ وحدث بها ، بتصنيف كتاب "التلويح في معرفة الجامع الصحيح" ، وكتب الكثير بخطه لنفسه ولغيره(٣٦٦). أما الإمام تقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢هـ) فقد حرص على نشر كتبه ، وحث الطلاب على نسخها وقرأتها(٣٦٧)، كما عُرف عنه - أيضاً - كثرة النسخ(٣٦٨).

ومن المصنفين الوراقين - أيضاً - والإمام المؤرخ تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ) الذي شُهر برغبته الدائمة في نسخ مصنفه " إمتاع الأسماع فيما للنبي ﷺ من الحفدة والمتاع " في مكة(٣٦٩). وموسى بن أحمد بن موسى الذؤالي الصريفيني المعروف بالمكشكش الذي قام وهو في مكة باختصار كتاب طبقات صلحاء اليمن للبريهي ، ونسخه(٣٧٠). ومنهم - أيضاً - أحمد بن محمد بن عبد المعطي بن طراد الأنصاري النحوي (ت ٧٨٨هـ) الذي صنف في بعض العلوم ، وكتب بخطه الحسن كثيراً(٣٧١).

وينبغي أن لا ننسى ونحن في ختام الحديث عن هذا الموضوع أثر الوراقين في نشر الكتب خارج محيط مكة ، وذلك عن طريق ما يحرص على اصطحابه الوافدون إلى مكة من كتب مختلفة في رحلة العودة إلى بلادهم(٣٧٢)، أو تلك التي تخرج من مكة بواسطة بعض المكيين الذين يرحلون إلى بعض البلدان الإسلامية لطلب العلم أو التجارة أو غير ذلك ، وفي معيتهم بعض الكتب المهمة أو النادرة(٣٧٣).

رابعاً : ضبط الكتب ومقابلتها والتعليق عليها :

يتم عمل الوراقة وفق منهجية معرفية وفنية دقيقة يلتزم بها الوراق إذا رام نجاح عمله الوراقي ، حيث يمر

هذا العمل بخطوات متسلسلة، تبدأ بالحصول على الكتاب، ثم الترخيص بنسخه ، ثم قراءته على المؤلف أو الراوي، ثم الإجازة، فالسماح بالتداول . ويتبع هذه المنهجية بعد ذلك أمور فنية تضفي المزيد من الرونق على الكتاب المنسوخ(٣٧٤).

والمتأمل في الخطوات السابقة يرى مدى المعاناة والجهد المبذول في عملية الوراقة(٣٧٥). كما يدرك - في الوقت نفسه - الدور الكبير للوراقين المسلمين - بصفة عامة - في دعم الحياة العلمية، وفق قوانين وضوابط ثابتة ودقيقة، وأثرهم الواضح في الحفاظ على الكتاب من حيث المضمون والشكل.

ووفق الضوابط والمنهج السابق سار الوراقون المكيون في عملهم خلال العصر المملوكي ، حيث تطالعنا المصادر بأسماء عدد كبير من المكيين والنزلاء والمجاورين الذين تميزوا بخطوطهم الراقية ، وأسهموا من خلال جودة الخط وجماله وحسنه في إضفاء المزيد من القيمة والجمال، مما سيرغب - غالباً - في ما ينسخون من كتب ، ويزيد من الإقبال عليها(٣٧٦).

وحيث إن ضبط الكتب والتأكد من صحتها من أهم ما يميز مخطوطاً عن آخر(٣٧٧)، فقد أولى النساخ في مكة هذه المسألة عناية فائقة ، فحرصوا على دقة النقل ، وضرورة مطابقة الكتاب الجديد للنص المنقول منه ، وسلامته من الأخطاء اللغوية أو الإملائية أو الفنية قبل عرضه للبيع(٣٧٨). وقد ساعد على نجاح ذلك أن أكثر المشتغلين بالنسخ في مكة في تلك الفترة كانوا من العلماء وطلاب العلم - كما أشرنا في حديث سابق - حيث أهلتهم الخبرة العلمية - بطبيعة الحال - مزيداً من الضبط والإتقان والإبداع لما ينسخونه من الكتب(٣٧٩). وكان للأصالة والتميّز الذي صاحب معظم أعمال النساخ في مكة آنذاك أثره في تقدم أعمال الوراقة فيها ، فضلاً عن دعم الحركة العلمية وترسيخ ثوابتها ومقوماتها .

من جانب آخر فقد تعاهد عدد من الوراقين الذين احترفوا النساخة ، ممن كان لهم باع في بعض العلوم أو مشاركة فيها ، التعليق على الكتب وتزويدها ببعض الحواشي المفيدة والتعليقات النافعة ، مما زاد من قيمتها المادية وفائدتها العلمية . وممن أشارت المصادر لقيامه بمثل هذا الجهد من الوراقين - على سبيل المثال - أحمد ابن أبي بكر بن أحمد البريهي (ت ٨٢٥هـ) الذي قال عنه البريهي(٣٨٠) - بعد أن ذكر رحلته في طلب العلم لمكة : "واجتمع له جملة صالحة من الكتب النفيسة ، كتبها وحشّاها وضبطها أحسن ضبط حتى صارت كتبه أمهات كتب أهل الوقت " . وعلي بن محمد بن أحمد السفاقسي الشهير بابن الصباغ (ت ٨٥٥هـ) الذي كتب الخط الحسن، وعلق به على كثير من الكتب التي نسخها(٣٨١). ومحمد بن أحمد بن الضياء (ت ٨٥٨هـ) الذي قال عنه نجم الدين ابن فهد(٣٨٢): " كان إماماً مشاركاً في فنون ، كثير المطالعة الانتقاء ، وكتب بخطه الكثير ، وعلق به فوائد كثيرة " . ومنهم - أيضاً - محمد بن محمد الجمال الحموي القاهري (ت ٨٧٧هـ) المجاور في مكة الذي نسخ لنفسه مجموعة من الكتب القيمة ، بعد أن خدم بعضها بالحواشي والفوائد المتينة(٣٨٣). ومحمد بن محمد بن علي الحملي البلبيسي المعروف بابن العماد (ت ٨٨٧هـ) ، وكان ممن جاور بمكة ، وتكسب بنسخ بعض الكتب المشهورة ، والتي " أتقن تصحيحها وقيد عليها من الحواشي النافعة"(٣٨٤). ويحيى بن محمد بن محمد بن إبراهيم المرشدي المكي (ت ٨٩٢هـ) الذي تعاهد نسخ بعض الكتب التي درسها على بعض العلماء في مكة ، وفي حواشيها قيّد الكثير من المعلومات التوضيحية المفيدة(٣٨٥). وعبد المعطي بن خصيب المحمدي التونسي نزيل مكة ، وكان ممن كتب بعض مصنفات السخاوي ، ودرسها عليه في مكة ، كما علق بهوامشها خلال ذلك تعليقات مفيدة(٣٨٦).

الخاتمة :

إن الحديث السابق الذي يسر لنا الوقوف على طبيعة أعمال الوراقة، ومدى انتشارها في مكة، وأثر الوراقين على الحياة العلمية فيها خلال العصر المملوكي ، قد أبان لنا بعض الحقائق التي وضّحت الواقع الفعلي للوراقة والوراقين في مكة آنذاك، كما كشف لنا عن كثير من النتائج التي نخال أنها أضافت جديداً في مجالها، وسوف نوجز في السطور التالية بعض ما توصلنا إليه منها :

- تبيّن من خلال الدراسة كثرة عدد المشتغلين بالوراقة في مكة خلال العصر المملوكي عنه في بقية العصور السابقة ، سيما في مجالات النسخ ، وإقبالهم بنهم وجدّية على هذا العمل . كما اتضح اختلاف أجناس الوراقين ، وتنوع مشاربهم وثقافاتهم .

- أنه بالرغم من صعوبة العمل في مجال الوراقة ومشقته ، إلا أن هذه المهنة كانت مهنة سامية وشريفة ، حيث كان أغلب المشتغلين فيها - كما رأينا - من العلماء وطلاب العلم . كما كانت - في الوقت نفسه - مهنة مربحة، وقد شاهدنا كيف أغرى العمل فيها مجموعة كبيرة من أبناء الأمصار للنزول في مكة أو المجاورة فيها .

- وقد نتج عن الحضور القوي للوراقين في مكة إثراء متواصل لأسواقها بالكتب ، فتعددت أماكن البيع ، كما تنوعت معروضاتها من الكتب ، ومع ذلك فإن تأثير الزمان والمكان قد فرض الطابع الديني على اهتمامات الوراقين وما ينسخون من كتب .

- ومن جانب آخر فقد أتاح توافر الكتب وتنوعها في الأسواق المكية الفرصة لكثير من الوافدين للحج أو العمرة لأخذ ما يحتاجونه منها أثناء رحلة العودة ، فكانت مكة آنذاك معيناً لا ينضب لتزويد القادمين إلى مكة - فضلاً عن المرتحلين من أبنائها لبعض الأمصار - من الكتب المفيدة التي يصطحبونها للإهداء أو الرغبة في الاستفادة منها.

- وقد رأينا كيف شهدت المكتبات العامة والخاصة في مكة ، في ظل تزايد أعمال الوراقة فيها خلال العصر المملوكي ، تطوراً في الكم والكيف ، فزادت المكتبات العامة ، وكثر تزويدها بالكتب المفيدة ، سواء من واقفيها، أو غيرهم من محبي الخير ، فضلاً عن بعض النساخ الذين وفقوا لنيل شرف إهداء الكتب ووقفها على هذه الأماكن . كما تنامى الاهتمام بالمكتبات الخاصة ، فتزايدت أعدادها ، بعد أن كثر في مكة خلال العصر المملوكي محبو اقتناء الكتب وجمعها ، وحرص عدد من الوراقين على استغلال معرفتهم بالنسخ في تكوين مكتبات خاصة بهم .

- ولم يقتصر أثر الوراقين في مكة آنذاك - كما رأينا - على نسخ الكتب وتسويقها وفق المتبع في هذا العمل ، بل تعدى ذلك لما هو أهم وأبعد أثراً على الحياة العلمية ، فحرص هؤلاء الوراقون على الضبط المتناهي للكتب ، ومقابلتها ، والدقة في ذلك ، فضلاً عن قيام أعداد منهم - سيما العلماء وطلاب العلم - بالتعليق عليها ووضع الحواشي المفيدة لها .

- وقد تولد عن الطلب المتزايد لأعمال النسخ ، ورغبة البعض في الاشتغال في ذلك ، الاهتمام بتعليم الكتابة وإجادتها ، وقد رأينا كيف احترف تعليمها مجموعة من الأشخاص في مكة ، كما لاحظنا إقبال الطلاب على التعلّم على أيديهم ، والحرص على ضبط الخط وإتقانه .

- وكان أثر استقرار الأوضاع الأمنية ، فضلاً عن الثراء الاقتصادي الذي نعمت به مكة خلال فترات من العصر المملوكي واضحاً - كما رأينا - في تطور أعمال الوراقة ، حيث هيأت هذه الظروف للوراقين المكيين الأجواء الصحية المناسبة لممارسة عملهم ، كما ساعدت على جذب كثير من المشتغلين في مجال الوراقة من أبناء الأمصار الأخرى للاستقرار في مكة أو المجاورة فيها .

– وحيث أسهم الوراقون بأعمالهم المختلفة في تطور جوانب متنوعة من الحياة العلمية في مكة آنذاك – كما أشرنا ، فإننا نلحظ – ومن جانب آخر – أن ازدهار هذا الجانب في مكة خلال العصر المملوكي قد أفسح مجالات عديدة للوراقين لتقديم خدمات أكبر وجهود أفضل؛ بعد أن ظهرت في مكة بعض البيوت العلمية المعروفة ، وتوافر فيها كثير من العلماء وطلاب العلم من مكيين ونزلاء ومجاورين ، وتعددت الدروس والحلق العلمية في المساجد والمدارس والأربطة ، وتنوعت اهتماماتها ، وكثر الطلب على الكتب ، وزاد تداولها في الأوساط العلمية ، إضافة لتعدد أتباع المذاهب وحرصهم على خدمة مذاهبهم، فضلاً عن كثرة الاشتغال بالتصنيف ، ووفود بعض المهتمين بذلك إلى مكة.

إلى غير ذلك من النتائج الأخرى التي تضمنتها هذه الدراسة، التي آمل أن أكون قد ألقيت من خلالها الضوء على جانب حضاري مهم من جوانب حضارتنا الإسلامية المجيدة، وأضفت بها جديداً إلى مكتبتنا العربية الإسلامية العامرة . والله وحده المستعان ، وبه التوفيق ومنه السداد . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

١ – لسان العرب .– القاهرة : دار المعارف ، (د . ت) ، ج٨ ، ص٤٨١٥ (مادة ورق) .

٢ – القاموس المحيط .– ط١ .– بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص١١٩٨ (مادة ورق) .

٣ – الأنساب ؛ تحقيق عبد الله عمر البارودي .– ط١ .– بيروت : دار الجنان ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ج٥ ، ص٥٨٤.

٤ – صبح الأعشى في صناعة الإنشا ؛ تحقيق محمد حسين شمس الدين.– ط١ .– بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ج٢ ،٥١٦ .

٥ – معيد النعم ومبيد النقم .– ط٢ .– بيروت : دار الحداثة ، ١٩٨٥م ، ص١٣٢ .

٦ – يحيى محمود بن جنيد ، الوراقة : دراسة في المفهوم والمصطلحات . مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي ، ضمن بحوث الدورة التدريبية الدولية عن صناعة المخطوط العربي الإسلامي (١٦ ذي الحجة ١٤١٧هـ – ٩ محرم ١٤١٨هـ) ، ص١٣ .

٧ – لطف الله قاري ، الوراقة والوراقون في التاريخ الإسلامي .– ط١ .– دار الرفاعي، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص١٢ .

ويرى علي بن إبراهيم النملة أن كُتَّاب الوحي و كُتَّاب رسول الله ﷺ لا ينطبق عليهم مفهوم الوراقة، ولذلك فلا يعدون من الوراقين . (الوراقة وأشهر أعلام الوراقين "دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات" .– الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٥هـ ، ص٤٩) .

٨ – لطف الله قاري ، المرجع السابق ، ص١٣–١٤ .

٩ – شعبان خليفة ، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى .– ط١ .– القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ص١٤٩ .

١٠– قال ابن منظور : نسخ الشيء ينسخه نسخاً وانتسخه واستنسخه: اكتتبه عن معارضة . والنسخ ، اكتتابك كتاباً عن كتاب حرفاً بحرف . والكاتب ناسخ ومنتسخ . (المصدر السابق ، ج٧ ، ص٤٤٠٧ (مادة نسخ) . وأشار يحيى محمود بن جنيد إلى اقتصار هذا المصطلح على من كانوا يعملون في نسخ الكتب بالأجرة أو المكثرين بغير أجرة ، واشتق منه مصطلح النساخة مقابلاً لمصطلح التوريق عندما يقصد به نسخ

الكتاب . (الوراقة : دراسة في المفهوم والمصطلحات ، ص١٦) . وقد فضل علي بن إبراهيم النملة مصطلح الوراقة والوراقين على مصطلح النساخة والنساخين ، مشيراً إلى أن المصطلح الأول أشمل في مدلوله وأكثر عملية من مصطلح النساخة والنساخين . (الوراقة وأشهر أعلام الوراقين ، ص٢١) .

١١- شعبان خليفة ، المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

١٢- يحيى محمود بن جنيد ، المرجع السابق ، ص٢٠ .

١٣- المرجع السابق ، الصفح نفسها .

١٤- لمزيد من المعلومات حول هذه المصطلحات والمسميات ، انظر (يحيى محمود بن جنيد ، المرجع السابق ، ص١٣-١٨) .

١٥- يحيى محمود بن جنيد ، المرجع نفسه ، ص١٢ .

١٦- محمد ماهر حمادة ، المكتبات في الإسلام .- ط٣ .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨١م، ص٧٥ .

١٧- تاريخ ابن خلدون ؛ تحقيق خليل شحاتة .- ط١ .- بيروت : دار الفكر ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ج١ (المقدمة) ، ص٥٣٢ .

١٨- خزائن الكتب القديمة في العراق (منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة) .- ط٢ .- بيروت: دار الرائد العربي ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص٨ .

١٩- يقول أحمد شلبي عن بداية التجليد وتطورها عند المسلمين : " وقد بدأ التجليد عند المسلمين بسيطاً ، ولكنه تطور بسرعة عجيبة حتى أصبح فناً فيه دقة وجمال . ويضيف أحمد شلبي قائلاً : "ويحدثنا ابن إسحق النديم أن الكتب كانت تجلد بجلد مدبوغ في "النورة" وهو شديد الجفاف إلى أن ظهر دبغ الكوفة وفيه لين فاستعمل في التجليد . وكان بدء تطوره . وبعد النديم استمر تطور فن التجليد وتقدمه ثم ظهر التذهيب والزخرفة والتزويق ، فوصل التجليد عند المسلمين إلى القمة وأصبح آية في الإبداع والجمال " . (موسوعة الحضارة الإسلامية .- ط٧ .- القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٢هـ، ج٥ (التربية الإسلامية ، ص١٧٠).

٢٠- العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري .- ط١ .- الطائف : نادي الطائف الأدبي ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م ، ص١٩ .

٢١- حبيب زيات، الوراقة والوراقون في الإسلام . مجلة المشرق، س٤١، ١٩٤٧م ، ص٣١١ ؛ عبد الستار الحلوجي ، تراثنا المخطوط: دراسة في تاريخ النشأة والتطور . مجلة الدارة ، س١ ، ع٤، ص١٧٠-١٧١. وللمزيد من المعلومات عن ظهور مهنة الوراقة وتطورها عند المسلمين ، انظر (محمد ماهر حمادة ، المرجع السابق ، ص٧٢-٧٥ ؛خير الله سعيد ، وراقو بغداد في العصر العباسي .- ط١ .- الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ، ص١٦٩-١٩٥).

٢٢- يحيى محمود بن جنيد ، المرجع السابق ، ص١٢ . وللمزيد من المعلومات عن هذه الأدوات والتجهيزات ، انظر (البغدادي ، الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها ؛ تحقيق هلال ناجي ، نشر في مجلة المورد (العراق) مج٢، ع٢ ، ١٩٧٣م ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٤٦٩-٥١٥ ؛ نضال عبد العالي أمين ، أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية . مجلة المورد ، مج١٥ ، ج٤ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ؛ عبد العزيز بن راشد السنيدي ، الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث " رسالة دكتوراه " قسم التاريخ ، كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٨هـ ، ص١٥٠-١٥٥) .

٢٣- لمزيد من المعلومات حول الأخلاق والصفات والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المشتغل بالوراقة بصفة عامة ، انظر (السبكي ، معيد النعم، ص١٣١-١٣٣؛ ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم . دار الكتب العلمية، بيروت (د . ت) ، ص١٧٣-١٩٢ ؛ يحيى محمود بن جنيد ، المرجع السابق ، ص١٩-٢٠ ؛ خير الدين سعيد ، المرجع السابق ، ص٢٤٧-٢٧٥ ؛ علي بن إبراهيم النملة ، المرجع السابق ، ص٤٢-٤٧ ؛ شعبان خليفة ، المرجع السابق ، ص١٦٤-١٨٣) .

٢٤- لمزيد من المعلومات حول ازدهار الحياة العلمية في مكة خلال العصور الإسلامية الأولى، انظر - على سبيل المثال (عبد العزيز بن صالح الهلابي ، الحياة العلمية بمكة في العصر الأموي ، مجلة الدارة ، ع٣ ، ٤ ، س١٩ ، ١٤١٤هـ ؛ عبد العزيز السنيدي ، المرجع السابق .

٢٥- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار؛ تحقيق رشدي ملحس .- ط٤ .- مكة : دار الثقافة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ج٢ ، ص٢٦٣.

٢٦- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه؛ تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش .- ط١ .- مكة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ، ج٤ ، ص٢١٠.

٢٧- الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ؛ تحقيق يوسف العش .- ط٢ .- دار إحياء السنة النبوية ، (د . ت)، ص١٣٦ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان .- ط٢ .- القاهرة: دار الكتاب الإسلامي ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، ج١ ، ص١٩٧، ص٢٠٣.

٢٨- الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ص١٠٥ .

٢٩- أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني . مصور عن طبعة دار الكتب ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، ج٤ ، ص٢٥٣. وقد أشار يحيى محمود ساعاتي بأن هدف عبد الحكم من وضع هذه الكتب " كان إفادة الناس عامة وإتاحة الفرصة لهم للاطلاع داخل البيت ، وهو ما يوحي بأن عبد الحكم كانت تخامره فكرة الوقف وإن لم ينفذها بالطريقة التي انتشرت في القرن الرابع الهجري". (الوقف وبنية المكتبة العربية .- ط١ .- الرياض : مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص٣١-٣٢) .

٣٠- ابن حبان ، الثقات .- ط١ .- دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد، الهند ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج٩، ص١٣٧؛ الفاسي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ؛ تحقيق فؤاد سيد .- ط٢ .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ج١ ، ص٤٢٠.

٣١- عبد الوهاب أبو سليمان ، المرجع السابق ، ص٣٨ . وعن ظهور صناعة الورق وتطورها وانتشارها في البلدان الإسلامية ، انظر (ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٣٢-٥٣٤ ؛ محمد ماهر حمادة ، المرجع السابق ، ص٧٢-٧٥ ؛ شعبان خليفة ، المرجع السابق ، ص١٨٨-١٩٨ ؛ خير الله سعيد ، المرجع السابق ، ص١٥١-١٦٨) .

٣٢- لمزيد من المعلومات حول المواد التي يستخدمها الناس قبل ظهور الورق، انظر ؛ نضال عبد العالي أمين ، أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية ، مجلة المورد ، مج١٥ ، ع٤ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ؛ عبد العزيز السنيدي ، المرجع السابق ، ص١٥٠- ١٥٤ .

٣٣- البسوي ، المعرفة والتاريخ ؛ تحقيق أكرم ضياء العمري .- ط٢ .- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢، ص٢٥-٢٦.

٣٤- أحمد بن حنبل ، العلل ومعرفة الرجال ؛ تحقيق وصي الله عباس.- ط١ .- بيروت : المكتب الإسلامي .- الرياض : دار

الخاني ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ج٢ ، ص٣١١-٣١٢ .

٣٥- ابن إسحق النديم ، الفهرست .- بيروت: دار المعرفة، (د . ت)، ص٣١٦.

٣٦- البسوي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٠٠ .

٣٧- الفاسي ، العقد الثمين ، ج٤ ، ص٥٨٦ .

٣٨- تُعد مجالس الإملاء البدايات الأولى لظهور الوراقة والوراقين في العالم الإسلامي ، لمزيد من المعلومات ، انظر (حبيب زيات ، المرجع السابق ، ص٣١١-٣١٣ ؛ خير الله سعيد ، المرجع السابق ، ص١٥٨ وما بعدها) .

٣٩- عن هذه المجالس التي كانت تعقد في مكة أنذاك ، انظر (عبد العزيز السنيدي ، المرجع السابق ، ص١٦٨-١٧٣) .

٤٠- أحمد بن حنبل ، العلل ، ج١ ، ص٢١٨؛ البسوي، المعرفة والتاريخ، ج٢، ص٧٠٤؛ أبو زرعة الدمشقي، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ؛ تحقيق شكر الله بن نعمت الله القوجاني.- ط١ .- دمشق : مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٠م ، ج١ ، ص٥٣٣-٥٣٤ ؛ وكيع ، أخبار القضاة .- بيروت : عالم الكتب ، (د . ت) ، ج١ ، ص١٦٦ .

٤١- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢١ ، ج٥ ، ص١٠٢ ، ٢٠٥ .

٤٢- الأزرقي ، أخبار مكة ، ص٣١٢ (ملحق رقم ٣) ؛ الفاسي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٢٤-٣٢٥ ، ج٦، ص٢٧٦ ؛ نجم الدين ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ؛ تحقيق فهيم شلتوت .- ط١ .- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرّمة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ج٢، ص٥٦٤، ج٣ ، ص٦٠؛ السخاوي، في تاريخ المدينة الشريفة . عني بنشره: أسعد طرابزوني الحسيني، ١٣٩٩-١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ج٣ ، ص٧٠١ ؛ محمد لبيب البتنوني ، الرحلة الحجازية.- ط٣ .- مكتبة المعرف، الطائف ، (د . ت) ، ص٥٩ ؛ خالد محسن الجابري ، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي "رسالة ماجستير" كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٢٩٤-٣٠٤.

٤٣- ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية؛ تحقيق عبد العليم خان .- ط١ .- عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ج٢ ، ص٦٣-٦٤ .

٤٤- ولعل من أبرز ما تعرضت له مكة آنذاك هجوم القرامطة عليها وانتزاع الحجر الأسود سنة ٣١٧هـ ، وكذلك بعض الثورات المناوئة للسلطة ، فضلاً عن الصراع الحاد على الحرمين الشريفين بين العباسيين والعبيديين (الفاطميين) . للمزيد من المعلومات حول أوضاع مكة إبان هذه الفترة، انظر (نجم الدين ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، ج٣ ، ص٣٧٤ وما بعدها .

٤٥- هذا ما نلحظه من خلال تتبع كتب التاريخ والتراجم التي عنيت بمكة في شتى الجوانب التاريخية والحضارية .

٤٦- عبد الوهاب أبو سليمان ، المرجع السابق ، ص١٩ .

٤٧- الفاسي ، العقد الثمين ، ج٢ ، ص٣٤٢ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (د . ت) ، ج١١ ، ص١١١ .

٤٨- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ؛ تحقيق ، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش .- ط١ .- دار خضر ، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ج٢ ، ص١٢٤٤ .

٤٩- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٩، ص٢٨٢ .

٥٠- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٤، ص٧١ .

٥١- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١١٤٨ .

٥٢- نجم الدين ابن فهد ، المصدر

نفسه، ج١ ، ص٥٥١ ، معجم الشيوخ ، ص٩٢ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج١١ ، ص٩٢ .

٥٣- السخاوي ، المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٢٢٦ .

٥٤- ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق، ج٤ ، ص٥٥ ؛ تقي الدين ابن فهد، لحظ الألحاظ بذيل تذكرة الحفاظ للذهبي .- بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د . ت)، ص٢٥٥.

٥٥- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٧، ص٤٤ .

٥٦- المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٧٥ .

٥٧- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢١٢ .

٥٨- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٢٨-٢٢٩ ؛ المقريزي ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ؛ تحقيق محمود الحليلي .- ط١ .- بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، ج٣ ، ص١٦٥.

٥٩- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥١ .

٦٠- المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٢٢٧ .

٦١- لحظ الألحاظ ، ص٢٧٤ .

وقد رثاه بعد موته أبو الخير محمد ابن عبد القوي البِجَائي يبين مطلعها مدى اهتمامه بالنسخ وطلب العلم ، حيث قال في أولها :

من للمحابر والأقلام والكتب بعد

ابن موسى ومن للعلم والأدب

(المقريزي ، المصدر السابق ، ج٣، ص٣٦٠) .

٦٢- المصدر السابق ، ج٢ ، ص١١٥-١١٦ .

٦٣- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٧، ص١٨ .

٦٤- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٨٢١ .

٦٥- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٨٢ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٩، ص١٣ .

٦٦- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج١، ص٥٨ ؛ السخاوي، المصدر السابق ، ج٧ ، ص٨٥ .

٦٧- المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٨٣ .

٦٨- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٦٤ ، معجم الشيوخ ، ص٢١٧ .

٦٩- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٥٨ .

٧٠- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٤٦ .

٧١- المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣٠ .

٧٢- السخاوي ، المصدر السابق ، ج١، ص١٢٧ . ونظراً لاعتمادنا في الوصول إلى بعض المعلومات على السخاوي الذي ترجم في الضوء اللامع لعدد من معاصريه فسيلاحظ المطلع على هذه الدراسة عدم ذكر سني وفيات بعض الأشخاص ، الذين ترجمهم السخاوي ولا زالوا على قيد الحياة.

٧٣- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص١٧٤ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٧٧ .

٧٤- السخاوي ، المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٨١ .

٧٥- المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٢٥٤ .

٧٦- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٧٤ .

٧٧- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص١٠٢ .

٧٨- المصدر نفسه ، ج١١، ص٣٥-٣٦.

٧٩- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص١١٥ .

٨٠- المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٤٦ .

٨١- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢ ، ص٨٤٨ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٠٧ .

٨٢- السخاوي ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٩٦ .

٨٣- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٦٦ .

٨٤- المصدر نفسه ، ج١ ، ص١١٤ .

٨٥- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٩٠ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ؛ تحقيق لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة . منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت (د . ت) ، ج٨ ، ص ١٤١ ؛ عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي ، أعلام المكيين (من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر) .- ط١ .- لندن: مؤسسة االفرقان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج١ ، ص١٤٨ .

٨٦- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢ ، ص٩٨٧ .

٨٧- السخاوي ، المصدر السابق ، ج١٠، ص١٥٤ .

٨٨- المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٦٤ .

٨٩- المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٤٢ .

٩٠- الدر الكمين ، ج٢ ، ص١٢٤٧ .

٩١- المصدر السابق ، ج٦ ، ص٣١٨ .

٩٢- هذا ما سوف نتحدث عنه في موضوع قادم ، بإذن الله .

٩٣- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢ ، ص١٢٢٩ .

٩٤- الفاسي ، العقد الثمين ، ج٣ ، ص١٥٠ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي المستوفي بعد الوافي ؛ تحقيق محمد محمد أمين .- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م ، ج٢ ، ص١٥٦.

٩٥- المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣٧ .

٩٦- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٠ .

٩٧- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣١٩ .

٩٨- ابن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ .- ط٢.- دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ج٤ ، ص٨٧ ؛ ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص١١ .

٩٩- ابن حجر ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص١١٤ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٤-١٥ .

١٠٠- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٤٥٧ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص١٥٠ .

١٠١- الفاسي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٤١٧-٤١٨ ؛ المقريزي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ٩١-٩٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ، ج٧، ص٤١-٤٢.

١٠٢- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٥٨ . السخاوي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٥٩ .

١٠٣- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين، ج٢ ، ص٧٢٢ .

١٠٤- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٢٤ .

١٠٥- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٦٣٥ .

١٠٦- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٦٨٣ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٠٧.

١٠٧- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٨٠-٤٨٤ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٢، ص٢٨-٢٩ .

١٠٨- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٦، ص١١٩ .

١٠٩- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٥١ .

١١٠- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين، ج١ ، ص٦٩٩-٧٠٢ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٣٩-١٤٤ .

١١١- السخاوي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٢٢ .

١١٢- المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٧٧ .

١١٣- المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٩٨ .

١١٤- المصدر نفسه ، ج٦، ص٤٨-٤٩.

١١٥- المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٣٣ .

١١٦- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٦٨ .

١١٧- ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٧٩ .

١١٨- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٩٩٨ .

١١٩- السخاوي ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٢٦٦ .

١٢٠- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٩٥٣ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٥، ص١٠٦ .

١٢١- السخاوي ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص١٤ .

١٢٢- المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٦ .

١٢٣- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٢٦ .

١٢٤- المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١١ .

١٢٥- المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢ .

١٢٦- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٦٩ .

١٢٧- المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٨١ .

١٢٨- المصدر نفسه ، ج٨ ، ص١٣٧ .

١٢٩- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص١٣٧ .

١٣٠- العقد الثمين ، ج٥ ، ص٤٤٤ .

١٣١- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٢٧ .

١٣٢- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٦، ص١٧-١٨ .

١٣٣- المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٢١ .

١٣٤- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص١١٦ .

١٣٥- الفاسي ، المصدر السابق ، ص٢٤٩ .

١٣٦- المقريزي ، درر العقود ، ج١ ، ص٧٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر ، ج٧ ، ص٢٩-٣٠ . وقد ذكره ابن حجر العسقلاني مرتين وذلك في وفيات سنة ٨١٤هـ، وكذلك في وفيات سنة ٨١٥هـ . وذكر أن اسمه إبراهيم بن أحمد بن حسين. (المصدر السابق ، ج٧، ص٢٩ ، ٨٧) . كما ذكر المقريزي أن اسمه إبراهيم بن أحمد . (المصدر السابق ، ج١ ، ص٧٠) .

١٣٧- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٢، ص٢٢٠ .

١٣٨- الفاسي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٤١٢ .

١٣٩- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ابن فهد ، الدر الكمين ، ج٢ ، ص٩٤٦ ، معجم الشيوخ ، ص١٥٧ ؛ السخاوي ؛ المصدر السابق ، ج٥ ، ص٩٢ ، ج٣ ، ص٩٧ .

١٤٠- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٣٣٤ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١١ ، ص١٣٦ .

١٤١- السخاوي ، المصدر نفسه ، ج١٠، ١٤٦ .

١٤٢- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٥٠ .

١٤٣- المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٦ .

١٤٤- المصدر نفسه ، ج٨ ، ص١١٨ .

١٤٥- المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٢٠٦ .

١٤٦- المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٦٩ .

١٤٧- المصدر نفسه ، ج٦ ، ص١٦٥ .

١٤٨- المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٠٢ .

١٤٩- المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٧ .

١٥٠- المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٧٩ .

١٥١- المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٢٢٥ .

١٥٢- عز الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٢٥٠ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٢٥٥ .

١٥٣- السخاوي ، المصدر نفسه ، ج١٠، ص٢٦٦ .

١٥٤- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١ ، ص٤١٥-٤١٨ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٢ ، ص٢٢ .

١٥٥- المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦١ .

١٥٦- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٧٥ .

١٥٧- المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٤٤ .

١٥٨- المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٠ .

١٥٩- المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٨٤ .

١٦٠- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٤ .

١٦١- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٣٢ .

١٦٢- المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٢٣٥ .

١٦٣- المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٤٧ .

١٦٤- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٨٧ .

١٦٥- المصدر نفسه، ج٦، ص٣٠٢-٣٠٣.

١٦٦- المصدر نفسه ، ج٩ ، ص١٢٩ .

١٦٧- المصدر نفسه ، ج٩ ، ص١٩٩ .

١٦٨- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٥ .

١٦٩- وكان ممن جاور من مصر بمكة من المشتغلين بالوراقة – على سبيل المثال – كل من : عبد الرحمن ابن علي بن خلف الفارسكوري (ت ٨٠٨هـ) ، ومحمد بن محمد بن أسعد بن عبد الكريم القاياتي (ت ٨٠٨هـ) ، وشعبان بن محمد بن داود الموصلي المصري المعروف بالآثاري (ت ٨٢٨هـ) ، وخليل بن أحمد بن جمعة الغرس البهائي (ت ٨٤٣هـ) ، وإبراهيم بن خضر ابن أحمد العثماني الصعيدي القصوري (ت ٨٥٢هـ) ، ورضوان ابن محمد بن يوسف بن سلامة العقبي المقرئ (ت ٨٥٢هـ) ، وعبد الرحمن بن أحمد بن محمد ابن عرندة المحلي المعروف بابن الوجيزي (ت ٨٥٢هـ) ، ومحمد بن محمود الكيلاني القاهري الشهير بابن العجمي (ت ٨٥٩هـ) ، ومحمود بن علي بن عبد العزيز الهندي السرياقوسي (ت ٨٦٥هـ)، ويحيى بن يوسف بن يحيى بن محمد الكرماني الأصل القاهري ، ومحمد بن أحمد بن سليمان بن عيسى البدماصي البسطي ، ومحمد بن عبد الوهاب بن محمد ابن أحمد الرضي المعروف بابن الطرابلسي (ت ٨٦٨هـ) ، ومحمد ابن عبد الحق بن أحمد السنباطي (ت ٨٧٠هـ) ، وعثمان بن عبد الله ابن عثمان الحسيني المقسي

(ت ٨٧٧هـ) ، ومحمود بن محمد ابن عمر الشيشني المحلي المعروف بابن القطب (ت ٨٧٨هـ) ، وأبو بكر بن علي السماسمي الخانكي المعروف بابن شتات (ت حوالي ٨٨٠هـ) ، ومحمد بن محمد بن الخضر العلاء بن الشرف الدمنهوري (ت ٨٨٢هـ) ، الناسخ (ت ٨٨٦هـ) ، وأحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي (ت ٨٨٧هـ) ، ومحمد بن محمد بن أحمد بن عبد وأحمد بن علي بن سليمان الفيشي القاهري (ت ٨٨٤هـ) ، وإسماعيل ابن إبراهيم بن إسماعيل الغمراوي (ت ٨٨٦هـ) ، وعبد الرزاق بن يحيى المقسي المعروف بتاج الدين الوهاب القاهري المعروف بأمين الدين العباسي (ت ٨٨٧هـ) ، ومحمد بن محمد بن علي الحملي البلبيسي المعروف بابن العماد (ت ٨٨٧هـ) ، ومحمد بن محمد ابن عبد الغني المرجي القاهري (ت ٨٨٨هـ) ، وعبد الله ابن محمد بن عبد الله الدماصي القاهري المعروف بابن معبد (ت ٨٩١هـ) ، ومحمد بن محمد بن محمود بن أبي بكر الجوجري القاهري الناسخ (ت ٨٩٢هـ) ، وأحمد بن محمد بن عمر الغمري المحلي ، وأحمد بن محمد بن عمر الحسيني المعروف بابن عزيز ، وأحمد بن علي بن أحمد الزيادي القاهري ، وأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني ، ومحمد بن محمد بن أحمد بن الكناني العسقلاني الطوخي ، ومحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلد البلبيسي ، وأحمد بن محمد ابن عبد السلام المنوفي المعروف بابن عبد السلام ، وعبد القادر بن عبد الوهاب بن عبد المؤمن المحيوي القاهري المعروف بالقرشي ، وعلي ابن موسى بن جلال البحيري الأزهري ، ومحمد ناصر الدين بن الأمير دولات باي النجمي ، ومحمد ابن محمد بن أحمد بن عبد النور الفيومي ، ويوسف بن يحيى بن محمد بن يوسف الكرماني القاهري ، وإبراهيم بن خليل بن موسى المحلي السلموني . انظر (ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٢٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ، أنباء الغمر ، ج٥ ، ص٣٢٦ ، ٣٤٤ ؛ السخاوي، المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٤-٤٥ ، ٤٩ ، ج٢ ص١٢ ، ٢٠ ، ٩١، ١٠٣ - ١٠٤ ، ١٥٩-١٦٠ ، ١٦٢، ١٨١، ١٨٢ ، ج٣ ، ص٢٢٧-٢٢٨، ٣٠١-٣٠٢ ، ج٤، ص ٥٦ ، ١٩٦، ٢٧٦ ، ج٥ ، ص٥٦ ، ١٣١-١٣٢، ج٦ ، ص٤٣ - ٤٤ ، ٣١٣ ، ج٧ ، ص٢٤٣، ٢٧٩ ، ج٨ ، ص ١٣٦ ، ج٩ ، ص٢٤ ، ٢٦ ، ٦٠ ، ١٦٢ ، ج١٠ ، ص١٨ ، ٣٣٧) .

ومن بلاد الشام جاور من الوراقين - على سبيل المثال - كل من: محمد ابن أبي بكر بن أبي القاسم الهمذاني السكاكيني الدمشقي (ت ٧٢١هـ) ، وعبد الله بن أحمد بن عبد الله المقدسي الصالحي (ت ٧٣٧هـ) ، والقاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي الدمشقي (٧٣٩هـ) ، ومحمد بن أحمد بن موسى الرمثاوي الدمشقي (ت ٨٠١هـ) ، ومحمد بن أحمد بن موسى بن عبد الله الكفيري العجلوني الدمشقي (ت ٨٣١هـ) ، ومحمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، المعروف بابن قيِّم الجوزية (ت ٨٥٢هـ) ، وأحمد بن أحمد بن محمود بن موسى المقدسي المعروف بالعجيمي (ت ٨٦٥هـ) ، ومحمد بن أحمد بن أبي بكر بن علي الناشري (ت ٨٧٣هـ) ، وإبراهيم بن علي بن أحمد الديري الحلبي (ت ٨٨٠هـ) ، ومحمد بن أحمد بن أحمد بن محمود المقدسي الدمشقي (ت ٨٨٥هـ)، وعمر بن عبد الرحمن ابن محمد الأسدي الدمشقي (ت ٨٨٧هـ) ، ومحمد بن أحمد بن حسن البابي الحلبي (ت ٨٨٧هـ)، ومحمد بن خليل البصروي الدمشقي

(ت ٨٨٩هـ) ، وأبو بكر بن عبد الله ابن محمد الدمشقي الوفائي المعروف بابن البدري (ت ٨٩٤هـ)، ومحمد بن أحمد بن علي بن قدامة المقدسي الدمشقي . انظر (الذهبي، ذيل تاريخ الإسلام ؛ تحقيق مازن بن سالم باوزير .- ط١ .- الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ، ص٢٣٧ ، ٤٥٤-٤٥٧ ؛ السلامي ، الوفيات ؛ تحقيق صالح مهدي عباس .- ط١ .- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١ ، ص١٤٠؛ البغدادي ، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب .- بيروت : دار المعرفة ، (د . ت) ، ج٢ ، ص٤٤٩؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى.- ط٢ .- بيروت: دار المعرفة ، (د . ت) ، ج٤ ، ص١٠٠؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١، ص٨١ ، ٢٢٤ ، ج٤، ص١٠٠ ، ج٦، ص٩١، ٢٩٢، ٢٩٨، ص٣٠٤-٣٠٥ ، ج٧ ، ص٩-١٠ ، ١١٢، ١١٤ ، ٢٣٧-٢٣٨ ، ج١١ ، ص٤١) .

أما اليمن فقد قدم منها بعض الوراقين للمجاورة في مكة منهم: عبد الله بن عمر بن منصور الصراري الشنيني (ت ٨٠٤هـ) المصدر نفسه، وأحمد بن أبي بكر ابن أحمد البريهي (ت ٨٢٥هـ) ، وحسين بن صديق بن حسين بن عبد الرحمن الأهدل ، وموسى بن أحمد بن موسى الذؤالي الصريفيني اليمني المعروف بالمكشكش . انظر (البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ؛ تحقيق عبد الله محمد الحبشي .- ط١ .- صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٩٦، ١٩٠ ؛ السخاوي ، المصدر السابق، ج٣ ، ص١٤٥ ، ج١٠ ، ١٧٨) .

١٧٠- الفاسي ، العقد الثمين ، ج٢ ، ص١٣ .

١٧١- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين، ج١ ، ص٥٥٣ .

١٧٢- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٩، ص٢٧٣ .

١٧٣- المصدر نفسه ، ج٥، ص١٦٧ .

١٧٤- المصدر نفسه ، ج٩ ، ص١٧٩ .

١٧٥- المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص١٢ .

١٧٦- المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص١٢٨ .

١٧٧- المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٢٢ .

١٧٨- ويطلق على هذا النوع من الوراقين لقب الكتبيين . (عبد الوهاب أبو سليمان ، المرجع السابق ، ص١٩).

١٧٩- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٣ .

١٨٠- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين، ج١، ص٤٢٢ ؛ السخاوي، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢١٩ .

١٨١- السخاوي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٦ .

١٨٢- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٥٣ .

١٨٣- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٥، ص١٦٧ .

١٨٤- المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٠٢ .

١٨٥- المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٥٥ .

١٨٦- المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٦٠ ، ج١١ ، ص١٣٦ .

١٨٧- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٦٦ .

١٨٨- العقد الثمين، ج٢، ص٢٩٢-٢٩٣.

١٨٩- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٠٠ ؛ نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٥٨ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع، ج٥، ص٢٤٣، ج٦، ص٣١٣، ج٩ ، ص٢٨٤ ، ج١٠ ، ص٢٤٧ .

١٩٠- يحيى محمود ساعاتي ، صورة الحياة العلمية في القرن التاسع الهجري من خلال الضوء اللامع للسخاوي .- الرياض: دار العلوم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، ص٢٦ .

١٩١- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٩٢-٢٩٣ ؛ نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٥٨ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٥، ص٣٠٨ .

١٩٢- السخاوي ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٣٠٨، ج٧، ص٦، ج٩، ص٢٤٨، ج١٠ ، ص٢٤٧ .

١٩٣- المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٣١٣ .

١٩٤- المصطَبّة ، بناء غير مرتفع يجلس عليه . وجمعها : مصاطب . (إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط -. ط٢ -. دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ، ج١ ، ص٥١٤.

١٩٥- رحلة ابن بطوطة ، دار بيروت ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٣٢.

١٩٦- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق، ج١، ص٦٨٣ ؛ السخاوي، المصدر السابق ، ج٣، ص١٠٧، ج٥ ، ص٢١٦، ٢٦٩، ج١٠، ص١٤٧، ج١١ ، ص٣٢ ، ٦٦ .

١٩٧- خالد محسن الجابري ، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي ، ص٢٨١ .

١٩٨- الفاسي ، العقد الثمين ، ج٣ ، ص١٥٧-١٥٨ .

١٩٩- انظر - مثلاً - الفاسي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٥١ ، ١١٦ ، ٢١٢، ٣١٩ ، ج٥ ، ص١٠٢ ، ج٦، ص٤٥٧ ، ج٧ ، ص١٣٧ ؛ نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص٦٤ ، ٢٤٦ ، ٣٢٤ ، ٧٠٢، ج٢، ص٣١٩ ، ٤٠٢، ٨٢١، ٩٨٧ ، ٩٩٨، ١١٤٨، ١٢٢٩، ١٢٤٤؛ السخاوي، المصدر السابق، ج١، ص١٢٢، ج٢، ص٢٠، ٢٢، ٢٩، ٩١ ، ٢٨١، ج٣، ١٤٣، ١٤٩ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٢٨، ج٤ ، ص٩٧، ١٢٦ ، ١٩٦ ، ٢٧٦، ج٥ ، ص١١ ، ٥٦ ، ١٥٤ ، ٢٩٦ ، ج٦ ، ١٢٨ ، ١٥٠ ، ٣٠٣ ، ج٧ ، ص٤٤ ، ١٠٢ ، ١١٢، ج٨ ، ٨٢ ، ٩٤ ، ج٩ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٨٢، ج١٠ ، ص ١٤٠ ، ٣٣٧ ، ج ١١ ، ص٦٩ ، ٧٤ .

٢٠٠- وممن عرف بكثرة النسخ وشهر بذلك من المكيين - على سبيل المثال - كل من : محمد بن علي بن محمد بن محمد القسطلاني ، ومحمد بن علي بن هاشم بن علي ابن غزوان الهاشمي ، ومحمد بن محمد بن الضياء ، ومحمد بن البهاء بن عبد المؤمن الدكالي المكي، ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد الفاسي ، وتقي الدين محمد ابن أحمد بن علي الفاسي ، وعلي ابن أحمد بن علي الكلاعي المكي الشهير بابن المقري ، وابنه أحمد ، ويحيى بن عبد الرحمن بن أبي الخير بن فهد ، ومحمد بن محمد ابن محمد بن محمد بن فهد ، ونجم الدين عمر بن محمد بن محمد بن فهد ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن محمد بن فهد ، وعبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر الأنصاري ، ومحمد بن عبد الله بن أحمد التونسي المكي المعروف بابن المَرْجاني ، وأبو بكر بن محمد بن أبي بكر الذروي المكي المعروف بابن الجمال المصري . وعلي بن محمد بن أبي بكر الشيبي العبدري، ومحمد بن أحمد بن محمد بن ظهيرة ، ومحمد بن عبد الله بن أحمد المقرئ الحجازي، ومرشد بن محمد بن محمد بن ناصر الدين الحسني المعروف بابن المصري . ومحمد بن عبد الله بن ظهيرة ، وأبو بكر بن سليمان بن علي السلمي المعروف بالشلح . انظر (الفاسي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥١ ، ١١٦ ، ٢١٢ ، ج٦، ص٢٢٧ ؛ نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٦٤ ، ٢٤٦، ٣٢٤، ٥٥١، ج٢، ص٨٢١ ، ٩٨٧، ١١٤٤ ، ١١٤٨ ؛ معجم الشيوخ ، ص٩٢؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٩ ، ج٧ ، ص١٨ ، ٤٤ ، ج٨ ، ص٨١ ، ج٩، ص٢٨٢ ، ج١٠ ، ص١٥٤ ، ج١١، ص٣٥-٣٦ ، ٧٤ ، ٩٢ ، ٧٤ ؛ ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٥٥) . ومن النزلاء من عرف بكثرة النسخ أثناء ملازمته كل من ؛ محمد بن محمد بن عمر الهندي الكابلي ، وعيسى بن أحمد ابن عيسى الهاشمي العجلوني ، ومحمود بن جمال الدين أبي طاهر الهروي ، ومحمد بن أحمد بن محمد الجيزي القاهري ، وعلي بن إبراهيم بن علي بن راشد الإبي اليمني ، وناصر الدين الهندي ، وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم

الأنصاري الهرموزي ، وأحمد بن علي بن عمر الكلاعي اليمني ، وعبد الله بن أحمد بن محمد بن عمر الحضرمي ويعرف بابن كثير ، وحسين بن حسن بن حسين الغازي الشيرازي الشهير بالفتحي، وأبو بكر بن محمد بن أحمد الصالحي الناسخ المعروف بابن الرفا ، وعلي بن إبراهيم بن علي بن راشد الإبي اليمني ، ومحمد بن إسماعيل بن يوسف بن عثمان الحلبي ، ومحمد بن علي بن ضرغام المصري المعروف بابن سكر . انظر (الفاسي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣١٩ ، ج٦، ص٤٥٧، ج٧ ، ص١٣٧ ؛ المقريزي، درر العقود ، ج٣ ، ص٢٦٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر ، ج٤ ، ص٨٧ ؛ نجم الدين ابن فهد، الدر الكمين ، ج١، ص٤٨٠-٤٨٤، ٦٩٩-٧٠٢ ، ج٢، ص٩٩٨، ١٢٢٩؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج١، ص١٢٢ ، ج٢ ، ص٢٨-٢٩ ، ج٣، ص١٣٩-١٤٤، ج٥ ، ص١١، ج٧، ص١٠٢ ، ج١١ ، ص٦٩) . ومن المجاورين الذين عرفوا بكثرة اشتغالهم بنسخ الكتب كل من ؛ محمد بن محمود الكيلاني القاهري الشهير بابن العجمي ، وأحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج العامري الغزي ، وإبراهيم بن خضر بن أحمد العثماني الصعيدي القصوري، وأحمد بن علي بن سليمان الفيشي القاهري ، وتقي الدين أحمد علي المقريزي ، وأحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي ، وإسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل الغمراوي ، وخليل بن أحمد بن جمعة الغرس البهائي ، ورضوان بن محمد بن يوسف بن سلامة العقبي المقرئ ، وعبد الرحمن بن أحمد بن محمد ابن عرندة المحلي المعروف بابن الوجيزي ، وعبد الرحمن بن علي ابن خلف الفارسكوري ، وعبد الرزاق بن يحيى المقسي المعروف بتاج الدين الناسخ ، وعبد القادر ابن عبد الوهاب بن عبد المؤمن الحيوي القاهري المعروف بالقرشي ، وعبد الله بن محمد بن عبد الله الدماصي القاهري المعروف بابن معبد ، وعلي بن أحمد بن إبراهيم بن السدّر ، ومحمد بن أحمد بن علي بن قدامة المقدسي الدمشقي ، ومحمد بن أحمد بن موسى بن عبد الله الكفيري العجلوني الدمشقي ، ومحمد بن أحمد بن موسى الرمثاوي الدمشقي ، ومحمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، المعروف بابن قيّم الجوزية ، ومحمد بن أركماس اليشبكي النظامي ، ومحمد بن محمد بن أحمد بن عبد النور الفيومي ، ومحمد بن محمد بن عبد الغني المرجي القاهري ، ومحمود ابن علي بن عبد العزيز الهندي السرياقوسي ، ويوسف بن يحيى ابن محمد بن يوسف الكرماني القاهري . انظر (البغدادي ، الذيل على طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص٤٤٩ ؛ ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٧ ، ٧٩ ؛ نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص٤٠٢، السخاوي، المصدر السابق ، ج١، ص٤٤-٤٥، ج٢ ، ص ٢٠ ، ٩١ ، ٢٨١ ، ج٣ ، ص١٩٠ ، ٢٢٧، ج٤، ص٢٧، ٥٦، ١٩٦، ٢٧٦، ج٥، ص٥٦، ١٦١، ج٧، ص٩-١٠، ١١٢ ، ١١٤، ١٣١، ج٩، ص٢٤، ١٠٩، ج١٠، ١٤٠، ٣٣٧).

٢٠١- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٩ .

٢٠٢- درر العقود ، ج٢ ، ص٥٥٣ .

٢٠٣- المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢٣٨.

٢٠٤- المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٢١٣ .

٢٠٥- المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٢٦٧ ، ج١١ ، ص١٠٣ .

٢٠٦- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٣٦ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص١٨٢ ، ج١٠ ، ص٢٢٥ .

٢٠٧- سوف نتناول هذه الكتب في موضوع قادم .

٢٠٨- يحيى محمود ساعاتي ، صورة الحياة العلمية ، ص٣٣ .

٢٠٩- الجدير بالذكر أننا سوف نتحدث عن هذا الجانب بتوسع عند الحديث عن أثر الوراقين في الحياة العلمية.

٢١٠- لقد كانت الرحلة في طلب العلم ذات أثر فاعل في تبلور الثقافات ، واتساع المدارك والمفاهيم ، وتلقيح الأفكار وصقلها ، ولذا فقد وعى المسلمون أهمية ذلك فرحلوا في طلب العلم وتنقلوا في سبيل ذلك بين الأمصار الإسلامية ، سيما بعد الأخذ عن علماء بلادهم ، وكان العالم أو طالب العلم كثيراً ما يشد الرحال ليصحح خبراً أو يقف على حقيقة علمية أو يسأل عما أشكل عليه . يقول ابن الصلاح موضحاً أهمية الرحلة العلمية : " وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده ، فليرحل إلى غيره " . (مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص١٢٤) .

٢١١- ابن رشيد الفهري ، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة ؛ تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة.- ط١ .- بيروت: دار الغرب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٤٥-١٤٦.

٢١٢- المصدر نفسه ، ص١٤٥؛ الفاسي، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٤٣٢-٤٣٣ ؛ تقي الدين ابن فهد ، لحظ الألحاظ ، ص٨١-٨٣ .

٢١٣- التجيبي ، مستفاد الرحلة والاغتراب؛ تحقيق ، عبد الحفيظ منصور .- تونس : الدار العربية للكتاب ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص٤٣٧-٤٣٨ ؛ الفاسي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٤٩-٢٥٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .- بيروت : دار الجيل ، (د . ت) ، ج٤، ص١٣٣ .

٢١٤- الذهبي ، ذيل تاريخ الإسلام ، ص٢٢٩ .

٢١٥- المصدر نفسه ، ص٤٣٢-٤٣٣ .

٢١٦- المصدر نفسه ، ص٤٥٤-٤٥٧ .

٢١٧- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٣٥٧-٣٥٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٨٨-١٨٩ .

٢١٨- الحسيني ، ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي .- بيروت : دار الكتب العلمية ، (د . ت) ، ص٤١-٤٢ ؛ المقريزي ، درر العقود ، ج٢ ، ص٣٠٠-٣٠٢ ، ج٣ ، ص٣٩٤ .

٢١٩- ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٠٤ .

٢٢٠- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٤٩-١٥٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ، ج١، ص٢٧٧ .

٢٢١- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٧٢-٣٧٤ ؛ السخاوي، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٥٩-٦٢ .

٢٢٢- ابن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر ، ج٧ ، ص١٢٨-١٢٩ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج١١، ص٢٩-٣١ .

٢٢٣- ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٦٣-٦٦ ؛ ابن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر ، ج٧ ، ص١٥٩-١٦٣ .

٢٢٤- تقي الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ص٢٨٨ .

٢٢٥- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين، ج١ ، ص١٥ ، ٢٣ ، ١٨٦، ١٨٩ ، ٣٧١ ، ٤٤٢ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع .- بيروت : دار المعرفة ، (د . ت) ، ج٢ ، ص٢٥٨.

٢٢٦- المقريزي ، درر العقود ، ج١ ، ص٢٧٦ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج١ ، ص٤١٥-٤١٨ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٢، ص٢١-٢٥ .

٢٢٧- المنهل الصافي ، ج٢ ، ص١٩ .

٢٢٨- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢ ، ص٢٢ ؛ حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ؛ تحقيق محمد كمال الدين عز الدين.- ط١.- بيروت : عالم الكتب،

١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ج١ ، ص١٩٧.
٢٢٩- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٨، ص١٤ ؛ الغزي ، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ؛ تحقيق جبرائيل سليمان جبور .- ط٢- بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩م ، ج١ ، ص٥٣-٥٤.
٢٣٠- السيوطي ، نظم العقيان بأعيان الأعيان ؛ حرره : فيليب حتي .- بيروت: المكتبة العلمية ، (د . ت) ، ص٢٠-٢١ ؛ العيدروسي ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر .- بغداد: المكتبة العربية ، ١٩٣٤م ، ص٥٤-٥٧ .
٢٣١- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٦، ص٢٤٥-٢٤٧ ؛ العيدروسي ، المصدر السابق ، ص٥٨-٦٠ .
٢٣٢- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين، ج١ ، ص٩، ٢٢، ٤٤، ٥٣، ٥٧، ٦٤، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٣٨، ٤٤٨ ، ٤٦٢ ، ٥٥٥ ، ٦٩١، ج٢ ، ص٨٢١، ٨٦٤، ٨٦٩، ٩٤٩، ١٠٠٤، ١٠٥٩ ، ١٢٠٤ ، ١٣٢٨ .
٢٣٣- تقي الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ص٢٥٤ ، ٢٦٨-٢٦٩ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ .
٢٣٤- للاطلاع على هؤلاء العلماء وجهودهم العلمية ، انظر - على سبيل المثال - الفاسي ، العقد الثمين، ج١، ص٣٠٥-٣٠٥، ٣٢١-٣٣٠ ، ٣٣١-٣٦٣ ، ٣٧١-٣٧٦ ، ٤٢٩-٤٣٢ ، ج٢ ، ص٢٠١-٢٠٦، ٢٣٠-٢٣٦ ، ٢٨٧-٢٩٠ ، ٣٤٩-٣٥٢ ، ٣٧٢-٣٧٤ ، ٤٠٤-٤٠٦ ، ج٣ ، ص٥٢-٥٣، ٦١-٦٨، ١٢٣-١٢٦ ، ١٣٩-١٤٢١ ، ١٦١-١٦٦، ١٦٨-١٧٠ ، ج٥ ، ص١٠٤-١١٠، ٢٦٧-٢٦٩ ، ٤٥٢ - ٤٥٤ ، ج٦ ، ص١٣٢-١٣٤ ؛ نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٥٢-٥٣ ، ٥٤- ٥٨ ، ٦٠-٦٧ ، ١٥٩-١٦٢ ، ٢٣٩-٢٤٤ ، ٣٠٧-٣١١ ، ٣١٩-٣٢٠ ، ٣٥٢-٣٥٤ ، ٣٨٥-٣٩٢ ، ٤٦١-٣٦٤ ، ٥٤٠-٥٤٥ ، ٥٤٥-٥٥٣، ج٢، ص٨٦١-٨٦٦ ، ٨٦٧-٨٧٠ ، ٩٤٧-٩٥١ ، ١١٣١-١١٤٨ .
٢٣٥- السخاوي ، المصدر السابق ، ج١، ص٧٥ ، ٨٤ ، ج٢ ، ص٢٠ ، ١٢٦ ، ١٨٧ ،ج٦ ، ص٩١ ، ج٩ ، ص ٣٣ ، ٧٩ ، ج ١٠ ، ص ٢٣٥، ج١١ ، ص٧٥ .
٢٣٦- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين، ج١ ، ص٦٤، ٢٤٦، ٣٢٤، ج٢، ص٨٢١ ، ١٢٤٧ ؛ السخاوي، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٧١ ، ١٢٦ ، ٢٢٥-٢٢٦ ، ج٥، ص٢٩٦، ج٦، ص١٢٨ ، ج٧ ، ص٤٤، ج٨، ص٩٤ ، ج٩ ، ص١٣ ، ٢٨٢ .
٢٣٧- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢٣١ ؛ نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٥٨ ، ج٢ ، ص١٠٨٦ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص١٤ ، ج٩ ، ص٧٨ ، ٢٢٣ ، ج١٠ ، ص٧٧ .
٢٣٨- عواطف محمد يوسف نواب ، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين.- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ص٢٥٤ .
٢٣٩- انظر - على سبيل المثال - الفاسي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٦٧ ، ٣٧٦ ، ج٢ ، ص١١٦ ، ٢٠٣، ٣٧٨ ، ج٣ ، ص١٨٧ ، ج٤، ص١٨٨ ، ج٥ ، ص١١٦ ، ٥٣٠ ، ج٧ ، ص١٥١ ؛ نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص٢٢ ، ٢٥، ٤٤، ١٠١، ١٤٥، ١٦١، ٢١٢، ٣٥٣، ٣٦٨ ، ٣٧٤ ، ٤٤٨ ، ٤٦٢، ٤٨٣ ، ٥١٧، ٥٥٤ ، ٦١٢ ، ٧٠٧، ج٢، ص٧٢٥ ، ٧٩٩، ٨٢١، ٨٦٩، ١٠٥٩ .
٢٤٠- وهي حلقات مؤقتة تستمر حسب اهتمام منشئيها بها ، وتلقى الدعم منهم ، وغالباً ما ينتهي عدد منها بوفاة مقيم الدرس وداعمه . (طرفة عبد العزيز العبيكان ، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة .- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، ص٧٦) .
٢٤١- ومن هذه الدروس - مثلاً -

الدرس الذي أقره بدر الدين الخروبي أحد تجار الكارم بمصر، ودرس يلبغا الخاصكي، ودرس بشير الجَمْدار، ودرس الأمير أرغون بن عبد الله الناصري الدوادار، ودرس السلطان الأشرف شعبان المملوكي، ودرس السلطان غياث الدين شاه شجاع ابن محمد بن مظفر اليزدي حاكم شيراز وما حولها، ودرس الأمير أيتمش أتابك الملك الناصر فرج، ودرس الأمير إسماعيل بن زكريا البغدادي، ودرس الزنجيلي، ودرس الخواجا شمس الدين محمد ابن جمعة الهمداني، ودرس خاير بك، ودرس القاضي ناصر الدين ابن سلام، وغيرها. انظر: الفاسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٧٢، ٣٧٥، ج٢، ص٢٢١، ٢٩٢، ٣٥٠، ج٣، ص٧٥، ١٢٥، ١٥٠، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ٢٦٠، ٢٨٣، ج٥، ص١٠، ٥٢٢، ج٦، ص١٣٠، ١٣٤، ٢٣٧؛ نجم الدين ابن فهد، الدر الكمين، ج١، ص٥٣، ٥٧، ٦٤، ١٢٣، ٢٦٦، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٥٣، ٤١٨، ٥٥٥، ج٢، ص٨٦٩، ٩١٩، ٩٤٩، ١١١٦؛ طرفة العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، ص٧٦-٧٩.

٢٤٢- لمزيد من المعلومات عن هذه المدارس، ومؤسسيها وما يتعلق بها، انظر: الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري - ط١- بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص٥٢٣-٥٢٧؛ طرفة العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، ص٦٦-٧٥؛ فواز بن علي الدهاس، المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي. مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ع٢، س١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٥١-٧٥؛ خالد محسن الجابري، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، ص٣٦٦-٤١٤.

٢٤٣- لمزيد من المعلومات عن الأربطة في مكة آنذاك، انظر (الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص٥٢٧-٥٣٧؛ خالد محسن الجابري، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، ص٤١٥-٤٣٩.

٢٤٤- الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص٣٣٩، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٣، ج٢، ص٢٧٨، ج٣، ص٥٦، ٦٥، ٧٩، ١١٢، ١٤١، ١٦١، ١٦٩، ٣٢١، ج٥، ص٤٥٣، ٥٣٠، ج٦، ص١٣٤، ١٥٨، ج٧، ٤٨٥؛ نجم الدين ابن فهد، الدر الكمين، ج١، ص٩، ٢٣، ٥٣، ٦٤، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٥٣، ج٢، ص٧٧٨، ٨٢١، ٨٦٤، ٨٦٩، ٩١٩، ٩٤٩، ١٠٨٩، ١٣٢٨.

٢٤٥- نجم الدين ابن فهد، المصدر السابق، ج٢، ص٩٩٨، ١٢٤٤؛ السخاوي، المصدر السابق، ج١، ص١٢٢، ج٢، ص٢٩، ج٥، ص١٥٤.

٢٤٦- الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٤٠٢، ج٦، ص٤٥٧؛ نجم الدين ابن فهد، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٢، ٥٥١، ج٢، ص٩٨٧؛ السخاوي، المصدر السابق، ج١، ص١٢٢، ج٢، ص ٢٠، ١٠٣، ج٤، ص١٢٦.

٢٤٧- نجم الدين ابن فهد، المصدر السابق، ج٢، ص٩٤٦؛ السخاوي، المصدر السابق، ج٢، ص١٢، ٢٢٠، ج٤، ص٦، ج٥، ص٩٢، ج١٠، ص١٥٤، ١٧٨؛ البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٩٦.

٢٤٨- الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص٢٢٦؛ السخاوي، المصدر السابق، ج٥، ص٢٧٧، ج٦، ص٣١٤.

٢٤٩- المصدر السابق، ج١٠، ص٢٥٠.

٢٥٠- المصدر نفسه، ج٦، ص٣٠٣، ٣٠٤-٣٠٥.

٢٥١- المصدر نفسه، ج١١، ص١٣٦.

٢٥٢- المصدر نفسه، ج٧، ص١٥٦.

٢٥٣- المصدر نفسه، ج٩، ص٢٠١.

٢٥٤- الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص١٣٦؛ نجم الدين ابن فهد، المصدر السابق، ج٢، ص٨٤٨،

٩٤٦ ؛ السخاوي ، المصدر السابق، ج٤ ، ص٢٠٧ ، ج٨ ، ص١١٨ ، ج٩ ، ص١٩٩ .

٢٥٥- لطف الله قاري ، الوراقة والوراقون ، ص٣٩ .

٢٥٦- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٢٢ .

٢٥٧- وخير دليل على ذلك وجود المقامات الدينية للمذاهب السنية الأربعة المعروفة في المسجد الحرام، حيث يصلي إمام كل مذهب بأتباعه . كما وجد في بعض الأوقات مقام لأتباع المذهب الزيدي الذي يتبعه ويدعمه حكام مكة من الأشراف ، ويسعى في الوقت نفسه سلاطين المماليك لإزالته . لمزيد من المعلومات عن هذه المقامات وما يتعلق بها ، انظر (ابن جبير ، رحلة ابن جبير .- بيروت : دار بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ص٧٨-٨٠ ؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة ، ص١٦٠ ؛ التجيبي ، مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص٢٩٥-٢٩٩ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج٦ ، ص٩٨ ؛ عواطف نواب ، الرحلات المغربية والأندلسية ، ص٢٤٩-٢٥٣) . من جانب آخر فقد عُنيت بعض المدارس الموجودة بمكة آنذاك بتدريس بعض المذاهب الفقهية، ومن ذلك – على سبيل المثال ، المدرسة البنجالية ومدرسة السلطان قايتباي واعتمد فيهما تدريس جميع المذاهب السنية الأربعة ، والمدرسة المجاهدية والمدرسة الأفضلية لتدريس المذهب الشافعي، والمدرسة الأرغونية للمذهب الحنفي ، ومدرسة الأشراف الأدارسة للمذهب المالكي. كما خصصت – أيضاً – بعض الدروس الخاصة التي أقيمت في المسجد الحرام من قبل بعض الشخصيات لتدريس بعض المذاهب . انظر – لمزيد من المعلومات (الفاسي ، العقد الثمين ، ج٣ ، ص١٦٧ ، شفاء الغرام، ج١، ص٥٢٣-٥٢٤ ، ٥٢٧ ؛ نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٢٣، ج٢، ص٩١٩؛ النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ؛ تحقيق هشام عبد العزيز عطا .- مكة : المكتبة التجارية ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، ص٢٤٣ ؛ فواز بن علي الدهاس ، المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ، ص٥١-٧٥) .

٢٥٨- عواطف نواب ، الرحلات المغربية والأندلسية ، ص٢٥٣ .

٢٥٩- المصدر السابق ، ج٨ ، ص٢٥٥-٢٥٦ .

٢٦٠- عز الدين ابن فهد ، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى . (مخطوط مكتبة الحرم المكي ، رقم (١) تاريخ، ق ٤ ب .

٢٦١- الذهبي ، ذيل تاريخ الإسلام ، ص٢٣٧ .

٢٦٢- انظر ، نجم الدين ابن فهد ، إتحاف الورى، ج٣، ص١٣٥، ١٣٧، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٥٢ ؛ العصامي ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي .- القاهرة : المطبعة السلفية، (د . ت) ، ج٤ ، ص٢٢٨-٢٢٩ ؛ ريتشارد مورتيل ، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي.- ط١.- عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص٥٤ وما بعدها .

٢٦٣- الفاسي ، العقد الثمين ، ج٤ ، ص١٠٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١٥ ، ص٣٥.

٢٦٤- ريتشارد مورتيل ، المرجع السابق ، ص١٣٨ .

٢٦٥- العصامي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٧٨ .

٢٦٦- المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٥٠.

٢٦٧- لمعلومات أوسع حول هذا الموضوع انظر ؛ ريتشارد مورتيل، المرجع السابق ، ص١٨٣ وما بعدها .

٢٦٨- يحيى محمود ساعاتي ، الوقف وبنية المكتبة العربية ، ص٣٣ .

٢٦٩- المرجع نفسه ، ص٣٤ .

٢٧٠- ولمزيد من المعلومات عن تطور

المكتبات العامة والخاصة في مكة عبر العصور التاريخية راجع كتاب "المكتبات في مكة المكرمة : نشأتها وتطورها عبر العصور" لعبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش. جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٢٣هـ .

٢٧١- الأزرقي ، أخبار مكة ، ج٢ ، ص٣١٢ (ملحق رقم ٣) ؛ محمد لبيب البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص٥٩ . ولا شك أن لموقع الحرم المكي الجغرافي على وادي إبراهيم أثر فيما أصابه من تخريب وإتلاف لمحتوياته في بعض السنوات . لمزيد من المعلومات حول هذا الجانب ، انظر (ناصر عبد الله البركاتي ، التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف ، مجلة العصور ، مج٢ ، ج٢ ، ١٤٠٧هـ ، ص٣٢٣ وما بعدها) .

٢٧٢- محمد ماهر حمادة ، المكتبات في الإسلام ، ص٨٢ ؛ ناصر عبد الله البركاتي ، المرجع السابق ، ص٣٢٢ ؛ خالد محسن الجابري ، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي ، ص٢٩٤ .

٢٧٣- عبد اللطيف بن دهيش ، المرجع السابق ، ص١٦.

٢٧٤- العقد الثمين ، ج٢ ، ص٧٤ . وربما يؤكد ذلك وجود خزائن أخرى في المسجد الحرام تخص المذاهب الفقهية الإسلامية الأخرى آنذاك . (فواز الدهاس ، المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ، ص٨٢ ؛ خالد محسن الجابري ، المرجع السابق ، ص٢٩٦) .

٢٧٥- ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص١٣٨ ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ج٢ ، ص٤١٥ ؛ نجم الدين ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٣ ، ص٢١٣-٢١٤ ؛ عز الدين ابن فهد، بلوغ القرى ، ق٨٧ ب . وقد ذكر ابن بطوطة أن كتب الحرم كانت موضوعة آنذاك في قبة الشراب المنسوبة إلى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه . (رحلة ابن بطوطة ، ص١٣٨). ويؤكد وضع كتب الحرم في مثل هذه القبب الحرص على تجميعها والاهتمام بنوادرها والحفاظ على سلامتها ، ويُعد وضعها في هذه القبة النواة الأولى لتوحيد خزائن الحرم في مكان موحد نشأ عنه ما يسمى بدار الكتب المكية سنة ١٢٥٦هـ ، والتي حوّل اسمها فيما بعد إلى مكتبة الحرم المكي الشريف . وكانت قد ضمت إليها كتب بعض المدارس المنتشرة في مكة . (ناصر عبد الله البركاتي ، المرجع السابق ، ص٣٢٥-٣٢٦) .

٢٧٦- الفاسي ، العقد الثمين ، ج٣ ، ص٢٥٠ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٣٧ .

٢٧٧- السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج١، ص١١٥ .

٢٧٨- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٥٠١ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٨٥ .

٢٧٩- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين، ج١ ، ص٥٩٦ .

٢٨٠- يحيى محمود ساعاتي ، الوقف وبنية المكتبة العربية ، ص٧٦-٧٧ . وقال يحيى ساعاتي حول هذا الموضوع : "وتؤكد هذه النظرة الراقية لأهمية وجود مكتبة في كل مدرسة والحرص على وقف الكتب فيها من قبل كافة فئات المجتمع ، أسبقية العرب والمسلمين في إدراك العلاقة الوثيقة بين العملية التعليمية وتوفير المكتبة داخل المدرسة لإخراج الطالب من دائرة الاعتماد على ما يسمعه ويتلقاه من مدرسين، إلى عالم أوسع وأرحب يحصل منه على ثقافة أكثر عمقاً عند تردده على المكتبة واستفادته من محتوياتها " . (المرجع السابق، ص٩٤) .

٢٨١- السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٦ ، ص٢٠٧ ؛ النهرواني ، الإعلام ، ص٢٤٣ ؛ السنجاري ، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ؛ تحقيق جميل عبد الله

المصري وآخرون ٠- ط١ ٠- مركز إحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القـرى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ج٣ ، ص٨٣-٨٤ .

٢٨٢- عز الدين ابن فهد ، بلوغ القرى ، ق ٩٨ أ .

٢٨٣- السـيـوطي ، نظم العـقـيـان ، ص١٥٢ .

٢٨٤- الغزي ، الكواكب السائرة ، ج١ ، ص٥٤ .

٢٨٥- الفـاسـي ، شـفـاء الغرام ، ج١ ، ص٥٢٨ .

٢٨٦- وكان واقفه الملك الأفضل علي بن السلطان صـلاح الدين يوسف بن أيوب قـد أسـسـه سنة ٥٩٤هـ ، ووقف فيـه مجموعة من الكتب ، وسمي رباط ربيع نسبة لمن تولى إنشائه والإشراف عليه وهو ربيع ابن عبد الله الماريني . (الفاسي ، العقد الثمين ، ج٦ ، ص٢٧٦) .

٢٨٧- الفـاسي ، المصدر نفسـه ، ج٢ ، ص٢٤٦ . وكان منها نظمه لكتاب التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي ، وكذلك شرحه لهذا الكتاب ، والذي يقع في أربع مجلدات . (الفاسي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٤٦) . الجدير بالذكر أن المصادر المتاحة لم تشر إلى من قام بوقفهما ، وربما يكون المؤلف نفسه .

٢٨٨- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص١١٦ .

٢٨٩- المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٢٣١ .

٢٩٠- الدر الكمين ، ج٢ ، ص٨٠١ .

٢٩١- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٤٦ .

٢٩٢- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٨٧٧ .

٢٩٣- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٥٤ .

٢٩٤- المصدر السابق ، ج١ ، ص١٢٦.

٢٩٥- العقد الثمين ، ج٧ ، ص١٣٧ .

٢٩٦- المصـدر نفسـه ، ج٣ ، ص٤٤ ؛ السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص١٨١ .

٢٩٧- المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣١٩.

٢٩٨- دررالعقود ، ج٣ ، ص٢٦٣ .

٢٩٩- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٣٨٥ .

٣٠٠- السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص٣١٢ .

٣٠١- المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٣١٣ . اختلفت المصادر في نسبة هذا الرباط للسلطان قايتباي ، أو وكيله ابن الزمن ، والراجح أنه لقايتباي، ونسبتـه لابن الزمن لكونه أشرف على بناء بعض المنشآت الخيرية لقـايتـبـاي ، ومنهـا هذا الرباط . (عدنان محمد الحارثي ، عمارة المدرسة في مصر والحجاز " في القرن ٩هـ/١٥م " دراسة مقارنة . معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ج١، ص٢٣٦).

٣٠٢- الفـاسـي ، العـقـد الثـمين ، ج٣ ، ص١٠٢ . ولعل هذه الكتب التي وقفت في الطائف قد وضـعت في مسـجـد ابن عبـاس ، حيث كان أشهر مكان في الطائف حينذاك . (يحيى محمود ساعاتي ، الوقف وبنية المكتبة العربية ، ص١٢٠) .

٣٠٣- الفاسي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٥٨ .

٣٠٤- المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٩-٤٣٢.

٣٠٥- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٣١ .

٣٠٦- السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٧ ، ص١٨-١٩ . وللأسف الشديد فقد كان مصير هذه المكتبة بعد وفاة الفاسي الضياع ، نظراً لاشتراطه في وقفها أن لا تعار لمكي ، فاشتط الناظر وتشدد بالمنع لغيرهم خوفاً منهم . (نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٩ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٩) .

٣٠٧- الدر الكمين ، ج١ ، ص٥٨ .

٣٠٨- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٨ .

٣٠٩- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٦٤ .

٣١٠- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٤٦ .

٣١١- المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣٠ .

٣١٢- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٠٢ .

٣١٣- السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص١٤٣ . وقـد نبـه السـخـاوي إلى بعض الأخطاء التي كانت في كتبـه ، فقال: "ولكن في نقله توقف ، وفي قراءته وخطه تصحيف ... وكذا رأيت بخطه من نمط ذلك أشيـاء

أودعها بخطه حتى ألحقها ". (المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٤٣).

٣١٤- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٢، ص٣٠٦ .

٣١٥- طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٤٥ .

٣١٦- تقي الدين ابن فهد ، لحظ الألحاظ ، ص٢٧٤-٢٧٥ . وكان مصير هذه المكتبة بعد وفاته الضياع ، بسبب سوء تصرف زوجته في تركته . (تقي الدين ابن فهد ، المصدر نفسه ، ص٢٧٤-٢٧٥) .

٣١٧- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين، ج٢ ، ص٩٩٨ .

٣١٨- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٢، ص٢٨-٢٩ .

٣١٩- المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٢٢ .

٣٢٠- المصدر نفسه ، ج٨ ، ص١١٨ .

٣٢١- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٢٤٤ .

٣٢٢- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٩١ .

٣٢٣- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٩، ص٢٨٢ ؛ عبد الله المعلمي ، أعلام المكيين ، ص١٦٨ .

٣٢٤- السيوطي، نظم العقيان ، ص٢١.

٣٢٥- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١١٤٨ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٦، ص١٢٨ ، ١٣٠ .

٣٢٦- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٦٣٥ .

٣٢٧- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار .- ط١ .- مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٩٨-٩٩ .

٣٢٨- الفاسي ، العقد الثمين ، ج٢ ، ص٨٤ . ويبدو أن مكتباته المذكورة ضخمة للغاية ، ويؤكد ذلك ما قاله الفاسي - مثلاً - عن كتبه الموجودة بدمشق ، حيث قال : "إن كتب المُرسي كانت مودوعة بدمشق ، فرسم السلطان ببيعها . وكانوا في كل ثلاثاء يحملون منها جملة إلى دار السعادة لأجل البادرائي ، ويحضر الفقهاء ، فاشترى البادرائي منها جملة كثيرة . وبيعت في نحو من سنة . وكانت فيها نفائس ، واحرزت كتبه ثمناً عظيماً " . (المصدر السابق ، ج٢ ، ص٨٤-٨٥).

٣٢٩- الفاسي ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٣٥٧ ؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء . عني بنشره : برجستراسر .- ط٣ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ج١، ص٥٩٧ ؛ السخاوي، التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص٣٥٨ .

٣٣٠- المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٠٩.

٣٣١- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣١٥ ؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٤.

٣٣٢- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين، ج١ ، ص٥٩٦ .

٣٣٣- السخاوي ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٧٧ .

٣٣٤- المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٤٠.

٣٣٥- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٤٠ .

٣٣٦- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٨٧٧ .

٣٣٧- السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٩ ، ص٣٣ .

٣٣٨- المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٣٥ .

٣٣٩- المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٢٣ .

٣٤٠- المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٣٠١ .

٣٤١- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٩٦ .

٣٤٢- لا شك أن هذه المكتبة كانت ضخمة جداً ، وذلك عندما نقارنها بمكتبة الإمام مجد الدين الفيروزأبادي التي كانت عدة أحمال ، ورغم ذلك فقد بلغ تقدير قيمتها - كما ذكر السخاوي - بحوالي مائتي دينار . (المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٩٠).

٣٤٣- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٨٦؛ السخاوي، المصدر السابق ، ج٦، ص١٤ .

٣٤٤- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٩٧ .

٣٤٥- المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢١٩ .

٣٤٦- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٥٠-٢٥١ .

٣٤٧- العقد الثمين ، ج١ ، ص٤١٧ .

٣٤٨- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤١٨ .

٣٤٩- درر العقود ، ج٣ ، ص٩٢ .

٣٥٠- المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٩٢ .

٣٥١- الضوء اللامع ، ج١ ، ص٢٢٤ .
٣٥٢- المصدر نفسه ، ج١، ص١٦-١٧.
٣٥٣- ومن المصادر التي أشارت لعدد من الكتب المتداولة في مكة آنذاك - على سبيل المثال - العقد الثمين للفاسي ، الدرر الكامنة وإنباء الغمر وهما لابن حجر ، الدر الكمين لنجم الدين ابن فهد ، الضوء اللامع للسخاوي ، وغيرها . وانظر لمعرفة التقسيمات الدقيقة للكتب التي عُني بها طلبة العلم - سواء كأسس للتكوين الثقافي أو للتوسع والاستقصاء - خلال القرن التاسع الهجري خاصة (يحيى محمود ساعاتي ، صورة الحياة العلمية ، ص٥٣ وما بعدها) .
٣٥٤- الفاسي ، العقد الثمين ، ج٦ ، ص٤٥٧ ؛ نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١ ، ص٥٥١ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١ ، ص١٢٢ ، ج٩ ، ص٧٩ ، ج١١ ، ص٦٩ ، ٩٢ ، ١٠٢ .
٣٥٥- السخاوي ، المصدر السابق ، ج١، ص٧٥ ، ج٥، ص٣٠٨ ، ج٩، ص٧ ، ٢٤ .
٣٥٦- انظر - على سبيل المثال - نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق، ج١ ، ص ٥٥١ ، ج٢ ، ص ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩٥، ٨١٩ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٢٢٥، ج١١ ، ص٩٢ .
٣٥٧- ومن كتب أصول الفقه الشافعي وفروعه التي أشارت بعض المصدر لقيام الوراقين بنسخها ؛ منهاج الطالبين وروضة الطالبين وعمدة المتقين وهما للإمام يحيى بن شرف النووي ت٦٧٦هـ ، وبعض شروح المنهاج كشرح المراغي والزنكوني والدميري ، والمهمات لجمال الدين عبد الرحمن الأسنوي (ت ٧٧٢هـ)، وخادم الرافعي والروضة في الفروع . لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي (ت ٧٤٩هـ). (نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٥١ ، ٨٢١ ؛ السخاوي ، المصدر السابق، ج٤، ص١٢٦، ج٧ ، ص٤٤، ج٩، ص٨٠، ٢٨٤، ج١٠، ص٢٢٥، ج١١، ص٩٢). ومع ذلك فإننا لا نشك في قيام الوراقين بترويج أمهات كتب الشافعية الأخرى ، سيما وأن المصادر تشير إلى عناية العلماء والطلاب بها ، مثل كتب الإمام الشافعي وكتاب التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي ، وغيرها .
٣٥٨- الفاسي ، العقد الثمين ، ج٣ ، ص١٥٨ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٥٩ ، ج٣ ، ص١٤٣ ، ١٤٩ ، ج٤ ، ص١٤٤ ، ج٥، ص١١، ج٧ ، ص٢٧٩ ، ج٨، ص١١٨ ، ج٩ ، ص١٦٢ ، ٢٨٣ .
٣٥٩- نجم الدين ابن فهد، الدر الكمين، ج١ ، ص٥٥١ ، السخاوي ، المصدر السابق ، ج١١ ، ص٩٢ .
٣٦٠- ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج٦ ، ص١١٤ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٠٦ .
٣٦١- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٩، ص٧ ، ج١١ ، ص١١٥ .
٣٦٢- نجم الدين ابن فهد ، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٠ ؛ السخاوي، المصدر السابق ، ج٧، ص٧٨ .
٣٦٣- المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٠ .
٣٦٤- المصدر نفسه، ج٥، ص٢٩٨، ج٦، ص٩١ ، ج٩ ، ص٩٢ ؛ السيوطي، نظم العقيان ، ص١٥٢.
٣٦٥- نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين، ج٢ ، ص٧٢٢ .
٣٦٦- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٧، ص١١٢ .
٣٦٧- تقي الدين ابن فهد ، لحظ الألحاظ ، ص٢٩٦ .
٣٦٨- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٧، ص١٨ .
٣٦٩- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١ ، ص٤١٥-٤١٨ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٢ .
٣٧٠- السخاوي ، المصدر نفسه ، ج١٠، ص١٧٨ .
٣٧١- ابن تغري بردي ، المنهل الصافي، ج٢ ، ص١٥٦ .
٣٧٢- البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص٩٦، ١٠٣، ٢٠٠ ، ٢٣٢، ٢٩٢؛

السخاوي ، المصدر السابق، ج٧ ، ص١٩٥، ج٨ ، ص٩٢، ج١٠، ص٧٧، ٢٤٧ ، ج١١ ، ص١٣٧ .

٣٧٣- الفاسي ، العقد الثمين ، ج١ ، ص٤١٢ ؛ تقي الدين ابن فهد ، المصدر السابق ، ص٢٧٥ ؛ نجم الدين ابن فهد ، الدر الكمين ، ج١، ص٢٥٠ ؛ السخاوي ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص١٥٤ ، ج١١ ، ص١١٥ ، ١٣٣ .

٣٧٤- خير الله سعيد ، وراقو بغداد ، ص٢٠٣ .

٣٧٥- المرجع نفسه ، ص٢٢٥ .

٣٧٦- الفاسي ، العقد الثمين ، ج٢ ، ص١٥ ، ج٣ ، ص٣٧ ؛ نجم الدين ابن فهد، المصدر السابق، ج١، ٦٨٣، ج٢، ص٨٤٨، ٨٦٦ ، ٩٩٨، ١١٢٠؛ السخاوي، المصدر السابق، ج١، ص١٢٧، ج٣، ص١٠٧ ، ج٤، ص٢٢٦، ج٥، ص١٢، ١٦١، ١٩٦، ٢٨٣ ، ٢٩٦، ج٦ ، ص١٧ ، ١١٩، ٣١٤ ، ج٧ ، ص٢٢١ ، ٢٣٧، ج٨، ص٨٢ ، ٩٤ ، ١١٨ ، ٢٥١ ، ج٩ ، ص٧ ، ج١٠، ص١٤٦، ج١١، ص١١٦.

٣٧٧- محمد ماهر حمادة ، المكتبات في الإسلام ، ص١٧٥ .

٣٧٨- الفاسي ، العقد الثمين ، ج٦ ، ص٤٥٧ ؛ تقي الدين ابن فهد ، المصدر السابق، ص٢٧٤؛ السخاوي، المصدر السابق ، ج٣، ص١٤٥، ١٤٩، ج٥، ص١٢، ج٦، ص٤٩، ٥٠، ٩١، ١٢٨، ٢٩٢، ج٨، ص٩٤، ج٩، ص١٦٢، ج١٠، ١٥٤، ٢٢٥، ٢٣٥، ج١١ ، ص٢٧، ٩٢ ، ١٠٢.

٣٧٩- يقول عبد الوهاب أبو سليمان حول اشتغال العلماء بالوراقة : "احتراف العلماء ، والأدباء للوراقة هو صمام أمان لهذه الحرفة من النقائص والثغرات التي تؤتى من قبل محترف جاهل لا يهمه إلا الربح ، والاستغلال ، فيفسد العلم والذوق ، ويجني عليهما أي جناية". (العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري ، ص٢٢) .

٣٨٠- طبقات صلحاء اليمن ، ص٩٦ .

٣٨١- نجم الدين ابن فهد ، معجم الشيوخ ، ص١٧٨ .

٣٨٢- الدر الكمين ، ج١ ، ص٦٤ .

٣٨٣- السخاوي ، المصدر السابق ، ج٩، ص٣٠٦ .

٣٨٤- المصدر نفسه ، ج٩ ، ص١٦٢ .

٣٨٥- المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٢٥٤ .

٣٨٦- المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٨١ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت حوالي ٢٥٠هـ/ ٨٦٣م). **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**؛ تحقيق رشدي ملحس.- ط٤.- مكة: دار الثقافة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- البُرَيْهي ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن (من علماء القرن التاسع الهجري). **طبقات صلحاء اليمن** : المسمى (تاريخ البريهي) ؛ تحقيق عبد الله بن محمد الحبشي .- ط١.- صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- البسوي ، يعقوب بن سفيان (ت ٧٧٢هـ/ ٨٩٠م). **المعرفة والتاريخ**؛ تحقيق أكرم ضياء العمري .- ط٢.- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
- ابن بطوطة ، محمد بن إبراهيم اللَّواتي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) . **رحلة ابن بطوطة** .- بيروت : دار بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- البغدادي ، عبد الرحمن بن أحمد (ت ٥٩٧هـ/١٣٩٢م) . **الذيل على طبقات الحنابلة** لابن رجب .- بيروت: دار المعرفة ، (د . ت) .
- البغدادي ، أبو القاسم عبد الله بن عبد العزيز (عاش في القرن الثالث

الهجري/ التاسع الميلادي). **الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها**؛ تحقيق هلال ناجي. نشر في **مجلة المورد**، ع٢، م٢، حزيران ١٩٧٣م ، العراق.
- التجيبي، القاسم بن يوسف بن محمد السبتي (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م). **مستفاد الرحلة والاغتراب** ؛ تحقيق عبد الحفيظ منصور ٠- تونس : الدار العربية للكتاب ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .
- ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م).
* **حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور** ؛ تحقيق محمد كمال الدين عز الدين٠- ط١ ٠- بيروت: عالم الكتب ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
* **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
* **المنهل الصافي المستوفي بعد الوافي** ؛ تحقيق محمد محمد أمين٠- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م .
- ابن جبير ، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) . **رحلة ابن جبير (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار)** ٠- بيروت : دار بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- ابن الجزري ، شمس الدين محمد ابن محمد بن محمد بن علي (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م) . **غاية النهاية في طبقات القراء** . عني بنشره برجستراسر ٠- ط٣ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ابن جماعة ، بدر الدين بن إبراهيم ابن سعد الله الكناني (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) . **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم**٠- بيروت: دار الكتب العلمية، (د . ت) .
- ابن حبان ، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م) . **الثقات** ٠- ط١٠- حيدرأباد ، الهند : دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).
* **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**٠- ط٢ ٠- بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
* **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**٠- بيروت : دار الجيل ، (د . ت) .
- الحسيني ، محمد بن علي بن الحسن الدمشقي (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٩٢م) . **ذيل تذكرة الحفاظ** للذهبي ٠- بيروت : دار الكتب العلمية ، (د . ت) .
- ابن حنبل ، أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م) . **العلل ومعرفة الرجال** ؛ تحقيق وصي الله عباس ٠- ط١٠- بيروت: المكتب الإسلامي، الرياض: دار الخاني، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) . **تقييد العلم**؛ تحقيق يوسف العش ٠- ط٢٠- دار إحياء السنة النبوية، ١٩٧٤م .
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) . **تاريخ ابن خلدون "المسمى" ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر "** ؛ تحقيق خليل شحاتة ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الفكر ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٨٤٧هـ/١٣٤٧م) . **ذيل تاريخ الإسلام** ؛ تحقيق ، مازن بن سالم باوزير ٠- ط١٠- الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .
- ابن رشيد الفهري ، محمد بن عمر السبتي (ت ٧٢١هـ/١٢٣١م) . **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة** ؛ تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الغرب ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- أبو زرعة الدمشقي ، عبد الرحمن ابن عمرو النصري (ت ٢٨١هـ/ ٨٩٤م). **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**؛ تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني ٠- ط١ ٠- دمشق : مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠م .

- السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن تمام (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م).
* **طبقات الشافعية الكبرى** .- ط٢.- بيروت : دار المعرفة ، (د ، ت).
* **معيد النعم ومبيد النقم** .- ط٢ .- بيروت : دار الحداثة ، ١٩٨٥م .
- السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م).
* **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** . عني بنشره: أسعد طرابزوني الحسيني، ١٣٩٩-١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
* **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**.- بيروت : دار مكتبة الحياة، (د . ت) .
- السلامي، محمد بن رافع (ت ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م) . **الوفيات** ؛ تحقيق صالح مهدي عباس .- ط١.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- السمعاني ، عبد الكريم بن محمد ابن منصور (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م). **الأنساب** ؛ تحقيق عبد الله عمر البارودي .- ط١ .- بيروت : دار الجنان ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- السنجاري ، علي بن تاج الدين المكي (ت ١١٢٥هـ/١٧١٣م) . **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم** ؛ تحقيق جميل عبد الله المصري وآخرون .- ط١ .- مركز إحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) **نظم العقيان بأعيان الأعيان**. حرره : فيليب حتي .- بيروت : المكتبة العلمية ، (د . ت).
- الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) . **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**.- بيروت : دار المعرفة ، (د . ت).
- ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م). **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- العصامي ، عبد الملك بن حسين (ت ١١٠١هـ/١٦٩٠م) . **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي** .- القاهرة : المطبعة السلفية ، (د . ت) .
- ابن العماد الحنبلي ، أبو الفتح عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ؛ تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة.- بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة، (د . ت).
- العيدروسي، محيي الدين عبد القادر (ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م): **النور السافر عن أخبار القرن العاشر** .- بغداد: المكتبة العربية، ١٩٣٤م .
- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (١٠٦١هـ/١٦٥١م) . **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة** ؛ تحقيق جبرائيل سليمان جبور .- ط٢ .- بيروت : دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩م .
- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد ابن علي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م).
* **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري .- ط١ .- بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
* **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**؛ تحقيق فؤاد سيد .- ط٢.- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- الفاكهي ، محمد بن إسحاق (ت بعد ٢٧٢هـ / ٨٨٥م) . **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**؛ تحقيق عبد الملك ابن عبد الله بن دهيش .- ط١ .- مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .
- أبو الفرج الأصبهاني ، علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) . **الأغاني** . مصور عن طبعة دار الكتب ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
- ابن فهد ، تقي الدين محمد بن محمد ابن فهد (ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) . **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** "ملحق بذيل تذكرة الحفاظ للذهبي".- بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د . ت) .

- ابن فهد ، عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد المكي (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) . **بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى** . (مخطوط) مكتبة الحرم المكي ، رقم (١) تاريخ .
- ابن فهد ، النجم عمر بن فهد بن محمد المكي (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م).
* **إتحاف الورى بأخبار أم القرى** ؛ تحقيق فهيم محمد شلتوت .- ط١ .- مكة المكرمة : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
* **الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ؛ تحقيق عبد الملك ابن عبد الله بن دهيش .- ط١.- بيروت : دار خضر ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .
* **معجم الشيوخ** . تحقيق وتقديم : محمد الزاهي ؛ مراجعة حمد الجاسر.- الرياض : دار اليمامة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- الفيروزأبادي ، مجد الدين محمد ابن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٥م) . **القاموس المحيط** .- ط ١ .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ابن قاضي شهبة، أبي بكر بن أحمد ابن محمد بن عمر (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٨م) . **طبقات الشافعية** ؛ تحقيق الحفاظ عبد الحليم خان .- ط١.- بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) . **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ؛ شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين .- ط١.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ابن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م). **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة** ؛ تحقيق محمود الحليلي .- ط١ .- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .
- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/١٣١١م) . **لسان العرب**؛ تحقيق نخبة من العاملين بدار المعارف.- القاهرة: دار المعارف ، (د . ت).
- النديم، محمد بن إسحاق المعروف بالوراق (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) . **الفهرست**.- بيروت: دار المعرفة ، (د. ت).
- النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٥م) . **الإعلام بأعلام بيت الله الحرام** ؛ تحقيق هشام عبد العزيز عطا .- مكة المكرمة : المكتبة التجارية ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
- وكيع ، محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع (ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م). **أخبار القضاة** .- بيروت: عالم الكتب ، (د ، ت).
- اليافعي ، عبد الله بن أسعد بن علي المكي (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م) . **مرآة الجنان وعبرة اليقظان** .- ط٢ .- القاهرة : دار الكتاب الإسلامي ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

ثانياً : المراجع :

- إبراهيم أنيس وآخرون . **المعجم الوسيط** .- ط٢.- بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- أحمد شلبي . **موسوعة الحضارة الإسلامية** .- ط٧ .- القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٢هـ.
- حبيب زيات . الوراقة والوراقون في الإسلام . **مجلة المشرق**، س١٤، ١٩٤٧م.
- خالد محسن الجابري . **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي** . "رسالة ماجستير" كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- خير الله سعيد . **وراقو بغداد في العصر العباسي** .- ط١ .- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .
- ريتشارد مورتيل . **الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي**.- ط١ .- عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- شعبان خليفة . **الكتب والمكتبات في العصور الوسطى** .- ط١ .- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- طرفة عبد العزيز العبيكان . **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة** .- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
- عبد الستار الحلوجي . تراثنا المخطوط: دراسة في تاريخ النشأة والتطور . **مجلة الدارة** ، س١، ع٤ .
- عبد العزيز بن راشد السنيدي . **الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث** . رسالة دكتوراه قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٨هـ .
- عبد العزيز بن صالح الهلابي . الحياة العلمية بمكة في العصر الأموي ، **مجلة الدارة** ، ع٣، ٤، س١٩، ١٤١٤هـ .
- عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش. **المكتبات في مكة المكرمة : نشأتها وتطورها عبر العصور** .- مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ.
- عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي . **أعلام المكيين (من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر)** .- ط١.- لندن : مؤسسة الفرقان ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .
- عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان . **العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري** .- ط١ .- الطائف : نادي الطائف الأدبي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- عدنان محمد الحارثي . **عمارة المدرسة في مصر والحجاز "في القرن ٩هـ/ ١٥م" دراسة مقارنة** . معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
- علي بن إبراهيم النملة . **الوراقة وأشهر أعلام الوراقين "دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات"** .- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ.
- عواطف محمد يوسف نواب . **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين**.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .
- فواز بن علي الدهاس . المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي. **مجلة الجمعية التاريخية السعودية**، ع٢، س١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .
- كوركيس عواد . **خزائن الكتب القديمة في العراق (منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة)**.- ط٢ .- بيروت : دار الرائد العربي ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
- لطف الله قاري . **الوراقة والوراقون في التاريخ الإسلامي** .- ط١.- الرياض : دار الرفاعي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- محمد لبيب البتنوني . **الرحلة الحجازية** .- ط٣ .- الطائف : مكتبة المعارف ، (د . ت) .
- محمد ماهر حمادة . **المكتبات في الإسلام** .- ط٣ .- بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨١م .
- ناصر عبد الله البركاتي . التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف، **مجلة العصور**، مج٢، ج٢، ١٤٠٧هـ.
- نضال عبد العالي أمين . أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية . **مجلة المورد** ، مج١٥ ، ج٤، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
- يحيى محمود بن جنيد (ساعاتي) .
* **صورة الحياة العلمية في القرن التاسع الهجري من خلال الضوء اللامع للسخاوي** .- الرياض : دار العلوم ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
* **الوراقة : دراسة في المفهوم والمصطلحات** .- دبي ، الإمارات العربية المتحدة : مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، ضمن بحوث الدورة التدريبية الدولية عن صناعة المخطوط العربي الإسلامي (١٦ ذي الحجة ١٤١٧هـ - ٩ محرم ١٤١٨هـ) .
* **الوقف وبنية المكتبة العربية** .- ط١.- الرياض : مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

استلهام شخصية عنترة في المسرح العربي

خالد بن محمد الجديع

كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

توجه لفيف من كتاب المسرح إلى التاريخ مستلهمين أحداثه وشخصياته ، وقد اختلفت بواعث هذا الاستلهام ، وتنوعت طرائقه ، وتعددت مساراته .

وأحسب أن عنوان البحث لا يسعف بتقصي أبعاد تلك المحاور جميعها ؛ خشية الإطالة من جهة ، وخوفاً من الخروج عن حدود الموضوع من جهة أخرى .

ولعلني هنا أكتفي بالوقوف عند الأسباب الداعية إلى ذلك الاستدعاء تمهيداً للدخول في الموضوع ؛ لأن هذه الوقفة تعين على كشف بعض جوانب البحث الذي يهدف إلى الاقتراب من بعض صور ذلك الاستلهام .

إن اندفاع كتاب المسرحية إلى التاريخ واتخاذه مصدراً لهم يعود إلى مجموعة من الأسباب، يأتي في مقدمتها ما يلي :

١- سهولة المأخذ ، ذلك أن المادة الخام للمسرحية جاهزة لا تحتاج إلا إلى لمها من المصادر ، ومن ثم محاولة التحرك من خلالها وفقاً للهدف وأصول الفن [١] .

٢- إحساس المبدع المعاصر بمدى غنى التراث وثرائه بالإمكانات الفنية التي تستطيع أن تمنح المعاصر طاقات هائلة ، فهو قد أدرك أنه "باستغلاله لهذه الإمكانات يكون قد وصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الإيحاء والتأثير ، وذلك لأن المعطيات التراثية تكتسب لوناً خاصاً من القداسة في نفوس الأمة ، ونوعاً من اللصوق بوجدانها"[٢] .

٣- ارتباط مفهوم التراث في أدبنا التمثيلي بوجدان الجماعة النازع إلى تحقيق مقومات الشخصية الوطنية تطلب الالتفات إلى الواقع الذي مضى[٣] .

٤- اتفاق المسرح مع طبيعة التاريخ ، فكلاهما يعنى بالمواقف التي يتقرر فيها مصير الفرد أو الشعب، وفيهما يبرز الصراع وتظهر الشخصية العظيمة ، ويقع الحدث الجلل[٤] .

٥- التغني بالأمجاد والمفاخر ، وإبراز بعض المواقف البطولية والتذكير بها ، لا سيما إبان القهر الاستعماري الذي ساد العالم العربي[٥].

٦- يعطي التاريخ متنفساً للمسرحيين في التعبير عن أفكارهم وآرائهم التي لا يستطيعون التصريح بها ، فمن خلال التراث يستعير الأديب الأصوات التي قاومت الاستبداد ؛ ليحملها تجربته ، وينطقها نيابة عنه ، فيسلم بذلك في الإدانة[٦] .

نحاول بعد ذلك الاقتراب من الموضوع بطرح سؤال أكثر إيغالاً في العنوان ، هو لماذا توجه كتاب المسرح إلى العصر الجاهلي ؟

إن التعليل لهذا النوع من الاستدعاء لا يعني انفصال هذا العصر عن سائر عصور الحضارة العربية ، لكن تلك العودة في مرحلة البدايات المسرحية كانت نتاجاً طبيعياً لحالة التدهور التي تردى فيها العرب أواخر الحكم العثماني ، فقد لجأت الدولة العثمانية إلى سياسة تتريك الثقافة العربية ، وإلى فرض اللغة التركية رسمياً على كثير من المدارس ودور العلم ، لذلك كان الاستدعاء " وسيلة من الوسائل التي اصطنعها بعض الكتاب ؛ لبعث الأمجاد ،

واستنهاض الهمم ، وتخفيف الشعور بالذل والضعة ، الذي كان يملأ نفوس العرب في مختلف أقطارهم "[٧] .

واستمرار استلهام الكتاب لتلك الفترة حتى وقتنا هذا أحسبه عائداً إلى أن تلك الحقبة اللصيقة بالبكارة والسذاجة تعطي فرصة أكبر للتحليق والخيال ، فهي عالم الحوادث الأسطورية ، والخوارق العجيبة ، ذلك أنها لم ترتبط بمقومات تحفظ نظامها وتجعل ما يقال عنها أمراً غير محتمل .

وهنا نصل إلى السؤال الذي تعد الإجابة عنه في صميم هذا البحث ، وهو لماذا عني بعض كتاب المسرح باستدعاء شخصية عنترة ؟

إن تلك الشخصية التي تعد نموذجاً إنسانياً فريداً يكاد يكون نسيج وحده تحمل بين طياتها قيماً إنسانية عالية ، كانت - إلى حد كبير - متوارية في عصر الظلم والاستبداد ، عصر جحيم العبيد وجنة الأسياد ، ذلك العصر الذي لا يحفظ للإنسان كرامته ولا يقيم له وزناً إلا إذا كان من أبناء السادة ذوي المال والجاه ، وأصحاب المئين من حمر النعم ، أما العبيد فهم أهل الحلب والرعي ، لا قيمة لهم ولا وزن ، ومهما امتلكوا من قيم أخلاقية رائعة، أو شجاعة وفروسية نادرة كل ذلك يذهب هباء منثوراً وأدراج الرياح .

لقد تمرد هذا العبد الأسود على تلك القيم ، وأثبت تهافتها وبطلانها، فهو شاعر فحل لا يكاد يجاريه منهم أحد، وهو فارس صنديد رابط الجأش إذا ولى بعض السادة هرباً في المعارك والحروب ، وهو عاشق عفيف ابتعد عن المكر والدسائس في نيل مناه والوصول إلى مراده .

هذه القيم والمبادئ هي التي رفعت من شأنه وأعتقته من ربقة العبودية، وصيرته رمزاً من رموز الحرية يشار إليه في أية دعوة من دعوات الانعتاق والتحرر .

وبين أيدينا أربع مسرحيات استدعت شخصية عنترة، وجعلته مادة مسرحية لها ، وهي بحسب تاريخ كتابتها على النحو التالي :

١ - مسرحية (عنتر بن شداد) ، لأحمد أبي خليل القباني[٨] .
٢ - مسرحية (عنترة) لأحمد شوقي[٩] .
٣ - مسرحية (الفارس) لأحمد سويلم[١٠] .
٤ - مسرحية (سهرة مع عنترة) لحسين علي محمد[١١] .

وقد امتزج النثر بالشعر في المسرحية الأولى ، وخلصت المسرحيات الثلاث التالية للشعر ، وفيما يلي دراسة لتلك المسرحيات للوقوف على سمات استلهامها لشخصية عنترة موضوعياً وفنياً .

أولاً: الجوانب الموضوعية والرؤية الفكرية:

إذا كان عنترة كما يقول عنه بعض الباحثين : "أحد أهم هذه الإبداعات وأخطرها على الوجدان العربي منذ تخلقه وحتى اليوم ، ولسنين قادمة كثيرة " [١٢] ، فإن ذلك يدفعنا قبل المقاربة الفنية للمسرحيات التي استلهمته إلى الوقوف عند الرؤى الفكرية والجوانب الموضوعية التي عالجتها تلك المسرحيات .

يعد القباني أقدم مسرحي تناول شخصية عنترة في المسرح العربي ، وكانت السيرة الشعبية ، وخاصة " سيرة عنترة بن شداد " المادة الملهمة له[١٣] .

تدور أحداث المسرحية ذات الفصول الأربعة حول بطولة عنترة وشجاعته ، مقتنصة من القصص الشعبي ما يدل على تلك البطولة ، ويؤكد تلك الشجاعة ، وقد تناول فيها القباني المرحلة الأخيرة من حياة عنترة ، أي بعد زواجه من ابنة عمه عبلة[١٤] .

يبدأ الفصل الأول من المسرحية بأبيات لقيس بن زهير يتشوق فيها إلى نجد وأرضها ، يليها حديث مشترك بين عنترة وقيس والربيع ومقري الوحش يدور حول نزوحهم من الوطن وتغربهم في أرض اليمن نتيجة خوفهم من الملك

النعمان ، وفي أثناء التحاور يتم السؤال عن الأراضي التي يقيمون فيها فيخبرهم شيبوب بأنها داخلة في ملك الملك مسعود بن مصاد ، ويقترح عليهم أن يقصدوه ويطلبوا منه الذمام ؛ ليقيموا في حماه ، عند ذلك يستحسن قيس هذا الرأي ويطلب من الجمع المبادرة إلى ذلك .

يرفع الستار عن منظر ثان تظهر فيه عبلة ومسيكة تتحدثان حول الرغد الذي تعيشه القبيلة ، وبينا الحديث دائر يقبل مسعود من بعيد ، وحين وصوله يطلب منهما أن تسقياه شربة ماء ، وفي أثناء شربه يسدد سهام نظرات غرامية إلى عبلة، فتحس بما يرمي إليه وتطرده من المكان .

يجري بعد ذلك حوار بين مسعود وأمه يظهر منه حنق مسعود بسبب احتقار عبلة إياه ، ويبدو فيه أيضاً تعلقه الشديد بها، وعندما ترى أمه هذا التوله بها تعده بخطبتها .

وفي المنظر الثالث من هذا الفصل يرفع الستار عن عبلة ومسيكة وهما تتحدثان عن وقاحة مسعود وقبح طباعه، وفي أثناء الحديث تقبل أم مسعود من بعيد ، وعندما تقترب منهما ترحبان بها على عادة العرب ، وبعد هذا الترحاب تبادر أم مسعود عبلة بعرض الزواج عليها من ابنها ، فتكشف عبلة لها أنها متزوجة من عنترة ، الذي يحظى بحديث مسهب منها عن بطولته وفروسيته .

يزاح الستار ويدخل مسعود وخادمه جندلة ، ويبدأ مسعود بالحديث عن حبه لعبلة ، كيف أنها أصابته في مقتل ، ثم يهدد بقتل زوجها عنترة ؛ حتى يظفر بها سبية .

لا يروق هذا الكلام لجندلة ، إذ يحذره من هذا الصنيع الذي لا يليق بالملوك ويعرض عليه حيلة لا تعرضه لنقض الذمام ، وترفع عنه الحرج والملام ، هذه الحيلة تكمن في عمل سحر لعبلة يتم من خلاله إبعادها عن عنترة .

تظهر سعاد زوج جندلة في الفصل الثاني وقد أسعرت النار ، وجعلت تتمتم بكلمات وطلاسم تدعو من خلالها الجان . يخرج بعد تلك الدعوات أربعة من عفاريت الجن ، فتطلب منهم إحضار عبلة على جناح السرعة ، فيذهبون لتنفيذ أمرها .

يدخل عنترة وبصحبته مقري الوحش على سعاد وهي أمام نارها وبخورها فتهدده بالقتل ، فلا يكترث من كلامها ، ويرفع عليها سيفه ، فتسحره بتجميد يديه ، عند ذلك يسرع مقري الوحش إلى سعاد فيضربها بسيفه ، ويكون معه حجاب يلبسه عنترة فترجع يداه كما كانتا .

بعد ذلك يرفع الستار عن عبلة مسحورة ، ومعها العفاريت الأربعة . يدخل عنترة عليها وهي في تلك الحال ومعه مقري الوحش فيلقون الحجاب عليها ، وفوراً ينجلي ما بها من سحر .

يغادرون المكان ، ويدخل مسعود وجندلة فيبصران سعاد مقتولة ، فيستشيط الاثنان غضباً ويقترح جندلة أن يقوم متنكراً – حتى لا يعرف هو ورجاله – بغارة على عنترة وقبيلته ، فيوافقه مسعود على ذلك . ويتم تنفيذ ما اتفق عليه ، لكن عنترة يتمكن من دحرهم وهزيمتهم .

وفي الفصل الثالث يرفع الستار عن الملك قيس والحارث ابن زهير والربيع بن زياد وعمارة أخيه وهم يتحدثون عن عشق مسعود لعبلة ، ويرد في عرض الحديث لوم لعنترة الذي ورطهم مع مسعود ، يدخل عنترة ويسمع حديثهم فيسوؤه ذلك ، ولا تمضي برهة حتى يدخل جندلة مهنئاً القوم بالنصر الذي حققوه ، وخاطباً عبلة لمسعود ، معللاً تلك الخطبة بأن عبلة إنما زوجت إلى عنترة غصباً والعرب لا تقر بذلك . يغضب عنترة من صنيع جندلة ويتهمه بالجبن والحقارة ، ثم ينشد شعراً في فروسيته وإبائه .

وفي الفصل الرابع يزاح الستار عن قيس وعنترة ومعهم رجال من القبيلة ، وقد بدا استعدادهم للحرب ، ويجري حديث بينهم حول طريقة يتم بها حفظ النساء والأولاد إذا قامت الحرب . بعد ذلك نشهد وداعاً من عنترة

لزوجه عبلة ، ومن مقري الوحش لزوجه مسيكة ، وفيه إرهاص بقيام الحرب .

يتمكن عنترة من مسعود فيقتله ، وفي أثناء انتصاره تساق إلى عنترة وقومه البشرى برضا الملك النعمان عليهم حيث شفعت زوجه المتجردة لهم ، وبذلك تكتمل أفراح القبيلة ، وينهي القباني مسرحيته .

ولعل أدنى تأمل لأحداث المسرحية يكشف أنها تجافت تماماً عن التاريخ في وقائعها ، واستمدت مادتها كاملة من السيرة الشعبية التي امتلأت بالغرائب والعجائب، واشتملت على الخوارق الخارجة عن نطاق العقل والمنطق .

فعنترة وحده يهزم جيشاً كاملاً بسهولة ويسر ، ويقول مفاخراً : "مه أيها الجبان ، وإذا كانوا ألوف ، وفرق وصفوف ، فما هم وحياة أبي شداد إلا كالغنم السارحة في الوهاد ، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان"[١٥] .

وقد أسهمت هذه البطولة المغالية في جعل المسرحية ذات طابع تمجيدي فج لبطولة عنترة ، مما سبب سحقاً لجميع شخوص المسرحية وتثبيتاً للصوت الأوحد .

اختار القباني للشخصية اسم (عنتر) لا (عنترة) وفي هذا الاختيار إيحاء بالبعد عن (عنترة) الشخصية التاريخية المعروفة إلى شخصية أسطورية دخلها ما دخلها من القصص والأساطير .

لقد خلت المسرحية من الصراع الذي اشتملت عليه أحداث التاريخ والسيرة الشعبية وكثير من الروايات والمسرحيات التي استلهمته ، ذلك الصراع القائم بين العبودية والحرية ، فعنترة في تلك المصادر يعيش أزمة نفسية حادة جاءته من عبوديته وسواد لونه اللذين منعاه من الزواج بمن يحب ، وأن يتسنم مكانة تليق بشاعريته وفروسيته .

كما جاءت المسرحية خلواً من شخصية عنترة المتوله العاشق ، الذي يسعى للظفر بالمحبوبة ولو كلفه ذلك أبهض الأثمان ، إن عنترة في مسرحية القباني خافت الجذوة في غرامه ، قد تزوج من عبلة ، ولا يسعى بعد ذلك إلا إلى تحقيق البطولات وحصد الأمجاد .

إن إغفال القباني لهذين الأمرين في مسرحيته جعلها تخسر كثيراً من تألقها وقيمتها الفنية .

وقد حاول القباني سد هذا النقص الكبير بإيراد بعض حوادث السحر والشعوذة التي شعر أنها تعطي المسرحية توهجاً وحضوراً ، لكن ذلك أنتج أثراً عكسياً تمثل في بعد الأحداث عن الواقع ومجانبتها للمنطقية .

ولقد كان محمد يوسف نجم دقيق الحكم على المسرحية حينما قال عن عمل القباني : " وقد افترض المؤلف أن جميع النظارة يعرفون شيئاً عن تطور عنترة النفسي ، وتاريخ علاقته بالشخصيات الأخرى في المسرحية ، وقد أصاب هذا الافتراض المسرحية بالضعف والهزال ، إذ خرجت من يديه وكأنها شذرات من قصة معروفة متداولة "[١٦] .

ولعل مما يشفع لهذه المسرحية وصاحبها كونها أول مسرحية تناولت شخصية عنترة ، ومن المتعارف عليه أن البداية دائماً مليئة بالأخطاء والعثرات .

وهذا الضعف هو الذي أغرى الباحث بالاكتفاء بهذه المسرحية عن غيرها من المسرحيات التي تناولت شخصية عنترة عند جيل القباني ، ذلك أن تلك المسرحيات تسير على نمط واحد في هدفها وغايتها ، كما أنها ترسف في أغلال الضعف وتتسم بالتخبط في أصول القواعد المسرحية .

ومن تلك المسرحيات (شهامة العرب) لعلي أنور ، التي قال عنها محمد يوسف نجم : "وقد ظهر جهل الكاتب بأصول هذا الفن جلياً في تنسيقه للمشاهد والفصول ، فقد أتى بها مرتبكة مضطربة ، واختلطت الأعمال والحوادث فيها بشكل أفسد تسلسل السرد"[١٧] .

وعندما نصل إلى مسرحية (عنترة) لأحمد شوقي نجد أن الوضع فيها يقترب من النضج والإتقان ، وإن كان لا يخلو من بعض الهنات والمبالغات التي سنبين عنها لاحقاً.

تتكون مسرحية (عنترة) لأحمد شوقي من أربعة فصول ، يستهل الكاتب كل فصل بوصف للمكان الذي تقع فيه أحداثه .

تقع أحداث الفصل الأول قريباً من عين ذات الأصاد المحفوفة بالنخيل ، وفيه يقف عنترة أمام الخيام بادياً عليه النصب والكلال ، وينشد أبياتاً تكشف عن لواعج حبه وغرامه، بعدها يهيئ لنفسه مضجعاً وراء نخلتين ثم يرقد .

نسمع بعد ذلك نشيداً لفتيين يشيدان بقوة عنترة وشجاعته ، يعقب ذلك نشيد لمجموعة من النساء فيهن عبلة في وصف وادي الصفا ، وفي تلك الأثناء يمر صخر أمام الخيام فيدور حديث بين ناجية وإحدى الفتيات حول حب صخر لعبلة .

تظهر عبلة ويقترب صخر من المكان ، ويجري حوار بينهما حول شجاعة عنترة، فيعترف صخر لها بذلك ، لكنه يرى أن الجبن ليس عيباً ، ويشبه نفسه بالشاة الهادئة ذات المزاج اللطيف .

تسمع ضجة وأصوات استغاثة ، يتبين بعدها أن مجموعة من اللصوص قد أغاروا على الحي ، يهرب الجميع وتبقى عبلة وخادمتها سعاد تقاتلان اللصوص ، لكن الكثرة تغلب الشجاعة ، إذ يتمكن اللصوص منهما . يدخل شداد وأخوه مالك فيهرب اللصوص ومعهم عبلة .

يرى شداد عنترة نائماً فيغضب منه ويحثه على الثأر للقبيلة من اللصوص لكن عنترة يقابله ببرود شديد ذاكراً أن القتال ليس عمله ، عندها يهب له شداد حريته ويلحقه به . يسمع عنترة أصوات استغاثة نساء الحي وفيهن عبلة فينهض مسرعاً ويتمكن من إنقاذها ودحر اللصوص .

وفي الفصل الثاني يبدو المكان كما كان في الفصل الأول ، إلا أن خيمة مالك قريبة جداً تملأ المسرح أو تكاد ، ولا يبدو أثر لعين ذات الأصاد ولا لسائر خيام بني عبس .

يدور حديث بين عبلة وناجية حول مجيء ضيوف من سراة بني عامر ، وفيهم صخر لخطبة عبلة ، تحزن ناجية أن صخراً لم يخطبها فتعترض طريقه طالبة منه أن يرجع عما عقد العزم عليه ، وكاشفة له عن حبها إياه ، لكنه لم يأبه بما تقول .

نرى بعد ذلك مالكاً في خيمته وقد أحاط به الضيفان، يخطب أحدهم عبلة لصخر ، ويتحدث عن عزه وجاهه ، فيوافقه مالك على ذلك ، لكنه يشترط أن يكون رأس عنترة مهراً .

تسمع عبلة عما دار من حديث فترفض هذه الخطبة مشيدة بعنترة وبطولاته . نشهد بعد ذلك لقاء بين صخر وأخوي عبلة عمرو وزهير ، يتم فيه كشف خطة لاغتيال عنترة ، تتمثل في استئجار عبدين قويين لهذه المهمة .

يحاول شوقي أن يجعل من عنترة المخلِّص للعرب من ذل فارس والروم ، حيث يعقد منظراً تظهر فيه عجوز تندب ابنها الذي كان في قافلة لكسرى فقتله عنترة ، لأنه حاول النيل من بني عبس . ترى عبلة ذلاً في تبعية العرب لكسرى داعية إلى السير خلف عنترة الذي سيخلصهم من هذا الهوان .

يتغير المكان في الفصل الثالث إذ يكون المنظر في وادي الصفا على مقربة من حي بني عامر .

تظهر عبلة وهي تناجي بعيرها مظهرة حبها لعنترة ، ويبدو بالقرب منها ثلاثة من الرجال يحاولون النيل منها ، لكنهم لا يجرؤون على ذلك حين يعلمون أنها محبوبة الفارس عنترة .

يقبل عنترة على عبلة ويدور حديث بينهما يظهر فيه تشكيك عبلة في حب عنترة إياها ، وفي أثناء حديثهما يظهر العبدان مارد وغضبان من وراء الشجر ، فيسدد

أحدهما سهمه نحو ظهر عنترة فتضطرب عبلة بعد أن رأته، لكن عنترة لم يتحرك بل صاح صيحة أماتت من يريد رميه ، في حين ولى الآخر فاراً .

يسمع العاشقان ضجة فيتواريان خلف شجرة خشية الوشاة . يلتقي ضرغام بمالك فيطلب منه الزواج بعبلة ، يوافق الوالد بشرط أن يأتيه برأس عنترة ، يغضب ضرغام من هذا الطلب ذاكراً أن عنترة من فصحاء العرب وشجعانهم ، وعندما يعلم عنترة بصنيع ضرغام يخير عبلة بينهما ، فتختار عنترة .

تسمع ضجة وقعقعة سلاح وأصوات استغاثة يتبين بعد ذلك أن جيشاً من الفرس يهاجم بني عبس ، يقوم عنترة وضرغام للقتال ، وتنجلي المعركة عن مقتل رستم ودحر الجيش .

بعد ذلك يتجه بنو لخم أنصار الفرس لقتال العبسيين محاولين الأخذ بثأر رستم ، وهادفين إلى مقتل عنترة ، فينازلهم عنترة ويقتل منهم خلقاً كثيراً ، ويفر الباقون .

ويدور الفصل الرابع من المسرحية في حي بني عامر، وفيه نرى حفلاً سامراً في خيمة صخر يضم سراة بني عبس ووجوهاً من بني عامر ، وحولهم خدم يروحون ويجيئون بقصاع الطعام وأواني الشرب في جو من الطرب والأنس .

إنه عرس عبلة كما يبدو من غناء الجواري ، يسمع صوت عنترة من وراء الستار وهو يهدد الحاضرين ، ويطلب منهم الانفضاض عن المجلس وإلا قاتلهم ، لا يصدق القوم أن المتحدث عنترة ، لأن هذا العرس لم يقم إلا بعد أن قتل عنترة ، وقدم رأسه مهراً لعبلة ، وعندما يقوم أحد الحاضرين لقتاله يبرز له عنترة فيطير سيفه ، ولا يقتله ، ويصنع هذا الصنيع مع اثنين آخرين ، يلفت عنترة بعد ذلك إلى امرأة مقنعة كانت معه فيكشف عن قناعها ، فإذا هي عبلة يندهش الحاضرون من ذلك متسائلين عن المرأة المقنعة التي في الداخل والتي سيتزوج بها صخر ، وقد أقيم لها هذا العرس ، إنها ناجية التي تحبه ولا يحبها، قد وضعها عنترة مكان عبلة . يصعق صخر من هذه الخديعة التي حاكها عنترة ، ويرفض الزواج بها ، لكنه يقبل بعد إلحاح ، وتنتهي المسرحية بزواج عنترة من عبلة وصخر من ناجية .

وإذا جئنا إلى المادة التاريخية التي استمد منها شوقي أحداث مسرحيته رأينا أن طه وادي يقول في شيء من الشك : "ويبدو أن شوقي قد استمد موضوع هذه المسرحية من الأدب الشعبي ، حيث إن ترجمة عنترة في كتاب الأغاني قليلة جداً ومختصرة "(١٨) .

وأحسب أن التاريخ لم يغب عن شوقي وهو يكتب مسرحيته ، ومجيء ترجمة عنترة في كتاب الأغاني مختصرة لا يدفع إلى القول بأن مادة المسرحية مستوحاة من القصص الشعبي ، ذلك أن كتاب الأغاني ليس الوحيد الذي عرض لحياة هذا الفارس .

زد على ذلك أن كثيراً من الحوادث الواردة في مسرحية شوقي لها أصل تاريخي ، بل ورود في كتاب الأغاني ، وذلك مثل إلحاق أبي عنترة إياه في قصة إغارة بعض الفرسان(١٩) .

ولا يعني هذا الكلام القول بأن المسرحية مستمدة من التاريخ ، لكنه لا يلغي دور المادة التاريخية في المسرحية ، على الأقل في رسم الخطوط العريضة لها .

ولعل سعد ظلام كان أكثر دقة عندما قال عن مصادر المسرحية : "ومسرحية عنترة اعتمد فيها على روايات الأغاني وديوان عنترة وصفحات من القصص الشعبي"(٢٠) .

وعند محاولة الاقتراب بشكل أكبر من الدقة يمكن أن يقال : إن صفحات الأدب الشعبي كانت أكثر إغواء لشوقي من المادة التاريخية ، ذلك أن مسرحيته اشتملت على بعض الخوارق التي حاول شوقي اقتناصها وتوظيفها

داخل بناء المسرحية لإثبات بطولة عنترة وشجاعته .

لكن خروج تلك الخوارق عن المعقول جعل مسرحيته تفقد كثيراً من مصداقية أحداثها ، مما أثر على قيمتها الفنية .

نجد ذلك واضحاً في قصة عنترة مع العبدين مارد وغضبان حينما علم بهما وقد جاءاه من الخلف دون أن يبصرهما ، ثم في صيحته المدوية التي أردت أحدهما ميتاً من الرعب والهلع .

أنهى شوقي مسرحيته بزواج عنترة من عبلة وهذا الزواج سكتت كثير من المصادر التاريخية عن الإشارة إليه، وقد أشارت إلى هذا الزواج بعض المصادر في لمحة سريعة ، وذلك كما نجد عند الميداني الذي ذكر أن والده قال له : "كر وقد زوجتك عبلة ، فكر وأبلى ووفى له أبوه بذلك ، فزوجه عبلة"[٢١] . أما السيرة الشعبية فقد تحدثت عن ظفره بابنة عمه وزواجه منها .

يدفعنا إلى تقرير هذا الأمر ما جاء من استغراب عند محمد مندور أدى إلى وصف شوقي بالتناقض لأنه جعل عبلة تقبل بعنترة زوجاً لها على الرغم من تشبيبه بها، في حين أن ليلى في مسرحية (مجنون ليلى) لم تقبل بقيس مع أن الخيار ترك لها ، حيث اختارت الزواج من ورد الثقفي لأن قيساً شبب بها[٢٢] .

وأحسب أن الأمر لا يستدعي هذا الوصف القاسي ، ولا يحتمل هذا التفتيق لتلك الفكرة ، ذلك أن شوقي لم ينسج المسرحيتين من خياله حتى يتحكم في أحداثهما ، وإنما كان يعتمد على التاريخ أو الأدب الشعبي ، فهما اللذان يسيران العمل .

وتلك الوثائق هي التي أشارت إلى زواج عنترة من عبلة فظهر ذلك في مسرحيته (عنترة) ، بينما لم تشر المصادر إلى زواج قيس من ليلى فلم يتم الزواج في مسرحيته (مجنون ليلى) ، وحاول شوقي تقديم تعليل لذلك تمثل في كون العرب تعيب تزويج الفتاة ممن شبب بها .

وعدم اقتناع مندور بمنطقية هذا الزواج جعله يرى أن الخاتمة التي خلصت إليها المسرحية جاءت فجة وغير مبررة[٢٣] ، فهي أشبه بانقلابات المسرح الهزلية[٢٤] ، ويرى أن قصة تآمر عبلة مع عنترة لكي تزف إليه هو لا إلى صخر بينما تزف إلى صخر الفتاة الأخرى ناجية ، يرى أن ذلك التآمر قد جعل المسرحية تستحيل إلى ملهاة لا تتناسب مع طبيعة شخصية عنترة[٢٥].

والحق أن المسرحية لم تستحل إلى ملهاة ، بل كانت إلى نهايتها لوناً من ألوان تمجيد البطولة عند عنترة ، وذلك الموقف لا يعدو أن يكون شكلاً من أشكال الدهاء الذي يعمق تلك البطولة ، فقد كانت العرب تمدح من يتصف بتلك الصفة ، ولذلك أسبغها شوقي على عنترة على أنها قسيمة للشجاعة ، فالنهاية على ذلك ليست فكاهية يقصد شوقي من ورائها إلى الإضحاك ، بل هي مسهمة بشكل قوي في إكساب عنترة صفات القائد البطل .

ولا إخال شوقي يهدف من وراء تلك المسرحية إلا إلى التغني بالأمجاد وتسجيل البطولات ، لذا فإن ما يشار إليه عند بعض الباحثين من وجود بعض الإسقاطات السياسية والرموز العصرية في المسرحية أمر لا يجد ما يؤيده .

وقد بالغ محمدين عبد الفتاح يوسف حينما تحدث عن ذلك قائلاً : " أما أهم تلك الرموز فهو رمزه العصري إلى الشتات العربي والفرقة الحديثة ، في وطن الشاعر ، وتفرق قومه بين النفوذ الغربي والسيطرة الأجنبية شرقاً وغرباً ، فهو يبحث عن بطل يجمع العرب فيه بعض صفات عنترة وقدراته ، كما أن الشاعر رمز بعبلة المثقفة الواعية المهتمة بقومها إلى ما يتمناه للمرأة العربية الحديثة "[٢٦] .

ولا أذهب مذهب الباحث الفاضل حينما قرر أن

الهدف من هذه المسرحية هو التركيز على الصراع بين العبودية والحرية[٢٧]، ذلك أن هذا الصراع لم يبد إلا في ومضة سريعة في المسرحية دون أن نرى تعميقاً له ولا إلحاحاً عليه في سائر فصول المسرحية، وقد تنبه إلى ذلك محمد مندور حينما قال عن عبوديته وتصحيح نسبه : "أما شوقي فقد اختط نهجاً آخر فهو لا يحدثنا في مسرحيته عن تصحيح نسبه، ولا عن موافقة أهل عبلة على زواجها منه لشجاعته أو لكرمه وسخائه "[٢٨] .

ويعمق مندور طرح هذه الفكرة بقوله في موطن آخر : "وبالرغم من هذا التقدم الملحوظ عند شوقي في بناء المسرحية فإننا لا نزال نلاحظ ما أخذناه عليه في مسرحية (مجنون ليلى) بنوع خاص من عدم استغلاله للصراع النفسي العميق الذي كان من الممكن أن يكسب مسرحيته قيمة دراماتيكية وإنسانية عالية "[٢٩] .

ونسير في خط تطور هذه الشخصية لنصل إلى الكاتب أحمد سويلم الذي كتب مسرحية سماها (الفارس)، وقد بدت شخصية عنترة في هذه المسرحية أكثر نضجاً، وأكثر تلاحماً مع عناصر المسرحية الأخرى .

تقوم المسرحية على تسعة مشاهد، في المشهد الأول يظهر الخليفة الفاطمي في موكب كبير وسط احتفالات ورقص وأهازيج تتم بمناسبة زواج ابنته، وفي أثناء الاحتفال نسمع من أحد المنجمين عبارات الإطراء والمديح للخليفة وعهده الزاهر، وبعد أن يسمع أحد الشعراء هذا المديح يلوم المنجم على هذا النفاق والملق، طالباً منه أن يقول الحقيقة، بعد ذلك يطلب الخليفة من ذلك الشاعر أن ينشده قصيدة في مديحه، وتحت وطأة هذا الأمر ينشد الشاعر مدحة في الخليفة، لكنه يذيلها بأبيات تشير إلى الواقع الأليم الذي تعيشه البلاد، لا يتحمل الخليفة هذا الكلام فيوقف الشاعر فوراً .

يدور حديث بين الخليفة والشاعر حول مقصده، فيقسم الشاعر أنه من المخلصين له، بعدها يطلب منه الخليفة الإفصاح بشكل أكثر، فيتحدث الشاعر عن معاناة الشعب وجفاف المياه وقحط الأرض ونقص الأرزاق في وقت يقيم فيه الخليفة عرس ابنته منفقاً عليه أمال الدولة الطائلة . يصرح الشاعر في موعظته بشكل أكبر فيطلب من الخليفة أن يحس بالناس ويشاطرهم همومهم، وإلا تعرض لجحيم غضب الناس وثورتهم .

يفكر الخليفة مع أعوانه في طريقة لإخراس ألسنة الناس، وتأتي الاقتراحات تترى، فمن قائل : لا بد من استئصال رؤوس الفتنة، ومن داع إلى إقامة حفلات غنائية تنسي الشعب ما حل به، ومن مقترح أن يقوم خطباء المساجد بإبانة حقيقة هذا القحط، وتبصرة الناس بأنه ابتلاء من الله عز وجل مع محاولة لرسم صورة مشرفة للخليفة الذي يعد ولي أمر المسلمين، فطاعته واجبة، وغيبته محرمة .

وفي الختام يسوق الشاعر رأياً يحوز إعجاب الخليفة، يتمثل في إلهاء الناس عن طريق القصص الممتعة، وذلك من خلال قيام يوسف بن إسماعيل شيخ الحكائين بسرد قصة تراثية طويلة تشوق الناس وتجذبهم حتى ينسوا حالهم .

يجتمع الناس في المشهد الثاني في إحدى الساحات ويدور بينهم حديث عن هذا الاجتماع، ولماذا تم في هذا الوقت بالذات ؟ ولماذا أكثر الحاضرين من أعوان السلطة ؟ وأثناء ذلك يدخل الشيخ يوسف، فيهلل الناس في سعادة غامرة، وقبل أن يشرع الشيخ في القص يقدم بمقدمة يتحدث فيها عن الأوضاع الراهنة ويبين أن القسوة التي يعانيها الناس تشغل تفكير السلطان، ولا بد أن نريح أنفسنا من التفكير فيها .

إن القصة التي سيحكيها الشيخ تتناول سيرة عنترة العبسي، لكن الشيخ لا يقوم بسردها بل يطلب من

الحاضرين أن يشتركوا في تمثيل الأدوار حتى يمكنهم معايشة القصة .

يتم توزيع الأدوار على الحاضرين ، ويشترك معهم الخليفة ، إذ يقوم بأداء دور الملك زهير .

تبدأ المسرحية بمناظرة بين عمارة وعنترة وشيبوب حول نسب عنترة وأصالته ، وفيه يسخر عمارة من سواد عنترة وعبوديته .

وعندما يحتدم الموقف يشهر عنترة سيفه في وجه عمارة فيحول شيبوب دون قتل عمارة ، ويعود التفاخر بينهما فينشد عنترة أبياتاً من معلقته تنال استحسان الحاضرين، حينها تدخل عبلة مبدية إعجابها بعنترة ومدافعة عنه .

أما المشهد الثالث فيؤدي فيه الكورال نشيداً عن عبلة وحب عنترة إياها ، وفي المشهد الرابع يظهر مالك بن قراد مع بعض جلاسه يشربون ويتضاحكون ويدور بينهم حديث حول الشعر والشعراء ، وفي أثناء الحديث يدخل أحد الرجال مخبراً أن عنترة قد صاد عشر غزالات ووزعها بين الناس ، يعجب الحاضرون بصنيع عنترة .

يدخل أثناء ذلك عمارة ويخبر مالكاً بما جرى بينه وبين عنترة ويذكر صنيع عبلة وإهانتها إياه .

يدلف شداد إلى المجلس فيسأله عمارة عن النسب الذي يدعيه عنترة ، فينكر شداد أنه أبوه ، يدخل عنترة فيسمع هذا الكلام ، يجري بين شداد وعنترة حديث حول نسبه ينتهي بضرب شداد إياه بعصا كانت في يده .

تدخل عبلة وتبدأ بتوجيه اللوم إلى أبيها مذكرة إياه بدفاع عنترة عن نسوة القبيلة ، ثم تتوجه إلى شداد مفيضة الحديث عن شرف عنترة وبطولته .

يغير على القبيلة مجموعة من اللصوص فيتصدى لهم عنترة ويدخل بهم إلى المجلس ويعود الحديث بين عبلة وشيبوب عن بطولة عنترة وشجاعته .

لا يهتم ابن زياد بهذا الإنجاز ويرى أنه أفضل من عنترة لأنه سيد وعنترة عبد ، يوافقه شداد على ذلك ، ويوجهان لعنترة حديثاً يتضمن الحدود التي يجب عليه إلا يتخطاها ، يتأثر عنترة بهذا الكلام ويجهش بالبكاء .

بعد ذلك يتصاعد من الخارج صوت صراخ وعويل نسوة وقعقعة سلاح ، يدخل بعدها رجل يخبر بأن قبيلة طيئ تقتحم الحي وأنهم لا يقف أمامهم فارس ولا تأخذهم في القبيلة رأفة أو رحمة .

يطلب شداد من عنترة أن يقوم لإنقاذ قومه وإنجاد النسوة ، لا يبدي عنترة اكتراثاً بما يحدث لأن العار - على حد تعبيره - لا يلحق إلا السادة ، أما العبيد فلا يلحقهم شيء لأنهم أرقاء . وبعد حوار طويل يهب له شداد حريته ويعترف بأبوته ، فيسير الجميع نحو المعركة .

يبدو الخليفة الفاطمي في المشهد الخامس متأثراً بالنتيجة التي وصلت لها قصة عنترة ، وتظهر عليه علامات التعجب ، إذ كيف يعترف السادة بهذا العبد ؟ ويحس بالخوف من أن توقظ هذه القصة أحاسيس الناس بدلاً من أن تلهيهم فيثوروا كما ثار عنترة حتى يحصلوا على حريتهم . يحاول الخليفة أن يحرف اتجاه القصة فيلعب دور الملك زهير .

في المشهد السادس يظهر الملك زهير (الخليفة) في مجلس شراب وحوله مجموعة من الرجال ، وقد حضر هذا المجلس شداد وعمارة بن زياد وأحد المنجمين .

يدور حديث بينهم عن شجاعة عنترة ، لا يرضى الملك زهير بهذا الكلام ، لكنه لا يعارضهم بل يقبل كلامهم على مضض .

يدخل عنترة ويطلب عبلة من أبيها فيهيج عمارة ويتبادلان الشتيمة ، فيقترح عنترة أن يكون السيف هو الفيصل ، وأن يقوم بمبارزة عمارة والغالب يظفر بعبلة ، يوافق الجميع ، تتم المبارزة فيسقط السيف من عمارة وينثني عنترة عن قتله .

يقترح الملك زهير إن أراد عنترة الزواج بعبلة أن يقدم لها ألفاً من النوق الذهبية التي لا توجد إلا عند النعمان بن المنذر ، وذلك حتى يثنيه عما يريد . يوافق عنترة على هذا الشرط ويطلب ستة أشهر مهلة لذلك .

في المشهد السابع يؤدي الكورال نشيداً يشير إلى صنيع الملك زهير الذي يهدف إلى إبعاد عنترة وقتله .

أما المشهد الثامن فيدور في ساحة يحضرها جمهرة من الرجال والنساء ، ومعهم عمارة ، ونسمع فيها شائعات عن مقتل عنترة وجرح شيبوب في أرض النعمان ، بعد ذلك يدخل شيبوب مكذباً تلك الشائعات ، فلا يصدقه الناس ، حتى يسمعوا صوت عنترة الذي أقبل وهو ينشد قصيدة في محبوبته عبلة .

يختم الكاتب مشاهده بحديث من الشيخ يوسف إلى الحاضرين يتضمن رغبته في أن يعود الفارس عنترة إلى القبيلة حتى تبطل أحقاد السادة . نسمع بعض الأصوات التي فهمت مغزى هذه القصة ، فعنترة هو الحلم الذي سينهي القحط القاطن في أعماق الناس .

يدخل الخليفة في موكبه وهو ينشر على أتباعه بعض العملة الذهبية ، ونسمع صوت الكورال ينشد في موسيقا مناسبة عن الفارس القادم الذي لا يرضى الظلم ، وبذلك تنتهي المسرحية .

إن هذه القصة التي اشتملت عليها المسرحية ذات أصل تاريخي يمكن أن نعده نواة لها ، وقد أشار الكاتب إلى ذلك فقال في صدر مسرحيته ناقلاً عن كتاب (شعراء النصرانية) : " حدثت ريبة في دار العزيز لهجت الناس بها في المنازل والأسواق ، فساء العزيز ذلك ، وأشار إلى الشيخ يوسف بن إسماعيل – شيخ الحكائين – أن يطرف الناس بما عساه أن يشغلهم عن هذا الحديث ، فأخذ يكتب سيرة عنترة ويوزعها على الناس ، فأعجبوا بها واشتغلوا بها عما سواها "(٣٠) .

لقد أخذ الكاتب هذه الإشارة التاريخية وأعاد التعامل معها وتشكيلها وفق المعطيات الاجتماعية والسياسية المعاصرة .

لم يقع الكاتب في أسر التاريخ ، ذلك أنه حرف مسار القصة في المسرحية عن اتجاهها التاريخي ، فالقصة التاريخية تذكر أن شيخ الحكائين حقق غرض الخليفة بإلهاء الناس وصرف اهتمامهم عندما كتب لهم سيرة عنترة ، في حين أن شيخ الحكائين في المسرحية أسهم في إيقاد الجذوة وتنشيط الوعي لدى الشعب ، حيث حملت شخصية عنترة عنده بذور الثورة ومقومات الحرية التي ينبغي أن يفطن لها الجماهير .

وقد وصلت هذه الرسالة إلى الشعب وأدرك مرام شيخ الحكائين ، ويمكن أن نحس بذلك عندما نستمع إلى أحدهم وهو يقول :

يا أخواني
أنصحكم أن يفهم كل منكم ما شاء له أن يفهم
ويطوي جنبيه على فهمه
ولا يفصح(٣١)

وإذا كانت المسرحيات السالفة قد استدعت شخصية عنترة لأجل التغني بالأمجاد والتذكير بالبطولات فإن شخصية عنترة عند أحمد سويلم قد استحالت إلى رمز للحاكم المنتظر الذي سيخلص الناس من معاناتهم وهمومهم .

إن هذه المسرحية تعبر عن حاضر واقع ، وليست القصة التاريخية سوى خيط ضئيل ينشر عليه الكاتب فكرته التي تتمحور حول (الحاكم ونظام حكمه) في دعوة إلى تحقيق قيم العدل والحق والخير .

بدا ذلك جلياً في نشيد الكورال الذي ختمت به المسرحية :

هل يملك سيف مأفون

تغيير الحلم

هل تملك كف سوداء

إخماد العزم

هل يملك وجه مذموم

إسقاط النجم

الفارس يحيا محموداً

لا يرضى الظلم

الفارس يبقى يقظاناً

لا يرضى النوم

الفارس ليس الجهل وليس الهزل

وليس الوهم[٣٢]

وربما أطلت بعض العبارات المعاصرة برأسها بين الحين والحين ، فأماطت اللثام عن مراد الكاتب ، وذلك كقوله :

وهذا عنترة العبسي

عاش يناضل حتى يعترف الناس له بالحرية

وظل يضحي بالنفس .. ولا يقبل أي هزيمة[٣٣]

إن الصراع الداخلي الذي يعيشه عنترة ما هو إلا صراع الشعب في البحث عن هويته ، عن كيانه ، عن ذاته. لذلك اهتم الكاتب بجوانب ذلك الصراع، وحاول تعميقه:

عنترة : انطقها يا سيدي

قل إني أحقر عبد عندك

مسلوب الهمة .. مقهور النفس[٣٤]

وأحلام عنترة البعيدة المنال ما هي إلا أحلام الجماهير بالتحرر من ربقة التسلط والعسف :

عنترة : سأريح السادة من أحلام عبيد السادة

(لنفسه) حقاً .. يبدو أني أحلم أكبر من طاقة نفسي

حتى الحلم لا يسمح لي أن أجعله في قلبي

هذه مرتبة لا يبلغها إلا السادة ..[٣٥]

وليس السادة سوى السلطة الحاكمة المسيطرة ، ولذلك وهبهم أسماءهم المعاصرة ومنحهم أوسمتهم :

عنترة :

أما أنتم .. فالسادة .. والأحرار .. وأصحاب الأمر

وعليكم ألا تدعوا الحرية كشراع في الريح

وأنتم تمتلكون الأوسمة[٣٦]

ويتكثف الرمز وتكتنز الدلالات بشكل أكبر في مسرحية حسين علي محمد التي أطلق عليها اسم (سهرة مع عنترة) ، وهي مسرحية من فصل واحد .

يبدؤها بوصف للمكان الذي تدور فيه أحداث المسرحية ، وهو مبنى حديث يشرف على الصحراء ، وأمامه أريكة وكرسيان .

يصعد الراوي من بين الجمهور وهو يرتدي ملابس عصرية ، ثم يذكر أنه سيقوم بدور الراوي ، يدخل بعد ذلك بعض العاملين ويقومون بإصلاح وضع الأريكة والكرسيين، فيشير إليهم الراوي بالخروج .

يبدأ الراوي بتقديم ضيفه عنترة بعد أن يتأكد من سلامة مكبر الصوت ، ثم نسمع صوت عنترة وهو ينشد بعض الأبيات .

يدور حديث ودي بين الراوي وعنترة حول الاحتفال به، وتأجيله لموعد المشاركة في هذه السهرة ، وعندما يتحدث الراوي عن عبلة يقاطعه المتفرج مقارناً بين عبلة وزوجه .

ثم تمر الممثلة التي تتزيا بزي عبلة فيعجب عنترة بها ويمنحها مقطوعة شعرية تجود بها قريحته ، وبعد أن يهتف الجمهور له تمر عبلة مرة أخرى فيتغزل بها ، ويحظى بتصفيق وتشجيع من الراوي .

يبدأ الراوية بمحاورة عنترة عن بطولته وفروسيته ذاكراً أنه هو البطل المنقذ ، ينطلق بعدها في الحديث عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية الراهنة ، مؤكداً على وجوب الأخذ بالحقوق ونيل الحرية .

يدخل شيبوب عليهما ويشترك في الحوار الذي توغل الكاتب من خلاله داخل أعماق شيبوب ، حيث أظهر من خلال حديث الشخصية نفسية شيبوب المهزومة التي عاشت في الظل على الرغم من اشتراكها في الدفاع عن حقوق الفارس عنترة .

وفي أثناء الحوار ترد لفظة الحرية فيصرخ المتفرج منادياً بها ومردداً إياها ، وعلى الفور يبرز من خلف الصفوف ضابط يحمل مسدساً وبصحبته شرطي ، ويتم القبض على المتفرج الذي ما فتئ يردد عبارات الحرية ، والضابط يحاول إسكاته مدعياً أن ذلك يثير العامة والدهماء ، ثم ينهال عليه بالضرب بقبضته وبعصاه .

يذهل عنترة من صنيع الضابط ، فيحاول الراوية أن ينسيه الموقف مطالباً إياه بإكمال السهرة ، لكن عنترة يستشيط غضباً من الموقف القامع لصوت الحرية ، ويعتذر عن إكمال السهرة .

يبدو واضحاً ودون أدنى تأمل أن شخصية عنترة في هذه المسرحية قد اتخذت قناعاً يعبر الكاتب من خلالها عن أفكاره وتوجهاته ، فليس صوت عنترة المنكر للقمع ووأد الحريات إلا صوت الكاتب الرافض لوجود هذه الممارسات في مجتمعنا الحاضر .

وإذا كان البطل - كما يرى البعض - هو المخلِّص للأمة من انحرافاتها وأخطائها فإن الكاتب هنا يقدم صورة أخرى للبطل الذي لم يستطع أن يقوم بهذه العملية، حيث ناء بحملها فآثر الانسحاب مكتفياً بالاستنكار والشجب فحسب .

إن سقوط عنترة الذي يعد أنموذجاً إنسانياً في البطولة يكشف عن أن المناخ الحاضر لم يعد يأبه بإنجازات البطولة الغابرة ، ولا يرضى بمفهوم البطل الفرد، فقد بلغ التفكك أوجه ، واتسع الخرق على الراقع ، ولم يعد بوسع القائد أن يرأب الصدع ويلم الشمل ، فخير له أن يتوارى .

كما أنه يعبر بشكل غير مباشر عن يأس الكاتب من تحقيق الأمجاد البطولية السالفة على يد مخلِّص قادم .

تكشف المسرحية أيضاً عن وعي الشارع العام والمواطن العادي بالأحداث التي تجري من حوله ، فالشعب ليس رعاعاً ودهماء ، كما يقال عنه ، بل إنه من وعيه يكاد يكون على قلب رجل واحد ، وأحسب أن ذلك هو ما جعل الكاتب يختصر المتفرجين في متفرج واحد يمثل رؤى الجميع.

وهذا يجعلني أختلف مع أحمد زلط حينما أخذ على الكاتب اختزاله شرائح المجتمع في شخصية واحدة ، مشيراً إلى أن ذلك قلل من كمال الجانب الفني في النص[٣٧]، إن تلك لمحة ذكية من الكاتب أراد من خلالها اختصار أجسام المتفرجين في جسم واحد لأن الأفكار واحدة والآراء متحدة .

والكاتب في هذه المسرحية يريد أن يقدم لنا مفارقة تقول : إن عنترة العبسي الذي يعيش في حقبة سحيقة تعود إلى الزمن الجاهلي استطاع أن ينتزع حريته من قومه نتيجة إصراره :

كم عانيت وقاسيت

كي أنتزع حقوقي من عبس

حق الحرية

حتى لا أبقى عبداً فيهم[٣٨]

وتمكن من نيل مراده بتخلصه من أغلال العبودية ، في حين لم يستطع الأحرار في هذا العصر المتقدم تقنياً وحضارياً أن يعيشوا الحرية الحقيقية ، بل إن المناداة بها والدعوة إليها تحول الحر إلى أسير في أيدي السلطة ، وتعرض الفرد للقمع والسجن والإهانة .

ولعل الجديد الذي تقدمه هذه المسرحية المستلهمة لشخصية عنترة والذي به تميزت عن المسرحيات السابقة هو ما يلي :

١ - أنها أشبه بومضة (فلاشية) ، تم خلالها التقاط الفكرة والتعبير عنها دون إسهاب في فصل واحد فحسب ، فالكاتب في هذه المسرحية قد أدرك قوة وعي المشاهد الذي لم يعد يتحمل الإطالة والإلحاح على الفكرة ، فهو يمتلك ذهناً لاقطاً سريع الفهم نتيجة الأحداث المتسارعة التي تدور من حوله ، وهو لا يتحمل الفصول الكثيرة والطويلة في مثل هذه الموضوعات، ولذلك جاءت المسرحية بهذا التكثيف والإيجاز .

٢ - إذا كانت المسرحيات السابقة تقدم لنا التاريخ وكأنه حقبة منفصلة عنا وبعيدة منا فإن هذه المسرحية قد استدعت شخصية عنترة وأوقفته على المسرح بعيداً عن جوه التاريخي ، فالمكان في المسرحية ليس مضارب بني عبس - كما رأينا - بل يقف عنترة وسط مبنى حديث ويكلمه راو يلبس ملابس عصرية ، إننا في هذه المسرحية نشهد زمنين متداخلين في عمل فني واحد.

٣ - حاولت المسرحية في هذا التداخل الزمني كسر حواجز اللغة بين العصرين، وكسر الحواجز بين الأمكنة ، لقد أزالت الحواجز بين الأبعاد الأربعة وبدا الجمهور مشاركاً في توجيه أحداث المسرحية وعنصراً فاعلاً فيها، ولعل هذا التداخل هو الذي جعلني أشير إلى بعض الجوانب الفنية داخل الرؤية الفكرية للمسرحية مما قد يظن أنه تعد على منهج البحث الذي يتطلب دراسة كل منهما على حدة ، ويعود السبب إلى أن الرؤية الفكرية في المسرحية قدمت في قالب يصعب فصله عنها، نظراً لامتزاجه الشديد بها.

ثانياً : البناء الفني :

١ - الشخصية :

للشخصية الدرامية أثر فعال داخل بناء المسرحية ، فهي المؤثرة في العمل الدرامي بأكمله ، وهذه الأهمية تتطلب من الكاتب قدرة فائقة يستطيع معها أن يبرز سماتها وملامحها ، ويرسم أبعادها ودوافعها .

وبما أن الشخصية الدرامية في المسرح غير الشخصية العادية فإن تكوينها عمل يكتنفه نوع من الصعوبة لا سيما أن رسمها لا يخضع لضابط أو مرجع يحتكم إليه[٣٩] .

ومما يزيد أيضاً في صعوبة رسمها ضيق الإطار المسرحي الذي تظهر من خلاله ، إذ هي مقيدة بزمن محدود لا بد أن تتكشف خلاله تكشفاً كاملاً ، فتظهر ملامحها وطبيعتها ونوعيتها ، كما أن رسمها في المسرحية يختلف عنه في القصة أو الرواية حيث يقتضي الأمر "أن تعبر عن نفسها مباشرة من خلال الحوار والمونولوج والحركة ، دون تدخل وسيط كالكاتب أو الراوي"[٤٠] .

وعند محاولة الاقتراب من الشخصيات الملتفة حول شخصية عنترة في المسرحيات التي استلهمته نجد أنها متفاوتة في وجود أصل تاريخي لها ، فالقباني قد استلهم عنترة من خلال السيرة الشعبية ، لذا أدخل في مسرحيته كثيراً من الأسماء التي ليس لها سند من التاريخ مثل مسعود (ملك اليمن) ، وجندلة خادمه ، ومسير المحن ، وابن والورد ، ومقري الوحش ، وغيرهم .

ويحاكيه شوقي في ذلك وإن كان لا يضاهيه من ناحية كثرة الأسماء المستحدثة، فهي تتقارب عدداً مع الشخصيات ذات الأصل التاريخي، فالشخصيات التاريخية تمثلت في عنترة وعبلة وشداد وأخيه مالك وابنه عمرو ، وأما الشخصيات التي لم يستلهمها شوقي من التاريخ فهي : صخر العامري ، وداحس رفيق عنترة ، وضرغام العبسي، وناجية عاشقة صخر ، وسعاد خادم عبلة .

وتقل تلك الشخوص عند أحمد سويلم ، إذ هي سبعة فحسب : عنترة ، شيبوب ، شداد بن قراد ، عبلة ، عمارة بن زياد ، الملك زهير ، مالك بن قراد . وهي

شخصيات تجمع بين الأصل التاريخي والقصص الشعبي.

وهي عند حسين علي محمد أقل بكثير ، حيث لا نرى سوى عنترة وشيبوب فقط ، أما بقية شخصيات المسرحية فلا علاقة لها بالتاريخ ولا بالقصص الشعبي ، فالراوي والضابط والجندي والمتفرج شخصيات حديثة كسرت الحواجز المسرحية فالتقت الشخصيات التاريخية وتحاورت معها .

وقد اختلفت أدوار تلك الشخوص وتباينت علاقاتها بالشخصية الأم (عنترة) ، فمن شخصيات تدور في فلك شخصية عنترة كاشفة عن تميزه ومتحدثة عن أمجاده وبطولاته ، نجد ذلك واضحاً في شخصية عبلة وقيس عند أبي خليل القباني ، وفي شخصية عبلة وداحس عند شوقي، وشخصية شيبوب عند أحمد سويلم .

وهناك شخصيات تبدو بطولة عنترة من خلال مقارعتها إياه ، حيث إن عجزها عن النيل منه يرسخ الشخصية ويدعم وجودها ، ويبدو ذلك في شخصية مسعود غريمه في مسرحية أبي خليل القباني ، وفي شخصية صخر غريمه في مسرحية شوقي ، وفي شخصية عمارة بن زياد غريمه في مسرحية أحمد سويلم .

وقد تشارك بعض الشخصيات عنترة في بطولة المسرحية بل ربما بدت نداً له أو فاقته أحياناً ، ظهر ذلك في شخصية مقري الوحش عند أبي خليل ، ذلك الرجل الذي تمكن من قتل الساحرة سعاد بعد أن عجز عنترة عن ذلك ، وأنقذ عنترة من هلاك محقق بعد أن تجمدت يده ولم يستطع الحركة ، كما أنه قد تولى فك السحر الذي لحق بعبلة من خلال الحجاب الذي ألقاه عليها .

وبدا ذلك أيضاً - وإن كان حجم البطولة أقل - في شخصية ضرغام عند شوقي، ذلك الفارس النبيل الذي أحب عبلة وخطبها ، وعندما طلب والدها منه أن يأتي برأس عنترة مهراً لها رفض ذلك رفضاً قاطعاً وجعل يشيد بشجاعة عنترة ويذكر بطولاته ، مما أثار الوالد عليه إثارة جعلته يدخل معه في اشتباك الأيدي .

إن الشخصية الرئيسة " في حاجة إلى شخصيات مساوية لها في الحيوية حتى تتضح ، وتحسن التعبير عن نفسها"(٤١) ، بل إن جميع الشخصيات " لا تستمد حياتها إلا من خلال علاقتها المتشابكة مع الشخصيات الأخرى"(٤٢) .

ونشهد عند حسين علي محمد في مجال تعامله مع شخوصه خروجاً عن مسار التاريخ والقصص الشعبي ، إذ هو يقدم شيبوباً على أنه أخوه المدافع عنه والحريص على إكسابه المجد والسؤدد ، وقد بدا ذلك في مسرحية أحمد سويلم ، لكن شيبوباً في مسرحية (سهرة مع عنترة) شخصية تشعر بالانهزام الداخلي ، وتحس أن المجد سرق منها ، وكانت أحق به أو بجزء منه على الأقل ، شخصية تتعب ويحصد الآخرون النجاح ، لقد بدا شيبوب آسفاً على ما قدمه لأخيه الذي نال المجد على حسابه:

شيبوب : كم عذبني هذا ..
عشت صدى عنترة العبسي ..
ولم يشعر أحد بي ..
الراوي : كيف ؟
شيبوب : كان الفارس يحارب ويحب
لكني عشت حياتي مدفوناً في جب
كان المتن وكنت الهامش ..
الراوي : (في خبث)
ماذا كان يراود عنترة تجاهك ؟
شيبوب : عنترة .. كبير القلب ..
أحب العالم كله
قد بادلني حبي .. بالشفقة والخوف
اعترف أبوه به .. وبحد السيف
وتزوج من عبلة

(في حسرة)

وبقيت العبد ابن زبيبة

أرعى .. أحلب ..

عبداً ما عشت !

الراوي : هل ما زلت تحبه ؟

شيبوب : (يتعلق بأكتاف عنترة)

لما نال الحرية ، وتزوج عبلة

أحسست بنصفي يتحرر من نير الأغلال

لكن ما يحزنني ..

أني لم أشعر بكياني ..

فلقد ذبت .. تواريت[٤٣] .

ويكاد يكون اهتمام القباني برسم أبعاد شخصية عنترة كاهتمامه برسم أبعاد الشخصيات الأخرى ، فهو لا يولي هذا الأمر عنايته ، ذلك أنه صب اهتمامه على بطولة عنترة الخارقة ، ويدرك من قرأ أحداث مسرحية القباني وقارنها بالقصص الشعبي أن الكاتب قد صور المراحل الأخيرة من حياة عنترة ، وهي التي تزوج فيها عبلة ، وسافر معها إلى بلاد اليمن ، لكن القباني لا يكاد يشير أدنى إشارة إلى المرحلة العمرية التي يعيشها عنترة والتي أحسب أنها قد جاوزت فترة الفتوة والشباب .

بل إنه ربما أعطى بعض شخوصه اهتماماً يجاري اهتمامه بالبطل ، فهو يصف الملك مسعوداً على لسان شيبوب بقوله :

شيبوب : ... وصاحب هذه المناهل والوهاد ، الملك مسعود بن مصاد ، وهو ملك عظيم الشان ، قوي الشوكة والسلطان ، وتحت أمره من الأمراء والفرسان ، أكثر من عشرين ألف عنان[٤٤] .

ويقدم وصفاً لعبلة على لسان الملك مسعود ، فيطيل في ذلك ، يقول :

مسعود : ما هذا الجمال الباهر ، تجلى الصانع القاهر ، وما هذه العيون المقرونة بسهم المنون

غازلتنــــي بأعــينٍ كالظبــاءِ

ذاتُ دلٍ تبــدي نفــارَ الظبــاءِ

ظبيــةٌ لو رأى محاسنَــها البــد

رُ استحى من طلوعه في السماءِ

وجهها معــدنُ الجمــالِ وفيــه

عنصرُ اللطفِ قد نمـا والحيــاءِ

ينثني تحت ثوبها غصــنُ بـانٍ

غرسته الأشواقُ في أحشاءِ[٤٥]

ويكاد ينحصر ما جاء من رسم لشخصية عنترة عند القباني في مقطعين اثنين من المسرحية ، أحدهما جاء على لسان عبلة تصف فيه شجاعته فتقول :

عبلة : فارس المشارق والمغارب ، الليث الهصور ، والأسد الغضنفر الذي قتل العويتا وابن المنذر النعمان حية بطن الواد ، وقادح النار بغير زناد ، الضارب بالسيوف الحداد ، والطاعن بالرماح المداد ، ومعلم الفرسان الحرب والجلاد ، عروس الخيل عنترة ابن شداد[٤٦] .

وفي الآخر رسم القباني من خلاله بعض الأبعاد الجسمية له ، حيث قال على لسان عمارة :

عمارة : ... ولولا عنتر الأسود الأفطس الأنكد وتأنيبه وعتبه ، لقلت لها به به[٤٧] .

أما شوقي فقد توغل في شخوصه بشكل أعمق تعدى من خلاله رسم البعد الجسمي إلى رسم جزء من البعد النفسي ، وقد بدا ذلك منذ الأبيات الأولى من المسرحية، تلك التي نشهد من خلالها حديثاً داخلياً يكشف نفسية عنترة المتأزمة التي لا تريد من عبلة أن يكون الحب من أجل الشجاعة أو الشاعرية التي يمتلكها ، بل تود أن الحب كان لأجل شكله :

عنترة :

يا ليت حبك عبل لي حبٌّ القطاةِ لشكلها
أو حبَّ قبرةِ الصفا لأليفها ولخلِّها
أو مثل حبِ نجيبةٍ مجنونةٍ في فحلها
ليت افتنانك لم يكن بشجاعتي وبفضلها
أو ليت حبك لم يكن لقصائدي ولنبلها(٤٨)

على أن رسم البعد الجسدي هو الطاغي في مسرحيته ، فهو يصف عنترة على لسان فتيين يرقبانه ، فيقول :

أحد الفتيين :

ما ذاك ؟ من ؟ قفوا انظروا
جلمودُ صخرٍ أم جسدْ ؟

الآخر :

هذا الفتى عنترةٌ كل الثرى له وسدْ
قد التوى كالأفعوا نِ وتمطى كالأسدْ(٤٩)

وعن سواده يقول على لسان صخر :

صخر :

وسحنةٌ كأنما قد قلبت
على هباتِ القدرِ وجهاً وقفا(٥٠)

وتستحسن عبلة هذا السواد ، فتقول :

عبلة :

هذا السوادُ يا بن عمِّ(م) ـي مثل صبغةِ السحر
كالمسكِ والكحلِ هما في مفرقي وفي البصر
وما يضرك السوا د يا بن عمي ما يضر
الكعبةُ الغراء من أحسن ما فيها الحجر(٥١)

ويصف عنترة خشونته الجسدية فيقول :

عنترة :

ولي يدٌ خشنةُ الأظفارِ أنقلها
من الغدائرِ أحياناً إلى اللبدِ(٥٢)

ونعدم في المسرحية وصفاً جسدياً لبعض الشخوص الثانوية ، كقوله عن اللصوص على لسان سعاد :

سعاد :

سيدتي لا تراعي حول الخباءِ ثلاثه
وجوههم كالحات وفي الثيابِ رثاثه (٥٣)

أو على لسان عبلة :

عبلة :

مرأى البزاةِ ترى اللصوص بوازيا
هم دون ذلك هم حداءُ فلاةِ
جبناءُ خطافون أكبر همهم
عكازُ شيخٍ أو حلي فتاةِ (٥٤)

ونجد التركيز على أبعاد الشخصية في مسرحية أحمد سويلم منذ البداية ، إذ إن قصة عنترة كانت تمثيلاً أداه شخوص المسرحية الأصليون ، وقد قام الشيخ يوسف بتفصيل الأدوار على تلك الشخوص ، وجعل يرد من لا يصلح أن يقوم بالدور ، تأمل ذلك في قوله :

الشيخ : حسناً ، والآن من منكم يلعب دور الفارس عنترة
(يتقدم رجل نحيل الجسم قصير القامة .. خفيض الصوت)
الرجل : أنا .. أنا
(يضحك الجميع)
الرجل : ماذا بكم .. أنا أريد أن أقوم بدور عنترة ..
الجميع : سامحك الله ..
(ضحك)
الشيخ : صبراً يا سادة
يا ولدي .. هل تعرف شيأً عن عنترة ..
الرجل : لا يا سيدنا
الشيخ : عنترة
كان قوي الجسم .. مشدود القامة
ذا لون أسود .. مشقوق الشفة السفلى

(٢) : ماذا قلت ..

أتقول لديه شفة مشقوقة

الشيخ : نعم يا ولدي ..

(٢) : وماذا عن رجل يملك شقاً في الشفتين

وله جسم ضخم .. مشدود القامة

الشيخ : طبعاً يصبح أقرب من غيره

في تمثيل الدور

(٢) : إذن يمكنني أن أفعل هذا .. ما رأيك ..

الشيخ : فعلاً يا ولدي .. بنيتك قوية

وتميل إلى اللون الأسود أيضاً ..

وأرى في شفتيك الشق المطلوب

حسناً . حسناً .. يمكن أن تلعب دوره

الرجل : وأنا .. أنا يا سيدي

حرمتني من دور عنترة

الشيخ : لن أنساك .. سأبحث لك عن دور .

ومن يلعب شيبوب ؟

الأخ الأكبر للفارس عنترة

الشاعر : أعرف يا سيدي عن شيبوب الحكمة

وأعرف عنه ذكاء الخاطر(٥٥) .

وإذا كان أحمد سويلم قد أجاد رسم البعد الجسمي للشخصية فإن التوفيق لم يحالفه عندما حاول الاقتراب من نفسية شخوصه ، إذ نلمس عنده بعض الاضطراب الذي قد يصل إلى حد التناقض ، فعنترة مرة يفخر بسواده ولا يكترث بعبوديته فهو متزن النفس ، متماسك القوة ، نرى ذلك في قوله :

عنترة : حسبك يا ابن زياد

(فإن أك أسوداً فالمسك لوني

وما لسواد جلدي من دواء

ولكن تبعد الفحشاء عني

كبعد الأرض عن جو السماء)

أنا أفخر يا ابن زياد بسيفي

نسبي سيفي ودروعي وبطولاتي وصراعي اليومي

وبها أصبح حراً وفتياً ..

وهذا ما يجعلني مختلفاً عنك (٥٦) .

في حين يبدو في موطن آخر وهو يعاني من أزمة نفسية ونشعر أنه مهزوم من الداخل :

عنترة : سأريح السادة من أحلام عبيد السادة

(لنفسه) حقاً .. يبدو أني أحلم أكبر من طاقة نفسي

حتى الحلم لا يسمح لي أن أجعله في قلبي

هذي مرتبة لا يبلغها إلا السادة ..

علي الآن أن أرحل في أرض الله ولا أرجع (يبكي)(٥٧).

وللبعد الاجتماعي بروز في مسرحية الفارس ، فالكاتب يقدم عنترة على أنه المنقذ والمخلص ، والمدافع عن الكرامة ، والفارس المنتظر الذي لا يستغني عنه الشعب :

عبلة : يا أبت .. لا تظلم عنترة ..

ولا تنسى ما يفعله من أجل كرامتنا(٥٨) .

وفي موطن آخر تقول :

عبلة : أرأيتم يا سادة ماذا يفعل عنترة الفارس

من أجل حمايتكم(٥٩) .

ويبدو ذلك بشكل أكبر في نشيد الكورال الذي جاء فيه:

فارسكم حلم يتجسد

فارسكم في الموعد هلا

في قبضته السيف الحامي

في عينيه الحلم تجلى

يحمي وطناً .. يعشق أرضاً

يصنع حلماً .. يزرع نخلاً (٦٠) .

أما مسرحية (سهرة مع عنترة) فلم يهتم الكاتب فيها برسم الأبعاد الجسمية ، فهو لا يشير إلى سواد عنترة أو إلى شفته المشقوقة أو سائر صفاته التي رأينا بعضاً منها في المسرحيات السالفة ، ذلك أنه لم يهدف من كتابة مسرحيته إلى تصوير حقبة من الحقب التاريخية والتغني

بأمجادها ، وذكر بطولاتها ، إن اسم عنترة قد تحول لدى الكاتب إلى رمز قد استوطن الذاكرة الجماعية للمتلقين ، لذا ليس من الأولى أن يعرِّف الكاتب من هو محفور في وعي من يتوجه إليهم بنصه .

لقد أسبغ الكاتب على بطله صفات فريدة من نوعها ، فهو يتمتع بالحدس الصادق ، ويمتلك قدرة على الكشف واستبطان الأمور ، إنه كاهن من طراز عجيب ، فهو على إيغاله في القدم يعرف خفايا الأمور ، ويفهم عصرنا أكثر مما نفهمه ، إنه مصدر المعرفة ، ومكمن الخبرة ، لذا صار جديراً بلقب الفارس والبطل الأسطورة :

الراوي :

هذا الجمع الحاشد يهتف لك

ويحييك الليلة مثل تحياته

للرؤساء وللقواد

أنت الفارس ، أنت القائد ..

والبطل الأسطورة(٦١) .

وقد بدت تلك الخبرة متناثرة في أثناء المسرحية كقوله:

عنترة : ما يتعسكم أنتم أقدر في رؤيته

أقدر في وضع حلول وإجابات له(٦٢) .

كما ظهر بصره بقضايا الحاضر في قوله :

الراوي : قد تشعل كلمة حق ثورة

عنترة : ما أكثر ما أكره هذي الكلمة !

قد صارت تتردد - أكثر ما تتردد - في أفواه الخونة

من أعداء الثورة والحرية

الراوي : (مستدركاً)

إنك أول فرسان الحرية

في الأرض العربية

عنترة : (متهكماً)

فلماذا لم تشعلها كلمات تكتب في الصحف الصفراء

تلك الصحف المأجورة والشوهاء ؟!(٦٣) .

ومما يؤخذ على الكاتب أنه لم يستطع أن يقنعنا بصلاحية استلهام شخصية عنترة في هذا الموطن ، إذ قد بدا أنه حمَّل الشخصية أكثر مما تحتمل ، حيث لم يعرف التاريخ عن عنترة الدهاء والتفكير الناضج الذي كشفت عنه المسرحية ، وكل ما وصلنا عنه يتعلق بقوته الجسمية ، أو شجاعته النادرة ، بل إن القصص الشعبي كان نسب ذلك الذكاء المتوقد لأخيه شيبوب لا له .

٢ - الصراع :

يعد الصراع "العمود الفقري للبناء الدرامي ، فبدونه لا قيمة للحدث"(٦٤) ، لأنه "النبع الذي تصدر عنه الرواية التمثيلية"(٦٥) .

كما أنه هو المحرك لعناصر التناقض التي تجعل "من المسرح مسرحاً نابضاً بالحياة والحركة "(٦٦) .

على أنه توجد بعض المسرحيات الناجحة التي خلت من الصراع لكونها ملحمية "استبدلت مفهوم الصراع بمفهوم التناقض على مستوى الشخصية نفسها ، أو على مستوى علاقة الشخصية بالعالم"(٦٧) ، وربما نجحت بعض المسرحيات غير الملحمية مع خلوها من الصراع بسبب اشتمالها على مشاكل اجتماعية أو سياسية أو فكرية تثير الاختلاف فتستحق بذلك التأمل واجتذاب أنظار الجمهور .

وتختلف المسرحيات التي تعالجها هذه الدراسة من ناحية شكل الصراع ودرجة قوته والاهتمام به ، فالقباني نتيجة اعتماده على السيرة الشعبية لا يكاد يكشف لنا عن دخيلة نفس عنترة إلا لماماً ، وهو كشف لا يبدو منه أنه يعاني أي صراع من أي نوع .

إن الصراع في مسرحية القباني صراع خارجي فحسب، يقوم على تصادم بين عنترة وخصومه الذين يتربصون به .

وربما علم المتلقي نتيجة هذا الصراع قبل أن يبدأ ، فهو صراع مع عنترة الفارس الذي لا يقهر ، لذا ينبغي أن تحسم النتيجة لصالحه .

ويتلخص الصراع في مسرحية القباني في قيام مسعود ملك اليمن بمحاولة إزاحة عنترة عن طريقه ، حتى يتم له الزواج بعبلة ، وقد اتخذ لذلك حيلاً شتى ، فمرة يحاول سحر عنترة ، وأخرى يقوم بسحر عبلة ، وعندما تكشفت الحيل لجأ مسعود إلى القوة ، ودارت معركة بينه وبين عنترة انتهت بهزيمة جيش مسعود وقتله .

هذا الصراع المعتمد على الجعجعة والصخب المحسوم سلفاً قلل من قيمة المسرحية من الناحية الفنية ، بل لا أعد مبالغاً إذا قلت : إن القباني ليس له حظ من هذا العمل سوى تقديمه في قالب مسرحي ، فالأحداث والشخصيات والحبكة محسومة في القصص الشعبي الذي سار القباني في محاكاتها حذو القذة بالقذة .

ونلمس عند شوقي مظهراً خافتاً للصراع الداخلي غير المعمق ، وقد بدا ذلك في صدر مسرحيته ، حيث ظهر عنترة يناجي نفسه في شيء من التوتر والمعاناة الممتزجة بالخوف .

إنه يخشى أن يكون حب عبلة إياه من أجل شجاعته وقريضه فحسب ، ذلك أن سواد لونه غير مفضل لدى الجميع ، وهو يظن أن ذلك الشعور ساكن في دواخل محبوبته .

وربما صرح بما يجيش في نفسه أمام عبلة ، فهو في إحدى حواراته معها يقول :

لو لم تهيمي عبلتي بحملاتي المنكره
وليس بي أنا ولا بسحنتي المحتقره
لقلت إذ دعوتني يا قمري يا سكره[68]

أما عبلة فقد وهنتها حمى الغيرة على محبوبها ، إنها تسمع أن عنترة يهوى امرأة أخرى فيمتلكها القلق، وتعيش صراعاً نفسياً نحس به وهي تناجي بعيرها، إذ تقول:

قل لي بربك من تحب (م) ومن تحبك يا بعير
أي النياق فإنهن (م) على مراعينا كثير
وهل اكتفيت بناقة أم أنت كالعبسي زير
تلهو بما دفع الروا حُ إليك أو ساق البكور
متنقلاً بين البيو تِ على عقائلها يدور
ما حق عنترَ عندنا إلا التجنبُ والنفور
ما لي تملك مهجتي عبدٌ على عبسٍ إمير
لو يجمع الناسَ السريـ ـرُ لجاءه يسعى السرير
كالليلِ إلا أنه في عيني القمرُ المنير
حسدتني الدنيا عليـ ـه وكلُّ محسودٍ خطير[69]

ولا تستطيع جوانح عبلة أن تكتم ما تحس به فتنطلق مصرحة لعنترة بما يعتلج داخلها :

عبلة : كم من فتاة كم ماذا من الغيد ؟
يقولون عنترة لم يقف بحي من البيد إلا خطب
فقال لهاتيك ما تشتهي وغازل تلك وأخرى أحب
خلائله صرن مثل الحصى
عنترة : وأنت أصدقت هذا الكذب
أحاديث لفقها حسدي وقد يخلق الحاسدون الريب
عبلة : وأخت سعد ؟
عنترة : ما لها ؟
عبلة : ألم تقد بعيرها ؟
وما نسيت في ظلا م الليل أن تزورها[70]

لكن هذه الومضات عند شوقي بالإضافة إلى خفوتها لم تؤثر على سير الأحداث ولم تغير مجراها ، وظل الصراع الخارجي بين عنترة وخصومه هو المسيطر على أجواء المسرحية والمتحكم في مسارها .

ويكاد أن يكون صراعه مع غريمه صخر هو المستبد بالأحداث ، لا سيما أن هذا الغريم ظل حتى آخر المسرحية معادياً لعنترة ناقماً عليه ، وهذا ما لم نجده عند ضرغام الذي ظهر في بداية الأمر غريماً لعنترة بخطبته

عبلة ، لكنه ما لبث أن تراجع عن ذلك وترك الخيار لعبلة لما علم أن عنترة يرغب الزواج منها .

ويزداد الصراع الداخلي عمقاً في مسرحية أحمد سويلم ، فعنترة يئن تحت وطأة الاستعباد ويتطلع نحو الحرية ، فتتصارع مشاعره النفسية لتصل إلى حالة من التأزم ، فلا يكاد حينها يضبط توازنه فيلجأ إلى البكاء والنحيب في أكثر من موطن داخل مسرحيته .

إن هذا الصراع المعمق في سبيل نيل الحرية وإثبات النسب لا نكاد نجد شيئاً منه عند القباني وشوقي ، وقد تمكن الكاتب به من رسم تضاريس نفسية البطل ، ولا غرو أن يجعل الكاتب بطله يستسلم للبكاء الناتج عن شدة المعاناة وقوة الألم ، ذلك أن هذا الصنيع يتفق تماماً مع نفسية البطل التراجيدي ، كما أن اللجوء إلى مثل ذلك يخفف من التأزم المكبوت ، لأن "الدموع والصرخات تخفف من حدة الألم"(٧١) .

على أن هذا الصراع قد حمل ظلالاً من الإسقاطات السياسية التي رمى الكاتب من خلالها إلى تحميل البطل هموم الأمة والشعب الذي يصارع من أجل نيل حريته وبلوغ كرامته ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك أثناء الوقوف عند الرؤية الفكرية في المسرحية .

أما الصراع الخارجي في مسرحية (الفارس) فلا يكاد يبين فيه الكاتب عن رؤية جديدة تميزه عمن سبقه ، فالجدل والحجاج والسباب محتدم بين عنترة وعمارة بن زياد على الأصعدة جميعها :

عمارة : وماذا يجدي هذا كله

وأنت العبد الأسود

إنك فينا مجهول النسب .. ومقهور النفس

هل لك أن تخبرنا من أنت

حتى تتشدق بالكلمات ..

وتحسب نفسك من فرسان القوم ؟

عنترة : عمارة بن زياد ؟

خصمي في حب عبلة

عمارة : خسئت يا غراب البين(٧٢)

وتجاوز الصراع ذلك إلى حمل السيوف والطعان ، حيث يقيم الكاتب منازلة بينهما تنتهي – دون شك – لصالح البطل :

عنترة : شكراً لك يا أبت ..

وأنا رهن إشارة مولاي

إن تحكم بمبارزة ابن زياد

فأنا رهن إشارتكم

وإذا سابقني .. أسبقه

أنا لا أملك إلا سيفي يا مولاي

يفتح لي كل الأبواب المغلقة

ولا يعصيني في شيء

عمارة : أتظنك تنجح في قتلي يا هذا ؟

عنترة : بل أنجح يا ابن زياد .. لو شئت

(همهمة)

عمارة : أتراني أخشاك .. أنا لك

ليسمح مولانا بمبارزته

فألقنه درساً لن ينساه

أصوات : أسمح لهما يا مولانا ..

(يشير زهير بالموافقة .. يسود صمت رهيب .. يذهب كل منهما إلى ناحية ويستعدان)(٧٣)

وأحسب أن هذا الصراع الخارجي (الجسدي) قد أضعف بنية المسرحية ، وأجهض – إلى حد كبير – كثيراً من الأفكار والرموز التي أراد الكاتب بثها داخل مسرحيته، كما أن الكاتب من خلاله قد وقع في النمطية وجافاه الابتكار ، ذلك أن هذا النوع من الصراع هو الصفة السائدة

في المسرحيات المستمدة من التاريخ في مرحلة البدايات[٧٤]" ولا يخفى أن هذا الصراع الخارجي هو أشد ألوان الصراع بدائية من بين أنماط الصراع المفجع كلها"[٧٥] .

وقد جاءت مسرحية (سهرة مع عنترة) خالية من الصراع بنوعيه الداخلي والخارجي ، لا يعني ورودها خلواً منه أن الكاتب لم يوفق في عمله ، ذلك أن نجاح المسرحية مكفول بقدرتها على اجتذاب المتلقي ، وهذا بلا ريب يتم بأمور كثيرة ، منها إحلال مفهوم التناقض محل الصراع – كما في المسرح البرختي – ، أو اشتمال المسرحية على قضية تهم المجتمع سياسية كانت أو فكرية أو اجتماعية ، وهو ما أحسب أن المسرحية حققت قدراً مناسباً منه .

والكاتب قد أشعرنا منذ البداية بأن ما يحدث أمامنا هو تمثيل وليس حقيقة ، محاولاً بعث شخصية البطل عنترة الذي استدعي من عصره الغابر إلى هذا العصر وأوقف على مسرح عصري ، يحاوره فيه راو يتزيا بزي عصري ، ونشهد فيه الجندي والضابط وقد ارتدى كل منهما بزته العسكرية ، كل ذلك يشعر بأن ما يتم لن يكون قصاً لبطولات عنترة وهيامه بمحبوبته ، وصراعاته مع خصومه ، وإنما هناك ما سيقال على لسان هذه الشخصية المستدعاة، لتتحمل هي وحدها مسؤوليته ، في شكل من أشكال الاختفاء وراء التراث من أجل التعبير به لا عنه .

٣ – **الحوار :**

الحوار عنصر مهم من عناصر المسرحية ، بل إن بعض النقاد يعول عليه كثيراً عند النظر إليها أو تقويمها فيذكر "أن التمثيلية هي حوارها"[٧٦] .

ومع اختلاف اتجاهات النقاد والمبدعين في التعامل مع عنصر الحوار في المسرحية فإن هذا العنصر يبقى أداة لغوية ودرامية ذات شأن كبير[٧٧] .

وتكمن أهمية الحوار في كونه الوسيلة الأم من وسائل تطوير الحبكة ، وتصعيد المواقف[٧٨].

وإذا كان الأمر كذلك فإن تتبع الحوار لدى كتاب المسرح الذين استلهموا شخصية عنترة يعد أساساً لا يمكن تجاهله في هذا البحث للوقوف على مدى استغلال هذه الأداة في بناء مسرحياتهم .

وتختلف وظائف الحوار في المسرحيات التي يعالجها هذا البحث، فهي عند القباني تكاد تنحصر على الوظيفة الأساسية له، وهي السعي بالأحداث إلى مواقف جديدة وتطويرها في خط التصعيد الدرامي، كما يساعد الحوار عنده – إلى حد ما – في رسم أبعاد الشخصية ، فمن خلاله يتم اكتشاف أهل الشر المتربصين بعنترة، وأهل الخير المتضامنين معه .

ويزيد شوقي على هاتين الوظيفتين كون الحوار لديه يقوم بوظيفة العرض الاجتماعي المتمثل في وصف مظاهر الطبيعة في تلك الحقبة أو في الكشف عن العادات والتقاليد السائدة آنذاك ، فمن الأول قوله :

عبلة :

وادي الصفا تجاوبت ... وزقزقت عصافرُه
وانتبهت خيامُه ... واستيقظت حظائرُه
صاحت هناك شاؤه ... وههنا أباعرُه
أوله في لجة الـ ... ـفجرِ جرى وآخرُه
نباته ومــاؤه ... وظلفه وحافرُه

فتاة : (تتغنى)

جئن الصفا يا عذارى ... واملأن منه الجرارا

الأخريات : (متغنيات)

جئن الصفا

الأولى وحدها :

ماء من الفجر أصفى ... فردن صفا فصفا[٧٩]

ومن الثاني ما جاء في المنظر الثاني من الفصل الثاني ، حيث كشف الحوار عن عادة العرب في التعامل مع الضيف المتمثلة في الترحيب به وتقديم القرى ، يقول :

مالك : الجزور الجزور ، والنار النا

ر قرى الضيف ضيفنا اليوم عامر

يا مرحباً بعامرِ الـ عليـة الأكابـــر

حظ لعمري عظـيمٌ

الضيفان : لنحن أعظـمُ حـظا

مالك : سراةُ عامر عندي

أحد الضيوف : في دار سيدِ عبسِ[٨٠]

وإذا كان الحوار في مسرحيتي القباني وشوقي قد أسهم – إلى حد ما – في رسم أبعاد الشخصية ، فإنه عند أحمد سويلم قد أدخلنا إلى عالم الشخصيات ، وتوغل بنا في دواخلها ، تأمل ذلك في قوله :

شداد : كف يا عنترة

كف الشعر .. وكف التشبيب بعبلة

لا تجلب عاراً أكثر مما حدث لنا منك

عنترة : لكني

شداد : (يضربه) قلت كفاك

ولا تحدث بين الناس شقاقا

لا يعلم آخره إلا الله

كن في حالك .. لا تبرح مرتبتك

شيبوب : هون من نفسك يا أخي .. تحمل يا أخي تحمل ..

عمارة : قلها يا عم ..

أخبره ماذا اليوم يساوي في عبس

أخبره أن العبد عليه الحلب .. وعليه الصر

وعليه الخدمة والعمل الشاق

شداد : هو يعلم هذا

عمارة : أخبره أيضاً أن الفارس سيد قومه

عنترة : أتوافقه يا سيدي ..

شداد : هذا ما تمليه علينا الأعراف

الفارس سيد قومه

ولا أملك تغيير الأقدار

عنترة : انطقها يا سيدي

قل إني أحقر عبد عندك

مسلوب الهمة .. مقهور النفس

قل ما يحلو لك

وأعاهدكم يا سادة عبس

ألا أبرح مرتبتي بعد اليوم[٨١]

أما وظيفة الحوار الكبرى في مسرحية حسين علي محمد فهي تقديم أفكار الكاتب ورؤاه من خلال التحاور مع الشخصية المستلهمة ، فالراوي يحاور عنترة حتى يستمع إلى آرائه في الأوضاع الحاضرة التي يعيشها المجتمع ، محاولاً أن يجد الحلول على يد البطل المستلهم :

الراوي : أصحابي جلسوا في مائدة الضوء

أكلوا حتى .. تخموا

شربوا .. حتى ثملوا

وقضوا أوقاتاً ممتعة في أرصفة الميناءات

يلهون بحسو اللذة ومرافقة الحسناوات

وأنا في كل صباح أسأل نفسي

هل تمضي وحدك ؟

عنترة : والأصحاب ؟

الراوي : رحلوا للصحراء

ما قالوا قولة حق في سلطان جائر

بل قالوا نعتزل الفتنة

لا نرضى أن نغمس أيدينا في طبق الدم

وانطلقوا للصحراء

يرعون الأغنام ، يصبون القهوة ..

ويصيرون عبيداً .. عصريين

عنترة : ولماذا فروا من هذا الوادي المغدق ؟

الراوي : فروا لما استأثر واليهم بالأخضر واليابس

هذا ما يتعسهم

(متراجعاً)

هذا ما يتعسنا ...

عنترة : ما يتعسكم أنتم أقدر في رؤيته

أقدر في وضع حلول وإجابات له(٨٢) .

وقبل الوقوف عند لغة تلك المسرحيات يحسن بنا أن نشير إلى أن أقدم تلك المسرحيات من الناحية التاريخية وهي مسرحية القباني كانت مزيجاً من الشعر والنثر ، وتلك طبيعة الكتابة المسرحية آنذاك ، إذ لم يكن الشعر قد بسط نفوذه على المسرح .

وإذا كان الأمر كذلك فإننا في مسرحية القباني أمام لغتين ، لغة شعرية وأخرى نثرية ، حاول في الأولى منهما التزام قواعد السلامة اللغوية ، والاقتراب من الجزالة والقوة التي تتناسب مع أجواء البطولة ومواقف الشجاعة ، كقوله على لسان عنترة :

يريـــد مذلتـــي ويـدور حولـــي
بجيـشِ النائبـــات إذا أتانــــي

ولم يـدر بأنــي ســوف أصلـــي
حشاشـــته بحمـــرِ الهندوانــــي

أيا ملكاً سمـــا أصــلاً وفصـــلاً
ودونـك فـي المعالـي الفرقـــدانِ

أيطلـــب عبلتـــي وغـــدٌ لئيـــمٌ
وسيفـــي والقنـــا فرســـا رهـــانِ

أيا ابن مصاد سوف ترى مصـــاداً
عفـــيراً فـــي المذلـــةِ والهـــوانِ

وفوقك في الـثرى العقبانُ تهـوي
إذا ما سار في اليمن اليماني(٨٣)

ولا نكاد نعثر له في شعره إلا على نزر يسير من المخالفات اللغوية ، كقوله على لسان عبلة :

أعنتر قد غـدا قلبـــي حزينـــاً
ومن طرف البلا دمعـي سخينـا

مدامـــع مقلتـي زادت ففاضـت
علـى خدي لآلئ مـع لجينـــا(٨٤)

والصواب : مع لجين .

وقوله على لسان عنترة :

غداً يـا بنـت مالـك تنظرينـــا
وسوف تـرين آساد العرينا(٨٥)

إذ الصواب : آساد العرين .

أما نثره فقد اقترب به كثيراً من اللغة الشعبية ، فأضحى مليئاً بالتجاوزات النحوية ، والهنات اللغوية التي لا نعلم أكانت عن قصد من الكاتب أم هي خارجة عن إرادته ونتيجة لعدم قدرته على التعامل مع العبارات المسجوعة التي التزمها ، وكلا الأمرين لا يعفيه من المؤاخذة ، ومن تلك المخالفات قوله على لسان الربيع :

وحينما أخذنا من مسعود الذمام ، لم نسمع له قولاً ولا كلام(٨٦) .

والصواب : ولا كلاما .

وقوله على لسان عنترة :

فلا يبلغون منا مرام ، ولو ركبوا ظهر الغمام(٨٧) .

والصواب : فلا يبلغون منا مراما .

وقوله على لسان عمارة :

اذهب مظفراً ومنصور، على مدى الأيام والدهور(٨٨).

والصواب : اذهب مظفراً ومنصورا .

وقوله على لسان عنترة :

ها قد صرت مفكوك، فما الذي صار يا صعلوك(٨٩).

والصواب : ها قد صرت مفكوكا .

أما شوقي فقد اتسمت لغته في حواراته بالقوة والجمال، وهو في حواره يكتب بقلمين، ويزاوج بين أسلوبين،

فتارة نرى أسلوبه جزلاً يتسم بالفخامة وعلو الجرس، ويشبه – إلى حد كبير – شعر عنترة ، بل إنه ليكاد يلتبس به ، وذلك في المواطن التي لها علاقة بالبطولة والإقدام والنيل من الخصوم ، ومرة نقرأ أسلوباً سهلاً ينضح بالرقة والرواء ، وذلك في مواطن الغزل المشتمل على الأحاديث الغرامية والمناجاة الهيامية ، فمن الأول قوله على لسان عنترة :

يا عبلة كم بيداء جبت مخوفةً

قذفت إليَّ بذئبها والضيغمِ[٩٠]

فلقيت كلَّ مغازلٍ بسلاحه

وجعلت أضرب باليدين وبالفمِ

أخرت رمحي وادخرت مهندي

وربطت سرجي للكمي المعلمِ[٩١]

ومن الثاني قوله :

لم أنم يا عبلَ عند عهدِ الهوى

من رعى أمراً عظيماً لم ينم

اذكري يا عبلَ أيام الصبا

حين أسقي بين عينيك الغنم

اذكري أنت طفلٌ حلوة

قد كساك الحسنُ فرعاً وقدم

إذ تجيئين بصبيانِ الحمى

وصبايا الحيِّ في ظل الخيم

فتقصين عليهم خبري

مع ذئبِ القفرِ أو ليثِ الأجم

أنا يا عبلةُ عبدٌ في الهوى

وأنا يا عبلَ في القربى ابنُ عم[٩٢]

وتتقارب اللغة المسرحية التي يكتب بها كل من أحمد سويلم وحسين علي محمد ، فهي لغة تتسم بالسهولة والألفة ، غير موغلة في الفنية ولا يصحبها التأنق النخبوي في اختيار الألفاظ وانتقاء التراكيب .

على أن لغة حسين علي محمد ألصق بالتكثيف اللغوي البادي من خلال اختزاله لكثير من العبارات والجمل داخل مسرحيته ، وهو ما يميزه عن صاحبه .

وقد بدا عدم الانتقاء اللغوي عند أحمد سويلم من خلال استعماله لبعض الألفاظ الدارجة البعيد عن الإيحاء والإشعاع الجمالي ، كقوله :

(١) : أوحشتنا يا شيخ يوسف[٩٣] **.**

وقوله :

أصوات : الحق معك يا سيدنا الشيخ[٩٤] **.**

أو في ظهور بعض الهنات اللغوية ، كاستعمال عبارة (مبروك) بدل (مبارك) ، في قوله :

(٢) : يوم زفاف أميرتنا يوم مبروك[٩٥]

وكصرفه للممنوع من الصرف في قوله على لسان الكورال:

الفارس يبقى يقظاناً[٩٦] **.**

وتمثل اقتراب حسين علي محمد من اللغة الشعبية في قول الراوية :

سيداتي .. سادتي

معنا في هذي الليلة ضيف[٩٧] **.**

وقوله على لسان المتفرج في لغة جماهيرية:

بالروح .. بالدم .. نفديك يا عنتره

بالروح .. بالدم .. نفديك يا عنتره[٩٨] **.**

على أننا لا نعدم عند الكاتب تحليقاً في عالم الخيال يقدم من خلاله لغة مكتنزة بالصور المجنحة ، كقوله :

عنترة : أملأ بالبوح هذي الشواطئ

يشرق تحت سنابك خيل الهزيمة وجهي

يعانق حلمه[٩٩] **.**

وقوله :

عنترة :

تعالي إلى حبة القلب

صبي دفوق الضياء

فإني بأفقك

ذرة شوق

تتوق إلى عتبات الضياء

وأعرف أنك حبي الذي عاش عمراً يؤجل

في صفحات الرجاء

وهذي تباريح قلبي

تشق المفازات ، تهفو إليك

وطير الحنين يغرد

بين الحنايا

ينادي عليك

متى يا حبيبة قلبي اللقاء ؟

مشوقاً إليك أجيء وقد أنكرتني دروبي

بعمر يمزقه في سواد الليالي السؤال :

متى يستضيء المحب بنور الجمال ؟

وكيف أعاود قيضي لأنعم يوماً لديك

بفيء الظلال

وفيض العطاء ؟[١٠٠] .

وإذا كان الحوار الناجح يقوم على الإيجاز والتركيز ويتطلب جملة قليلة الكلمات ، تصل إلى هدفها من أقرب طريق ، فإن الترهل في الجمل الحوارية يعد عيباً يجب على المسرحية أن تتخلص منه.

ويعثر القارئ لمسرحية القباني على غنائيات تعطل الحركة الدرامية ، وذلك كالقصيدة التي أنشدها عنترة يذكر فيها شجاعته وبطولته ، ومطلعها :

أحن إلى ضرب السيوف القواضب

وأصبو إلى طعن الرماح الكواعب[١٠١]

وكالقصيدة التي جاءت على لسان حارث ، ومطلعها:

عمارة خل عجبك والفخارا

وهذا التيه والتزم النفارا[١٠٢]

حيث بلغت القصيدة عشرة أبيات .

وكالغزل الذي جاء على لسان مقري الوحش في مسيكة ، والذي وصلت أبياته إلى تسعة[١٠٣].

ولم ينج شوقي من الوقوع في مثل تلك الغنائيات الطويلة التي أفقدت الحوار حيويته وتدفقه ، وإن كانت تلك الغنائية في مسرحية (عنترة) أقل مما صنعه في مسرحية (كليوباترة) .

وقد بدا ذلك الطول الحواري منذ مطلع المسرحية ، حيث أنشد عنترة قصيدة مطلعها :

سلي الصبح عني كيف يا عبل أصبح

وأين يراني نجمه حين يلمح[١٠٤]

وقد بلغت القصيدة عشرة أبيات .

ويستفتح في المشهد التاسع عشر من الفصل الأول حواراً له مع عبلة بقصيدة من عشرة أبيات ، مطلعها :

أجل لي ثلاث ألبس البيد حائراً

كما يلبس الليل الطويل سقيم[١٠٥]

ويذكر شجاعته وبطولته في المشهد الثاني والعشرين من الفصل الأول بقصيدة بلغت عشرة أبيات[١٠٦].

وتناجي عبلة بعيرها في الفصل الثالث بقصيدة بلغت عشرة أبيات[١٠٧] . وفي المشهد السادس من الفصل الثالث ينشد عنترة قصيدة غزلية بلغت سبعة عشر بيتاً[١٠٨] .

ويكاد يكون أحمد سويلم بنجوة من مثل تلك الإطالات الحوارية ، فتأخره الزمني عن القباني وشوقي جعله يفيد من العثرات التي وقع فيها جيل الرواد من المسرحيين .

ويشاركه حسين علي محمد في ذلك ، وإن كان لم يلتزم ذلك تماماً إذ نرى له غنائية جاءت على لسان المتفرج بلغت أحد عشر بيتاً ، مطلعها :

رأيتك بين الرمل والماء وردة

تضيء دمائي أول العشق يا سنا[١٠٩]

٤ - البنية الإيقاعية :

ارتبطت دراسة الإيقاع في الشعر منذ القدم بالمسرح، فقد كان أرسطو ينظر للأوزان ومدى ملاءمتها للشخصية في فعلها المسرحي[١١٠] .

ويرى أحد الباحثين أنه من المبالغة القول بأن الشعر لا مجال له في المسرح ، وأن وجوده فيه بقية متحجرة من عهد قديم ، بل على العكس تماماً فالشعر أمثل الأساليب للعطاء المسرحي الجيد[١١١] .

لكن من الإنصاف القول بأن بداية المسرح العربي مع الشعر صادفت كثيراً من العثرات التي ينبغي ألا يدفعنا الاعتزاز بعروبتنا وعطائنا الثقافي إلى إنكارها .

لقد كان المسرح العربي في بداياته يمزج بين الشعر والنثر في مراوحة تشبه تلك المزاوجة التي نراها في القطع النثرية التي ينشئونها الكتاب في حقب العصور الوسيطة .

فالشعر في المسرح في مرحلة البداية ليس سوى تحلية لمقاطع الحوار في العمل المسرحي ، يبدي الكاتب من خلالها براعته في التمكن من صناعتي الشعر والنثر ، ويحاول أن ينفي الملل عن القارئ في المراوحة بين اللونين ، وهذا ما نجده عند القباني ومجايليه .

إن القطع الشعرية التي اشتملت عليها مسرحية القباني لا تسهم في نقل الأحداث وتوجيهها ، ولا تسير في خط التصعيد الدرامي ، وهو ما يجعلنا نقول ما قلناه آنفاً.

ولو تأملنا البحور الشعرية التي آثر القباني استعمالها لوجدنا أن بحر الوافر قد ضرب بسهم وافر في عدد استخداماته ، حيث استعمله الكاتب عشر مرات ، ومن المعلوم أن البحر الوافر حسن في الإنشاد المشتمل على الترجيع[١١٢]، وهو ما يناسب مسرحية القباني التي أشار في بدايتها إلى أنها مسرحية تاريخية أدبية غرامية حربية تلحينية .

يلي هذا البحر البحر الرجز الذي استعمله خمس مرات منهوكاً ، ومرتين مجزوءاً ، واستعمال الرجز مجزوءاً أو منهوكاً ألصق بالغناء والتلحين من استعماله تاماً .

يأتي في الدرجة الثالثة البحران الطويل والخفيف اللذان استعملهما الكاتب ثلاث مرات ، يليهما كل من البحر الكامل والرمل والبسيط ، حيث ركب الكاتب هذه البحور مرتين في مسرحيته .

وقد حاول الكاتب استعمال بحور غير خليلية في ثلاثة مواطن من مسرحيته ، ومن تلك الأبيات غير الخليلية قوله :

قد أشرقت شمس الإصلاح

وكوكب الأفراح لاح

هيا بنا نجلو الأقداح

فالأنس وافى والأفراح[١١٣]

وقبل أن أختم حديثي عن الجانب الإيقاعي عند القباني أشير إلى أنه وقع في بعض الهنات الموسيقية والكسور الوزنية التي عكرت صفو الجرس في أبياته ومن ذلك قوله على لسان عنترة :

وسوف ترين مسعود ملقى

على الصحراء من رمحي طعينا[١١٤]

فالمقطوعة التي منها هذا البيت من البحر (الوافر) والشطر الأول مختل الوزن .

وقوله :

حمداً وشكراً للعليم

المنعم البر الرحيم

كذا للنعمان الفخيم

ذي الجود والفضل العظيم[١١٥]

فالأبيات من منهوك الرجز ، والبيت الثالث منها غير مستقيم وزناً .

أما شوقي فكانت مسرحيته شعرية خالصة ، وقد جاء استعماله للبحور الشعرية على النحو التالي[١١٦] :

البحر	عدد مرات وروده				المجموع
	تام	مجزوء	مشطور	منهوك	
الرجز	٩	٤٥	٢٩	٢٧	١١٩
البسيط	٦	٢٠ (مخلع)	١٨	–	٤٤
الخفيف	٢٠	٢	–	–	٢٢
المجتث	–	١٦	–	–	١٦
الكامل	٩	٥	–	–	١٤
الهزج	–	١٢	–	–	١٢
الرمل	٧	٥	–	–	١٢
الوافر	٩	–	–	–	٩
الطويل	٨	–	–	–	٨
المتقارب	٥	–	–	–	٥
المتدارك	–	٢	١	–	٣
السريع	٢	–	–	–	٢
المنسرح	١	–	–	–	١
المجموع	**٧٦**	**١١٦**	**٤٨**	**٢٧**	**٢٦٧**

يظهر الجدول أن شوقي ركب معظم بحور الشعر العربي، حيث استعمل ثلاثة عشر بحراً شعرياً ، ولم يند عنه في هذه المسرحية من بحور الخليل سوى البحر المضارع والمقتضب والمديد ، وتلك بحور يقل استعمالها في الشعر العربي عموماً .

كما يبدي الجدول أن المجزوء من البحور والقصير منها قد ضرب بنصيب وافر من أبيات مسرحيته ، ولا شك أن ذلك أنسب للحوار الذي يحسن أن يكون في النص المسرحي قصيراً مكثفاً .

يكشف الجدول أيضاً عن استعمال جديد للبحر البسيط تمثل في مجيئه في مواطن كثيرة مشطوراً ، وهو استعمال غير معهود ، ومن أمثلته عنده قوله :

لبيك يا عبس　　يا عبس لبيك[١١٧]

مستفعلن فاعل　　مستفعلن فاعل

وقوله :

ناجية يا فتى　　جارية كالرشا

مستعلن فاعلن　　مستعلن فاعلن

وأنت بان بها　　إن شئت أو لم تشا[١١٨]

متفعلن فاعلن　　مستفعلن فاعلن

يبين الجدول أيضاً عن أن شوقي أضاف استعمالاً جديداً للبحر المتدارك ، حيث جعله مشطوراً على هذا النحو:

أنصتوا اسمعوا الرعد في السحب

فاعلن فـــعل فاعلـــن فعـــــل

تلك صرخة الليث في القصب[١١٩]

فاعلـــن فعـــل فاعلـــن فعـــل

ومن الاستعمالات الجديدة عنده مجيء تفعيلة الرجز التي دخلها الترفيل في شطر بيت كامل ، على هذا النحو :

أسـيد شهـمٌ　　أسـيد باســـل

متفعـلاتـــن　　متفعـــلاتـــن

تعـال ننظـر　　كيـف ينــــازل

متفعـــلاتـــن　　مستعـــلاتـــن

ليث الصحارى　　غول القبائل[١٢٠]

مستفعلاتـــن　　مستفعـــلاتـــن

وكثيراً ما يلجأ شوقي إلى تقفيات داخلية تسهم في إكساب النص مزيداً من الموسيقا والنغم ، كقوله :

بل اهجموا وأقدموا　　لا تحجموا فذاك عار[١٢١]

وقوله :

ما شكله ؟ ما لونه ؟ ما وجهه ؟[١٢٢]

وقوله :

على قدم حيوا العلم ليث الأجم[١٢٣]

ويعثر القارئ لهذه المسرحية على استعمال لبعض التفعيلات التي استقبحها العروضيون ، وذلك كمجيء (مستفعلن) مخبولة على هذا النحو (متعلن) ، وقد بدا ذلك في قوله :

قد الـــتوى كالأفعـــوا　　ن وتمطى كالأسد[١٢٤]

متفعـــلن مستفعلـــن　　متعلـــن مستفعــلـــن

وقوله :

إن اللصـــوص طمعـــوا　　فيما عليك من ذهب[١٢٥]

مستفعلـــن متعلـــن　　مستفعلـــن متفعلـــن

وقد تتحول عنده تفعيلة المنسرح (مفعولات) إلى (مفعلاتن) فينكسر البيت كما في قوله :

الأمـــر يا عبـل ما تأمرينـــا

فالشأن يعنيك ليس يعنينا[١٢٦]

مستفعلـــن مفعلاتـــن متفعـــل

مستفعلن مفعـــلات مستفعـــل

ومما يفسد الإيقاع الموسيقي في المسرحية ويجعله باهتاً تغييره الوزن في حديث الشخصية الواحدة ، كقوله على لسان عبلة :

كـــم مـــن فتـــاة كـــــم

مـــاذا مـــن الغيـــــد

يقولـــون عنـــترة لم يقـــف

بحي من البيد إلا خطـب[١٢٧]

وربما ألجأ الحوار الكاتب إلى تجزئة البيت فيزول بذلك الإيقاع تماماً ، كقوله :

عمرو : غضبان

غضبان : لبيك

عمرو : أجبني

غضبان : سل مر

عمرو : كيف لقا عنترة الغضنفر ؟

غضبان : وجهاً لوجه ؟

زهير : لم لا ؟

غضبان : لا أجتري

زهير : كيف تبيعه إذن وتشتري ؟[١٢٨]

ويبني أحمد سويلم مسرحيته على الشعر التفعيلي ، ولا يكاد يحيد عن هذا النمط إلا في الاقتباسات التي يضمنها مسرحيته ، وفي أناشيد الكورال حيث يدخل الشعر العمودي رافداً من روافد التنغيم الموسيقي في المسرحية .

وهو في نشيد الكورال لا يخرج عن البحر الرمل أو المتدارك ، وضمت اقتباساته أبياتاً من البحر الكامل والبسيط والرجز والمتقارب .

وقد آثر الكاتب في مسرحيته استعمال تفعيلة (فاعلن) ، وهي تارة تأتي عنده تامة ، ومرة مخبونة (فعِلن)، وربما دخلها التشعيث فصارت (فعْلن) ، وفي أحيان قليلة يدخلها القبض فتصير (فاعلُ) ، وقد يجتمع القبض مع التشعيث فتصير (فعْلُ) .

وقد جاءت كل هذه الاستعمالات في هذا المقطع :

شيبوب : حسناً تفعل يا أخي

فَعِلن فاعلُ فاعلن

عمارة : اقتلني يا عنتره

فعْلن فعْلن فاعلن

اقتلني لا يمكنني أن أحيا بعد اليوم[١٢٩]

فعْلن فعْلن فاعلُ فعْلن فعْلن فعْلن فعْلُ

وعلى سعة مساحة الحركة التي تعطيها هذه التفعيلة نتيجة تعدد استعمالاتها وتنوع زحافاتها فإن الكاتب لم يسلم من الوقوع أسير الكسر الموسيقي بإقحام تفعيلة أخرى داخل النسق . فتحول ما يقول من شعر إلى نثر ، وقد بدا ذلك جلياً في قوله :

عمارة : وماذا يجدي هذا كله

وأنت العبد الأسود [١٣٠] .

وقوله :

شداد : أنا أبوه من أين أتى هذا العبد بتلك الأوهام

أيجرؤ أن ينسب للسادة نفسه[١٣١] .

ويندر أن يحل الكاتب تفعيلة أخرى محل (فاعلن) ، ومن ذلك استعماله تفعيلة (مستفعلن) في قوله :

المنجم :

انتظموا .. وصفقوا

وأفسحوا الطريق

للموكب الكبير والعروس[١٣٢] .

ويزاوج حسين علي محمد في مسرحيته بين الشعر العمودي والتفعيلي، وإن كانت الغلبة للثاني منهما ، وقد اشتملت المسرحية على أحد عشر بيتاً من الطويل ، وثلاثة أبيات من المتدارك ، وبيتاً من الخفيف، كما ضمت اقتباساً لثلاثة أبيات من البحر الكامل ، هي من إنشاء عنترة .

ويقدم الكاتب استعمالاً جديداً للبحر المتقارب تمثل في مجيء الشطر الأول في المسرحية على أربع تفعيلات ، والثاني على ثلاث ، يقول :

تعودين أفتح صـدري لبــوحـ

ك تـولد فـي الأفــق نجمـــه

دموعــك تمطـرنـــي بالــلآلـ

ـئ تدخلنـي ألـف غيمـه[١٣٣]

وتأخذ تفعيلة (فاعلن) بزحافاتها المختلفة النصيب الأوفر في شعره التفعيلي في المسرحية ، وربما شاركتها (فاعلاتن) كما في قوله :

واحد اثنان ثلاثه

سيداتي سادتي[١٣٤] .

أو (فعولن) كما في قوله :

تعالي إلى حبة القلب

صبي دفوق الضياء

فإني بأفقك

ذرة شوق

تتوق إلى عتبات الضياء[١٣٥] .

وتمد التقفيات التي يجنح إليها الكاتب في شعره التفعيلي المسرحية بمزيد من الجرس والتنغيم ، وقد بدا ذلك في قوله :

أما زوجي

فامرأة لا تسكن قلبي

بل تسرق حبي

تحدوني بالعشق

وتفتح جرحي

تسخر من صمتي

أو من بوحي(١٣٦) .

وقوله :

يا موت

يا خانق هذا النبت

يا ظل خفافيش الليل

ومطفئ هذا الصوت(١٣٧) .

وربما أطلت النثرية برأسها أحياناً داخل المسرحية ، إذ يحس القارئ بسرعة اختلاف الإيقاع داخل حديث الشخصية الواحدة، بل داخل السطر الواحد ، مما يخدش السمع ويشعر بالخلل الموسيقي ، وقد بدا ذلك في قوله :

عنترة : كنت أشك بجدوى أن يسمع أحد أقوالي

في عصري الماضي

كيف إذن تستمعون كلامي

في عصر تال لم أخلق له ؟ (١٣٨) .

وقوله :

الراوي : تفجعني كلماتك حقاً

كيف تعاني يا شيبوب

وأنت أمامك بوق الحرية(١٣٩) .

وبعد ، فتلك كانت صورة الفارس عنترة من خلال المسرحيات التي استلهمته ، وربما بدا أن الدراسة تركز على جوانب الضعف والإخفاق أكثر من إشادتها بمواضع السلامة والتميز ، وهذا وإن لم يكن مقصوداً من الباحث - إذ إن ذلك هو ما أسفرت عنه المواجهة مع النصوص المسرحية - لكني أحسب أننا بحاجة إلى إظهار مواطن القصور وأماكن الخطل أكثر من حاجتنا إلى التغني بالتطور الذي وصلنا إليه ، وذلك نشداناً لدعم حركة تطور الشعر في المسرح ، ورغبة في التجافي عن مثل تلك التجاوزات .

الهوامش

١ - في المسرح العربي المعاصر، محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، د . ت ، ص٦ .

٢ - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، على عشري زايد ، الطبعة الأولى ، الشركة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس، ليبيا ، ١٩٧٨م ، ص١٨.

٣ - تراثنا العربي في الأدب المسرحي الحديث ، إبراهيم درديري ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الرياض ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠ م ، ص٤٩ .

٤ - المسرحية التاريخية في المسرح العربي المعاصر ، أحمد زياد محبك ، الطبعة الأولى ، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٩م ، ص١٦.

٥ - المسرح وفضاءاته ، محمد الكغاط ، الطبعة الأولى ، دار البوكيلي ، القنيطرة ، ١٩٩٦م، ص١١٢ .

٦ - المسرح بعد شوقي ، محمد عبدالعزيز الموافي ، الطبعة الثانية، نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ص١٧ .

٧ - المسرحية في الأدب العربي الحديث، محمد يوسف نجم، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ص٢٩٣ .

٨ - هو أحمد بن محمد آغا أقبيق المعروف بالقباني ، ولد سنة ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م وهو سليل أسرة تركية هاجرت إلى دمشق واتخذتها وطناً لها ، من أوائل منشئي المسرح التمثيلي العربي في الشام ومصر، له اشتغال بالأدب والشعر والموسيقا ، تعلم أبو خليل في بلده وأنشأ مسرحاً للتمثيل بدمشق ، من أشهر مسرحياته: هارون

الرشيد، وأنس الجليس ، وناكر الجميل ، غيرها ، توفي بدمشق سنة ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢م (الأعلام، الزركلي ، الطبعة العاشرة ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٢م ، ٢٤٨/١).

٩ - هو أحمد شوقي بن علي شوقي بن أحمد شوقي ، أشهر شعراء العصر الأخير ، يلقب بأمير الشعراء ، ولد في القاهرة سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م نشأ في ظل البيت المالك بمصر ، وتعلم في بعض المدارس الحكومية ، وقضى سنتين في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق ، وأرسله الخديوي توفيق سنة ١٨٨٧م إلى فرنسا فتابع دراسة الحقوق هناك ، من أشهر آثاره : الشوقيات ، ودول العرب ، ومسرحية كليوباتره ، ومسرحية مجنون ليلى، ومسرحية قمبيز ، ومسرحية علي بك الكبير ، ومسرحية عنترة وغيرها ، توفي بمصر سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م (الأعلام ، الزركلي ١٣٦/١).

١٠- ولد أحمد سويلم في بلدة "بيلا" بكفر الشيخ في مصر سنة ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م وتخرج في جامعة الأزهر (بكالوريوس تجارة) عام ١٩٦٦م ، يعمل مديراً لإدارة النشر في دار المعارف بالقاهرة ، عضو لجنة الشعر في المجلس الأعلى للثقافة، وعضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب ، وعضو اتحاد الأدباء ، وعضو لجنة الشعر بالمجالس القومية المتخصصة ، له مجموعة من الأعمال الشعرية، أهمها : الطريق والقلب الحائر ، والهجرة من الجهات الأربع ، والبحث عن الدائرة المجهولة ، والليل وذاكرة الأوراق ، مسرحية أخناتون ، ومسرحية شهريار ، ومسرحية عنترة . (ديوان الشعر العربي ، راضي صدوق ، الطبعة الأولى ، دار كرمة للنشر ، روما، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ١٨٦/١).

١١- هو حسين علي محمد حسين ، ولد عام ١٩٥٠م ، بقرية العصايد - ديرب نجم - الشرقية ، حصل على الليسانس في الآداب من جامعة القاهرة عام ١٩٧٢م ، والماجستير من جامعة القاهرة عام ١٩٨٦م ، والدكتوراه من جامعة بنها عام ١٩٩٠م، أشرف عامي ٧٩/١٩٨٠م على دار آتون للنشر، وهو أحد محرري الموسوعة الإسلامية العالمية التي تصدر في تركيا ، حصل على الجائزة الأولى في إبداع الشباب عام ١٩٧٥م، له مجموعة من الدواون الشعرية ، منها : السقوط في الليل ، وحوار الأبعاد الثلاثة ، وثلاثة وجوه على حوائط المدينة ، ومسرحية شعرية بعنوان : الرجل الذي قال . (معجم البابطين ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م، ١٤٠/٢) .

١٢- الثابت والمتغير ، دراسات في المسرح والتراث الشعبي ، حسن عطية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م ، ص١٩ .

١٣- البحث عن النص في المسرح العربي ، مدحت الجيار ، الطبعة الأولى ، دار النشر للجماعات المصرية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص٩٤ .

١٤- الأدب المسرحي في سورية نشأته وتطوره ، نديم معلا ، مؤسسة الوحدة ، دمشق، ١٩٨٦م، ص١٢.

١٥- الشيخ أحمد أبو خليل القباني، عنتر بن شداد ، اختيار وتقديم محمد يوسف نجم ، دار الثقافة، بيروت ، ١٩٦٣م ، ص٢٢٧ .

١٦- المسرحية في الأدب العربي الحديث ص٣٨٠ .

١٧- المسرحية في الأدب العربي الحديث ص٣٨٢ .

١٨- شعر شوقي الغنائي والمسرحي، طه وادي ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، ١٩٩٣م ، ص٧٠.

١٩- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، شرحه وكتب هوامشه سمير جابر،

الطبعة الثانية ، دار الفكر للطباعة والنشـــر ، ١٩٩٥م / ١٤١٥هـ ، ٢٤٦/٨ .
٢٠- المسرح الشعري بين أحمد شوقي وعزيز أباظة ، سعد ظلام، الطبعة الأولى ، دار المنار للنشـــر ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص٥٠.
٢١- مجمع الأمثال ، الميداني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٥م ، ٢٥٣/٢ .
٢٢- محاضرات عن مسرحيات شوقي ، معهد الدراسات العربية والعالمية ، ١٩٥٤م ، ص٢٧ .
٢٣- المسـرح ، دار المعارف بمصـر ، ١٩٥٩م ، ص٨٢ .
٢٤- محاضرات عن مسرحيات شوقي ص٦٩ .
٢٥- المصدر السابق ص٦٧ .
٢٦- على هامش الشعر التمثيلي عند شوقي تحليل ودراسة ، محمدين محمدين عبدالفتاح يوسف ، المطبعة الفنية، د . ت، ص٤٠٨.
٢٧- المصدر السابق ص٣٣٠.
٢٨- محاضرات عن مسرحيات شوقي ص٦٧ .
٢٩- المصدر السابق ص٦٨ .
٣٠- المسرحيات الشعرية ، الفارس ، أحمد سويلم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م ، ص٢٠٩.
٣١- الفارس ص٣٤٠ .
٣٢- الفارس ص٣٤١ .
٣٣- الفارس ص٢٥٤ .
٣٤- الفارس ص٢٨٨ .
٣٥- الفارس ص٢٩١ .
٣٦- الفارس ص٢٩٦ .
٣٧- نظرات نقدية في ثلاث مسرحيات شعرية لحسين علي محمد ، الطبعة الأولى ، دار هبة النيل ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ص٩٢ .
٣٨- سهرة مع عنترة ، أصوات معاصرة ، السنة ٢٢ - العدد ٧٥- أكتوبر ٢٠٠١م ، ص١٧ .
٣٩- فن كتابة المسرحية ، لاجوس أجري ، ترجمة دريني خشبة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ص١٠٠ .
٤٠- المعجم المسرحي - مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض - ، ماري إلياس وحنان قصاب حسن، الطبعة الأولى ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ص٢٧٠ .
٤١- المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها ، عمر الدسوقي ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، القاهرة ، د . ت ، ص٤٠١ .
٤٢- دراسات في الشعر والمسرح ، مصطفى بدوي ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص١٣٢ .
٤٣- سهرة مع عنترة ص٢٥ .
٤٤- عنتر بن شداد ص١٩٧ .
٤٥- عنتر بن شداد ص١٩٨ .
٤٦- عنتر بن شداد ص٢٠٢ .
٤٧- عنتر بن شداد ص٢٢٣ .
٤٨- عنترة ، أحمد شوقي ، دار مصر للطباعة ، د . ت . ص٦ .
٤٩- عنترة ص٧ .
٥٠- عنترة ص١١ .
٥١- عنترة ص٤١ .
٥٢- عنترة ص٧٥ .
٥٣- عنترة ص١٥ .
٥٤- عنترة ص٢٧ .
٥٥- الفارس ص٢٤٩ .
٥٦- الفارس ص٢٥٥ .
٥٧- الفارس ص٢٩١ .
٥٨- الفارس ص٢٧٨ .
٥٩- الفارس ص٢٨٤ .
٦٠- الفارس ص٢٨٥ .
٦١- سهرة مع عنترة ص١٦ .
٦٢- سهرة مع عنترة ص٢١ .
٦٣- سهرة مع عنترة ص٢٣
٦٤- البناء الدرامي ، عبدالعزيز حمودة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص١١٨ .
٦٥- علم المسرحية ، ألاردس نيكول ،

ترجمة دريني خشبة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ص١٣٢ .

٦٦- في تحليل النص المسرح، محمد محمود رحومة ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص٢٢.

٦٧- المعجم المسرحي ، ماري إلياس وحنان قصاب حسن ، ص٢٨٩.

٦٨- عنترة ص٤١ .

٦٩- عنترة ص٧٣ .

٧٠- عنترة ص٧٧ .

٧١- الكوميديا والتراجيديا ، مولوين ميرشنت وكليفورد ليتش ، ترجمة علي أحمد محمود ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٧٩م ، ص١٥٠ .

٧٢- الفارس ص٢٥٤ .

٧٣- الفارس ص٣١٥ .

٧٤- الأصول التاريخية لنشأة الدراما في الأدب العربي، سعد الدين دغمان، طبع دار الأحد ، جامعة بيروت العربية ، ١٩٧٣م، ص١٤٠.

٧٥- علم المسرحية ، ألاردس نيكول ص١٣٥.

٧٦- تشريح المسرحية ، مارجوري بولتن، ترجمة دريني خشبة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١٧٠ .

٧٧- بناء المسرحية العربية - رؤية في الحوار - ، يوسف حسن نوفل ، الطبعة الأولى ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٩٥م، ص١٢ .

٧٨- فن المسرحية ، فرد ب . ميليت ، وجيرا لدانس بنتلي ، ترجمة صدقي خطاب ، مراجعة محمود السمرة ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص٤٨١ .

٧٩- عنترة ص٨ .

٨٠- عنترة ص٧٦ .

٨١- الفارس ص٢٨٧ .

٨٢- سهرة مع عنترة ص١٩ .

٨٣- عنتر بن شداد ص٢١٠ .

٨٤- عنتر بن شداد ص٢٢٢.

٨٥- عنتر بن شداد ص٢٢٢ .

٨٦- عنتر بن شداد ص٢١٣ .

٨٧- عنتر بن شداد ص٢٢٠ .

٨٨- عنتر بن شداد ص٢٢٣ .

٨٩- عنتر بن شداد ص٢٢٥ .

٩٠- الشطر الأول من البيت معلول ، ويستقيم إذا قلنا : يا عبل ، ولا شك أن ذلك خطأ طباعي .

٩١- عنترة ص٣٧ .

٩٢- عنترة ص٧٩ .

٩٣- الفارس ص٢٤٢ .

٩٤- الفارس ص٢٤٣ .

٩٥- الفارس ص٢١٣ .

٩٦- الفارس ص٣٤١ .

٩٧- سهرة مع عنترة ص٨ .

٩٨- سهرة مع عنترة ص١٥ .

٩٩- سهرة مع عنترة ص١٣ .

١٠٠- سهرة مع عنترة ص١٥ .

١٠١- عنتر بن شداد ص١٩٥ .

١٠٢- عنتر بن شداد ص٢١٤ .

١٠٣- عنتر بن شداد ص٢٢١.

١٠٤- عنترة ص٥ .

١٠٥- عنترة ص٣٠ .

١٠٦- عنترة ص٣٧ .

١٠٧- عنترة ص٧٣ .

١٠٨- عنترة ص٧٩ .

١٠٩- سهرة مع عنترة ص٢٢ .

١١٠- كتاب أرسطو طاليس في فن الشعر ، شكري عياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص١٣٦ .

١١١- المسرح بعد شوقي ، محمد عبدالعزيز موافي ص٦٩ .

١١٢- دراسات في النص الشعري - العصر العباسي-، عبده بدوي، دار الراعي، الرياض، ١٩٨٤م ، ص٢٣٩.

١١٣- عنتر بن شداد ص٢٠٤ .

١١٤- عنتر بن شداد ص٢٢٢ .

١١٥- عنتر بن شداد ص٢٢٨ .

١١٦- تم الإحصاء بالنظر إلى استعمال البحر ، لا بالنظر إلى عدد الأبيات، لأن كل استعمال يعد تغييراً ، ويمثل تجربة مستقلة هي أجدر بالإحصاء من عدِّ الأبيات في كل

بحر استخدمه الشاعر ، بمعنى أنه إذا كتب - على سبيل المثال - مقطعاً من الطويل مكوناً من عشرة أبيات ومقطعاً من الرجز مكوناً من بيتين فإنه لا ينظر إلى عدد الأبيات، بل يحسب ذلك في كلتا الحالين استعمالاً واحداً .

١١٧- عنترة ص٢٣ .

١١٨- عنترة ص ١٢٣ .

١١٩- عنترة ص ١٠١ .

١٢٠- عنترة ص٢٥ .

١٢١- عنترة ص٢٥ .

١٢٢- عنترة ص٩٨ .

١٢٣- عنترة ص١٠٠ .

١٢٤- عنترة ص٧ .

١٢٥- عنترة ص١٥ .

١٢٦- عنترة ص٥٨ .

١٢٧- عنترة ص٧٧ .

١٢٨- عنترة ص٦٣ .

١٢٩- الفارس ص٣١٧ .

١٣٠- الفارس ص٢٥٤ .

١٣١- الفارس ص٢٧٥ .

١٣٢- الفارس ص٢١٢ .

١٣٣- سهرة مع عنترة ص١٣ .

١٣٤- سهرة مع عنترة ص٨ .

١٣٥- سهرة مع عنترة ص١٥ .

١٣٦- سهرة مع عنترة ص١٢ .

١٣٧- سهرة مع عنترة ص٣٣ .

١٣٨- سهرة مع عنترة ص١٤ .

١٣٩- سهرة مع عنترة ص٢٦ .

المصادر والمراجع

١ - **الأدب المسرحي في سورية نشأته وتطوره** ، نديم معلا .- دمشق : مؤسسة الوحدة ، ١٩٨٦م .

٢ - **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر** ، علي عشري زايد .- طرابلس ، ليبيا : الشركة العامة للنشر والتوزيع ، ١٩٧٨م .

٣ - **الأصول التاريخية لنشأة الدراما في الأدب العربي** ، سعد الدين دغمان .- بيروت: طبع دار الأحد، جامعة بيروت العربية ، ١٩٧٣م.

٤ - **الأعلام** ، الزركلي .- ط١٠ .- بيروت ، لبنان : دار العلم للملايين، ١٩٩٢م .

٥ - **الأغاني** ، أبو الفرج الأصفهاني؛ شرحه وكتب هوامشه سمير جابر، الطبعة الثانية ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٩٥م / ١٤١٥هـ .

٦ - **البحث عن النص في المسرح العربي** ، مدحت الجيار .- ط١ .- دار النشر للجماعات المصرية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

٧ - **البناء الدرامي** ، عبدالعزيز حمودة.- القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧م .

٨ - **بناء المسرحية العربية - رؤية في الحوار -** ، يوسف حسن نوفل .- ط١ .- القاهرة : دار المعارف، القاهرة ، ١٩٩٥م .

٩ - **تراثنا العربي في الأدب المسرحي الحديث** ، إبراهيم درديري.- الرياض : عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

١٠ - **تشريح المسرحية** ، مارجوري بولتن ، ترجمة دريني خشبة .- القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٢م .

١١ - **الثابت والمتغير ، دراسات في المسرح والتراث الشعبي** ، حسن عطية .- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م .

١٢ - **دراسات في الشعر والمسرح** ، مصطفى بدوي .- ط٢ .- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩م .

١٣ - **دراسات في النص الشعري- العصر العباسي-** ، عبده بدوي.- الرياض : دار الرفاعي ، ١٩٨٤م.

١٤- **ديوان الشعر العربي** ، راضي صدوق .- ط١.- روما: دار كرمة

للنشر ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

١٥ – سهرة مع عنترة ، حسين علي محمد، **أصوات معاصرة**، السنة ٢٢ – العدد ٥٧ – أكتوبر ٢٠٠١م.

١٦ – **شعر شوقي الغنائي والمسرحي**، طه وادي ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، ١٩٩٣م .

١٨ – **الشيخ أحمد أبو خليل القباني** ، اختيار وتقديم محمد يوسف نجم.– بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٣م .

١٩ – **على هامش الشعر التمثيلي عند شوقي تحليل ودراسة** ، محمدين محمدين عبدالفتاح يوسف ، المطبعة الفنية ، د . ت.

٢٠– **علم المسرحية** ، ألاردس نيكول ، ترجمة دريني خشبة .– القاهرة : مكتبة الآداب .

٢١ – **عنترة** ، أحمد شوقي ، دار مصر للطباعة ، د . ت .

٢٢ – **فن كتابة المسرحية** ، لاجوس أجري ، ترجمة دريني خشبة .– القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

٢٣ – **فن المسرحية** ، فرد ب . ميليت، وجيرا لدانس بنتلي ، ترجمة صدقي خطاب ؛ مراجعة محمود السمرة .– بيروت – لبنان : نشر وتوزيع دار الثقافة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٢٤ – **في تحليل النص المسرحي** ، محمد محمود رحومة .– القاهرة : مكتبة الشباب ، ١٩٩٣م .

٢٥ – **في المسرح العربي المعاصر** ، محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، د . ت .

٢٦ – **كتاب أرسطو طاليس في فن الشعر** ، شكري عياد .– القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م .

٢٧ – **الكوميديا والتراجيديا** ، مولوين ميرشنت وكليفورد ليتش ؛ ترجمة علي أحمد محمود .– الكويت : عالم المعرفة ، ١٩٧٩م .

٢٨– **مجمع الأمثال** ، الميداني .– بيروت– لبنان : دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٥م .

٢٩ – **محاضرات عن مسرحيات شوقي**، معهد الدراسات العربية والعالمية، ١٩٥٤م .

٣٠ – **المسرح** ، محمد مندور ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩م .

٣١ – **المسرح بعد شوقي** ، محمد عبدالعزيز الموافي .– ط٢ .– المدينة المنورة : نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٣٢ – **المسرح الشعري بين أحمد شوقي وعزيز أباظة** ، سعد ظلام .– ط١، دار المنار للنشر ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٣٣ – **المسرح وفضاءاته** ، محمد الكغاط، الطبعة الأولى .– القنيطرة : دار البوكيلي ، ١٩٩٦م.

٣٤ – **المسرحيات الشعرية** ، أحمد سويلم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م .

٣٥ – **المسرحية التاريخية في المسرح العربي المعاصر** ، أحمد زياد محبك ، الطبعة الأولى .– دمشق : دار طلاس ، ١٩٨٩م .

٣٦ – **المسرحية في الأدب العربي الحديث** ، محمد يوسف نجم، .– ط٢ .– بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٧م .

٣٧ – **المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها** ، عمر الدسوقي .– ط٠٣– القاهرة : دار الفكر ، القاهرة ، د . ت.

٣٨ – **معجم البابطين** ، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م .

٣٩ – **المعجم المسرحي – مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض** – ، ماري إلياس وحنان قصاب حسن .– ط١.– بيروت: مكتبة لبنان ناشرون ، ١٩٩٧م .

٤٠ – **نظرات نقدية في ثلاث مسرحيات شعرية** لحسين علي محمد ، أحمد زلط .– القاهرة : دار هبة النيل، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

الدوريات الإلكترونية في المكتبات الأكاديمية

أساليب إتاحتها على الإنترنت في المكتبات بدول مجلس التعاون الخليجي

محمد أمين عبدالصمد مرغلاني

قسم المكتبات والمعلومات - جامعة الملك عبدالعزيز

منصور عابد القرشي

قسم المكتبات والمعلومات - جامعة الملك عبدالعزيز

مستخلص :

تهدف الدراسة توضيح مفهوم الدوريات الإلكترونية وأنواعها المختلفة والتعرف إلى خصائصها الإيجابية والسلبية ، ومناقشة قضايا إدارة مجموعة الدوريات الإلكترونية وتطبيقاتها في المكتبات الأكاديمية وتوفير الموارد المالية وعمليات الاختيار والتنظيم وخدمات المستفيدين ، وكذلك التعرف إلى الأساليب والطرق المتبعة في مواقع المكتبات الأكاديمية على شبكات الإنترنت لتقديم خدمات الدوريات الإلكترونية . وقد اعتمدت الدراسة على منهج التحليل الوثائقي ، كما استخدمت المنهج المسحي لمواقع المكتبات الجامعية بدول مجلس التعاون الخليجي للتعرف إلى كيفية تقديمها للدوريات الإلكترونية . وقد توصلت الدراسة إلى أن للدوريات الإلكترونية أشكال مختلفة فمنها ما هو متوفر فقط في شكل إلكتروني من خلال الاتصال بالشبكات ، ومنها ما هو متوفر على أقراص مدمجة كنسخة إلكترونية من الأصل المطبوع ، وعلى أي حال فمن المهم أن تتوفر في الدورية الإلكترونية كل الوظائف الأساسية للدورية العلمية المطبوعة فيما يتعلق بالمحتوى والنوعية والاتصال والحفظ . وللتعامل مع الناشرين والحصول على خدمات متميزة ، ينبغي على إدارة المكتبة مناقشة المتغيرات والمستجدات كافة وبحثها ومعالجتها في ضوء احتياجات المستفيدين والحذر من التعاقد والتوقيع على العروض الشاملة . كما تؤكد الدراسة على أهمية تمسك المكتبات الأكاديمية بدورها والقيام بمسئوليتها في تقييم الدوريات الإلكترونية واختيارها بما يتناسب مع احتياجات المستفيدين .

مقدمة :

تشهد صناعة النشر الأكاديمي والتجاري توسعاً ملحوظاً في مشروعات النشر الإلكتروني ، مستفيدة من التطورات الحديثة لتقنية المعلومات والاتصال ، وفي التسعينات ظهرت مصطلحات ومسميات جديدة كالدوريات الإلكترونية Electronic Journals أو السلسلات الإلكترونية Electronic Serials أو المجلات الإلكترونية Electronic Magazine للإشارة إلى الفئات المختلفة للدوريات الإلكترونية ، وحديثاً ظهرت مصطلحات دوريات الاتصال المباشر Online Journal والدوريات الشبكية Networked Journals للتعبير عن أشكال نشر الدوريات الإلكترونية .

وحتى وقتنا الحاضر لا يزال نشر الدوريات الإلكترونية حقلاً يافعاً ، يحفل بالكثير من التطورات والتغيرات السريعة . فالدوريات الإلكترونية شكلت ظاهرة متنوعة من أساليب وأشكال الاتصال بالمعلومات والتقنيات المستخدمة لذلك، ويبدو ذلك واضحاً من خلال غزارة ونمو الإنتاج الفكري المكتوب باللغة الإنجليزية في الموضوع

وتنوعه من بداية التسعينات وكما هو واضح في ببليوجرافية تشارلز بيلي في الموضوع (Baily, 1995) . وربما كان السبب في اهتمام الباحثين والمجتمعات الأكاديمية بالدوريات الإلكترونية يعود إلى الخصائص التي توفرها بالمقارنة مع الدوريات المطبوعة ، وكذلك إلى الجهود والأنشطة الملحوظة لمؤسسات خدمات المعلومات الأكاديمية والتجارية في تطوير تطبيقات الدوريات الإلكترونية وخدماتها .

والمكتبات الأكاديمية باعتبارها مؤسسات رائدة في تقديم خدمات المعلومات ، ومن خلال تعاملها مع الدوريات الإلكترونية كشكل آخر أو كبديل للمطبوع ، لا تزال الكثير من القضايا والموضوعات المتعلقة بها غير واضحة ولم تحسم بعد . وتهدف هذه المراجعة إلى تغطية البحوث والدراسات العلمية التي نشرت خلال العقد الأخير من الألفية الثانية (التسعينات) وتحديداً من عام ١٩٩١م حتى ٢٠٠١م ، والتي تتعلق بتوضيح وتعريف ظاهرة الدوريات الإلكترونية وخصائصها الشكلية والنوعية ، وكذلك قضايا إدارة مجموعة الدوريات الإلكترونية وتطبيقاتها في المكتبات الأكاديمية وتشمل توفير الموارد المالية وعمليات الاختيار والتنظيم وخدمات المستفيدين . وكذلك التعرف إلى الأساليب والطرق المتبعة في مواقع المكتبات الأكاديمية لتقديم خدمات الدوريات الإلكترونية ، من خلال بعض النماذج للمكتبات الجامعية في دول مجلس التعاون الخليجي.

أولاً - الإطار المنهجي للدراسة :

١ - موضوع الدراسة :

تعد الدوريات الإلكترونية من أهم مصادر المعلومات المتوفرة ضمن الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) ، ومع تزايد الدوريات الإلكترونية تواجه المكتبات وخاصة الأكاديمية منها مشكلة اختيار ما يتناسب مع احتياجات المستفيدين . وتتناول الدراسة استعراض أهم أدبيات الدوريات الإلكترونية والتعرف إلى أهم العناصر والموضوعات التي ناقشتها ، كما تناقش الدراسة أيضاً تعريف ظاهرة الدوريات الإلكترونية وخصائصها الشكلية والنوعية ، وكذلك قضايا تتعلق بإدارة مجموعات الدوريات الإلكترونية وتشمل الموارد المالية وعمليات الاختيار والتنظيم وخدمات المستفيدين . وكيفية تقديم خدمات الدوريات الإلكترونية من خلال مواقع المكتبات الجامعية في دول مجلس التعاون الخليجي .

٢ - أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة التعرف إلى الدوريات الإلكترونية في المكتبات الأكاديمية ، ومناقشة المفاهيم والقضايا المحيطة بها وتوضيحها من خلال الدراسات والبحوث العلمية التي تناولت العناصر المرتبطة بموضوع الدراسة . كما تهدف الدراسة التعرف إلى الأساليب المستخدمة لإتاحة الدوريات الإلكترونية في مواضع المكتبات الجامعية بدول مجلس التعاون الخليجي .

٣ - أسئلة الدراسة :

تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية :

- ما هي الدورية الإلكترونية ؟
- ما هي الأشكال والأساليب التي تنشر فيها ؟
- ما هي خصائصها الشكلية والنوعية ؟ (الإيجابيات والسلبيات) .
- ما التحديات والقضايا الإدارية المرتبطة بطبيعة الدوريات الإلكترونية ؟
- ما هي الأساليب المتبعة في مواقع المكتبات الجامعية لدول مجلس التعاون الخليجي لتقديم خدمات الدوريات الإلكترونية ؟
- ما هي التوجهات الحديثة في خدمات الدوريات الإلكترونية والتوقعات المستقبلية ؟

٤ - منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على منهج التحليل الوثائقي ، الذي يعد أحد أنواع الدراسات الوصفية ، ولتحديد مدلول البحث الوثائقي من خلال التعريف الذي قدمه هيل وي في عام ١٩٦٩م ، بأنه «الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق المتاحة في موضوع الدراسة - مشكلة البحث ، ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها بهدف استنتاج ما يتصل بمشكلة البحث من أدلة وبراهين والإجابة عن أسئلة البحث» (Hill way; 1969) . وأضاف بوشيه وهارتر في عام ١٩٨٠م أن منهج التحليل الوثائقي يعتبر طريقة لتحديد المصادر المتعلقة بموضوع معين (Busha; and Harter, 1980) . كما استخدمت الدراسة المنهج المسحي للتعرف إلى مواقع المكتبات الجامعية في دول مجلس التعاون الخليجي ، وتجميع المعلومات والبيانات حول كيفية تقديم صفحات الدوريات الإلكترونية على الإنترنت .

٥ - مجال الدراسة وحدودها :

ينحصر مجال الدراسة الموضوعي في الدوريات الإلكترونية والمفاهيم التي تدور حولها ، وطبيعتها كتقنية حديثة ، وأشكالها وخصائصها المختلفة وتأثيرها على المكتبات الأكاديمية والتغيرات المصاحبة لها في المفاهيم والوظائف التقليدية للمكتبات ، وذلك من خلال مراجعة الإنتاج الفكري والتحليل الموضوعي للدراسات والبحوث التي نشرت خلال عشر سنوات من ١٩٩١ - ٢٠٠١م . وقد حرصت الدراسة في جانبها التطبيقي على زيارة مواقع المكتبات الجامعية في دول مجلس التعاوني الخليجي على شبكة الإنترنت، وتحديداً في الربع الأول من عام ٢٠٠٣م .

ثانياً - تطور مفهوم الدوريات الإلكترونية : التعريف والخصائص :

عندما نتحدث عن تعريف مصطلح الدوريات الإلكترونية نلاحظ أن الاختلاف هو السمة المشتركة التي تحيط بالمفهوم . فالمصطلح تطور مع الوقت وتعددت دلالاته. ومع مطلع التسعينات بادرت آن أوكرسن في ١٩٩١م ونشرت دراسة حول ماهية الدورية الإلكترونية وكينونتها وكيفيتها والحالات التي تظهر بها (Okerson; 1991) . وتقول إنها تعني بالدوريات الإلكترونية تلك التي تنشر من خلال الشبكات أو تلك التي في شكل إلكتروني ثابت . وفي تلك السنة أيضاً نشرت دليل الدوريات والنشرات العلمية، وهو متوفر في العنوان الآتي: http://www.arl.org/scomm/edir/inde.html . حيث يعد الأول من نوعه ، وقد تضاعف عدد عناوين الدوريات المسجلة في الدليل منذ طبعته الأولى (١١٠ عناوين دورية في ١٩٩١م ، ٢٤٠ في ١٩٩٣م ، ٧٠٠ في ١٩٩٧م).

وحسب الاستطلاع الذي قامت به جمعية المكتبات البحثية (ARL) في عام ١٩٩٤م فقد حدد مفهوم الدوريات الإلكترونية في إطار الصدور في الشكل الإلكتروني فقط ومن خلال شبكة الإنترنت أو البتنت ، وتحاكي الخصائص الأساسية للدورية المطبوعة .. مثل تخصيص الإصدارات وترقيمها ، صفحة محتويات ، مقالات ، مراجعات ، رقم دولي موحد للدورية (SPEC Kit 201, 1994) ISSN# . ويتفق لانكستر مع تحديد مفهوم الدوريات الإلكترونية وحصره في المواد المنشأة على وسط إلكتروني ومتوفرة فقط على هذا الوسط (Lancester; F.W.; 1995) .

وللتعرف إلى الحجم الحقيقي لظاهرة الدوريات الإلكترونية ، قدم هانز روز في عام ١٩٩٥م دراسة مسحية للدوريات الإلكترونية المحكمة ، وتصف الدراسة محاولة متابعة تطور الدوريات الإلكترونية بأنها تشبه التصويب على هدف متحرك . وتشير إلى أن أفضل الطرق للتعرف إلى ماهية الدورية الإلكترونية ، وذلك من خلال النظر إلى التطورات الحديثة في عالم المكتبات والشبكات ثم التساؤل: هل تحتوي على ما يمكن تسميته دوريات إلكترونية ؟ في

ضوء خدمة الوظائف الأساسية للاتصال والنوعية والأرشيف ، فمفهوم الدورية الإلكترونية يوحي بالحداثة والتزامن ويكتسب نشاطه وحركته من الشبكة وتقترح الدراسة ثلاث محطات رئيسة للتعرف إلى عالم الدوريات الإلكترونية .

1 - The WWW entrance to Electronic Journals on the Internet.

وهذا الموقع عبارة عن قائمة بالدوريات على الإنترنت يمكن الاتصال بها مباشرة .

2 - The Committee on institutional cooperation. CIC Net archive.

والموقع عبارة عن أرشيف ضخم لمجموعات من الدوريات والرسائل الإخبارية ، ويغطي مستويات نوعية متفاوتة من المجلات العادية إلى الدوريات العلمية المحكمة.

3 - The Directory of Electronic journals, News-letters and academic discussion lists.

والدليل من إنتاج جمعية المكتبات البحثة (ARL)، وينقسم إلى قسمين : الأول خاص بقوائم النقاش والثاني للدوريات والرسائل الإخبارية (Roes; 1995) .

ولتوضيح مفهوم الدوريات الإلكترونية ، نستعرض مجموعة من التعريفات من خلال مشروع البحث الذي قدمه فيليب مكلداوني في ١٩٩٥م للحصول على درجة الماجستير والذي يبحث في نسبة نمو الدوريات العلمية الإلكترونية والعوامل التي تؤثر في قبول الأكاديميين للدوريات الإلكترونية أو رفضها (Mceldowney; 1995) . ولتوضيح تعريف الدوريات العلمية الإلكترونية ، يقترح النظر إليها كمحاولة إلكترونية لمضاهاة أو محاكاة خصائص الدوريات المطبوعة في التنظيم والإصدار الدوري المنتظم والمستوى ، فهناك دوريات إلكترونية تشبه المطبوعة وتختلف في الشكل فقط، وربما كان من الأنسب وصفها نسخاً إلكترونية لدوريات مطبوعة . وحديثاً ظهرت دوريات إلكترونية بحتة ، وهي دوريات متوفرة فقط في شكل إلكتروني وليس لها أصل مطبوع .

ويشير مكلداوني إلى ضبابية وعدم وضوح الخطوط والفواصل بين الدوريات الإلكترونية وبين أشكال الاتصال العلمي الأخرى ، كالرسائل والنشرات الإخبارية ، ومجموعات النقاش والأخبار ، والمؤتمرات الإلكترونية ، وكذلك الحدود بين الاتصال الرسمي للعلماء وغير الرسمي أصبحت أيضاً غير واضحة . وبينما ترمز الصفة العلمية (Scholarly) إلى الأبحاث والأفكار والمشروعات من إنتاج الهيئات الأكاديمية في الجامعات والكليات ، فهي تشمل أيضاً أعمال الباحثين المستقلين وأبحاث طلاب الدراسات العليا (Mceldowney; 1995) .

ونتعرف إلى جوانب وملامح تأثير الدوريات الإلكترونية على الاتصال العلمي من خلال الدراسة التي قدمها هارتر وكيم في الاجتماع نصف السنوي للجمعية الأمريكية لعلم المعلومات (Harter; and Kim; 1996). حيث أشارت إلى أن الدوريات الإلكترونية في حالة تطور مستمر منذ ١٩٧٦م ، ولم تتجاوز المرحلة التجريبية إلا في التسعينات .

كما اعتمدت الدراسة على دليل ميكلر ميديا Mecklermedia ، ودليل جمعية المكتبات البحثية لتكوين عينة الدراسة (١٣١) دورية إلكترونية ، (٧٧) منها علمية تخضع للتحكيم أو المراجعة . وفيما يتعلق بالمجالات الموضوعية للدوريات الإلكترونية ، فقد تم تصنيف العينة أو تقسيمها إلى أربعة مجالات عامة، (٢٨) دورية في العلوم ، (٣٤) دورية في العلوم الاجتماعية ، (٣١) دورية في الإنسانيات ، (٣١) دورية مهنية أو تقنية (Harter; and Kim; 1996) .

وفي حين تنشر الدوريات العلمية اليوم في أشكال ووسائط عدة ، كالأقراص المدمجة أو من خلال شبكات الحاسب الآلي كالإنترنت . يبدو التوجه واضحاً نحو استخدام مصطلح الدوريات الإلكترونية e-journal من خلال مشروع البحث المسحي لدوريات الخط المباشر في العلوم والتقنية والطب (Hitchcock; Carr; and Hall, 1996) . وتبعاً لإشكال تقديم الدوريات الإلكترونية فقد حددت الدراسة ثلاثة أشكال :

١ - دوريات من خلال الاتصال المباشر Online.

٢ - دوريات على الأقراص المدمجة CD-ROM.

٣ - دوريات من خلال الشبكات Networked .

وللتعرف إلى طبيعة النشر الإلكتروني الحديثة ومعالمه ، اقتصر الاستطلاع على تغطية دوريات الاتصال المباشر والشبكات ، ولم يشمل الدوريات المتوفرة فقط على أقراص مدمجة . ولتوضيح الأشكال المتفوقة والمنتشرة في الجيل الحالي لدوريات الاتصال المباشر ، فهي دوريات إلكترونية فقط أو نسخة إلكترونية لدورية مطبوعة (Hitchcock; Carr; and Hall, 1996).

وللتعرف إلى اتجاهات وسمات دوريات الشبكات ، تقترح الدراسة النظر إليها في المستقبل خارج نطاق الأشكال الورقية السائدة وطبعاتها الإلكترونية . ومن الواضح أن الدوريات الورقية تقيد وتربك دوريات الاتصال المباشر الموازية لها، فمن غير الممكن إدخال محتوياتها في الوسائط المتعددة وتفعيل سرعة الاتصال المباشر ، إلا من خلال تحريف أو تحوير عمليات الإنتاج المطبوع . وقد توصلت الدراسة إلى أن الهيمنة الحالية للطبعات الإلكترونية للدوريات ، ربما تحجب أو تحد من الخصائص المبتكرة لنشر الدوريات من خلال الاتصال المباشر . كما تشير إلى أن النموذج الحقيقي للدورية الإلكترونية يمكن رؤيته بوضوح في الدوريات المتوفرة في الشكل الإلكتروني فقط ، فمن خلال الاستفادة القصوى من إمكانيات وقدرات الوسائط والاتصال ظهرت أشكال جديدة وخدمات خلاقة لا تتوفر في الدوريات الورقية أو الطبعات الإلكترونية .

وفي دراسة أخرى نشرت في عام ١٩٩٧م (Hitchcock; Carr; and Hall, 1997) ، تناولت نشر الدوريات على الشبكة في المملكة المتحدة . وللتغلب على صعوبة تبني وتركيب المفردات والمصطلحات لوصف المجالات الحديثة بطريقة متماسكة ومحددة ، تقترح وجهة النظر البريطانية لفهم مصطلح الدوريات الإلكترونية فصل المفردات وتحليلها فمثلاً المفردات التالية : إلكتروني - شبكات - اتصال مباشر - إنترنت - ويب ، كلها تستخدم لوصف أشكال وتفريعات النشر الإلكتروني للدوريات .

وعلى الرغم من أن الدراسة تبحث تحديداً في دوريات الشبكات Web-Journal فقد استخدمت المصطلح العام الدوريات الإلكترونية e-Journals لانتشاره وشموليته ومرونة استخدامه على المستوى العام والخاص . وكما جاء في الدراسة فإن معظم الدوريات اللاورقية هي دوريات شبكات ومن المهم أن تتوفر في الدورية الإلكترونية كل خصائص الدورية المطبوعة وخصائص النشر الإلكتروني (Hitchcock; Carr; and Hall, 1997).

وبعد استعراض مجموعة من التعريفات في واحد من أهم الكتب الحديثة في إدارة الدوريات بالمكتبات (Nisonger; 1998) ، يؤكد توماس نايسونجر عدم وجود تعريف قياسي موحد للدوريات الإلكترونية ، كما أن مستويات التعريف تتفاوت من العام إلى الخاص . فمن منظور شامل الدورية الإلكترونية تعني تجميع المعلومات وإصدارها وتوزيعها إلكترونياً وبانتظام ، ومن الممكن حصر المفهوم وتحديده في الدوريات التي يتم إنتاجها ونشرها وتوزيعها عبر الشبكات مثل الإنترنت أو البت نت (Nisonger; 1998) .

بينما تنظر تعريفات أخرى إلى أن النسخة الإلكترونية للدورية المطبوعة ليست دورية إلكترونية أصلية وحقيقية ، وتشترط لذلك أن يتم إنشاء الدورية ونشرها كلياً في الشكل الإلكتروني كما يفضل البعض تخصيص المصطلح والإشارة إلى العناوين المتاحة إلكترونياً فقط وتسميتها دوريات إلكترونية e-Journals ، والإشارة إلى النسخ الإلكترونية للدوريات المطبوعة بدوريات الاتصال المباشر online ، وكذلك يستخدم البعض مصطلح الدوريات الشبكية Networked المدمجة ، وبناء على ما سبق فقد تحددت ثلاثة أنوا ع من الدوريات الإلكترونية .

١ – دوريات الاتصال المباشر online ، المتوفرة من خلال مضيف host مثل ديالوج .

٢ – الدوريات الشبكية Networked المتاحة من خلال الشبكات كالإنترنت .

٣ – الدوريات المتوفرة على الأقراص المدمجة CD-ROM.

كما توصل إلى أن عدم استقرار وثبات المصطلح يعكس حقيقة وحالة التغيير المتواصلة في عالم الدوريات الإلكترونية (Nisongers; 1998) .

وفي دراسة نظرية لخصائص الدوريات الإلكترونية في المكتبات الأكاديمية ، وكما تذكر ليزا تشان (Chan; 1999) فإن تداخل وتشابك عناصر محددة بين مجموعة من المصطلحات : كالنشر الإلكتروني ، المتسلسلات الإلكترونية ، دوريات الاتصال المباشر ، أدى إلى تكوين علاقة تبادلية بينها وجعلها تبدو مرادفة ، وإلى اختلاط المفاهيم واختلافها من شخص لآخر ، وعلى أي حال فالدوريات الإلكترونية تنقسم إلى ثلاث فئات هي :

١ – دوريات بالاتصال المباشر من خلال مضيفي الخط المباشر ، وتشير الدراسة إلى استبعاد وجودها ضمن مجموعات المكتبة نظراً لتكلفتها الباهظة .

٢ – دوريات على أقراص مدمجة وغالباً ما تكون نسخاً إلكترونية لدوريات مطبوعة وهي عبارة عن نصوص كاملة لدورية أو لمجموعة من الدوريات في موضوعات مختلفة.

٣ – الدوريات الشبكية ، التي تعتمد على برامج القوائم البريدية أو من خلال التطبيقات الحاسوبية لخوادم العملاء Client/server (Chan; 1999) .

بينما تقسم جينفر راولي (Rowley; 2000) الدوريات الإلكترونية إلى قسمين :

١ – دوريات متوفرة في الشكلين المطبوع والإلكتروني.

٢ – دوريات متوفرة إلكترونياً فقط . وتؤكد على أهمية كل منها وتأثيره في الاتصال العلمي وأسلوب تخليقه وبث المعرفة (Rowley; 2000) .

وللنظر في إيجابيات الدورية الإلكترونية وسلبياتها من خلال قدرتها على توفير مستوى ونوعية الخدمات المتوقعة منها . وبينما تتوقع المكتبات أن تحل الدوريات الإلكترونية مشكلة ارتفا ع الأسعار ، لا تزال تكاليف الدوريات الإلكترونية موضع نقاش وجدل كبير . وبالرغم من ذلك فهي لا تتطلب تكاليف للتجليد أو حيزاً للترفيف ، ومن غير الممكن سرقتها أو تمزيقها . ولعل سرعة الاتصال من أهم المميزات التي أشارت إليها كل الدراسات في الموضوع تقريباً ، فالمقال يتم إرساله فور الانتهاء من المراجعة ومن دون أي قيود على حجم المقال أو الانتظار حتى يكمل العدد . وكذلك إمكانية ربط المقال بالدراسات الأخرى في الموضوع والتفاعل مع نظام المراجعة والمناقشة المفتوحة (Roes; 1995) .

وبينما تثير سرعة النشر تساؤلات حول استيفائها لمتطلبات التحكيم والمصداقية كل الدلائل تشير إلى تضاعف أعداد الدوريات الإلكترونية ، ولا يزال الجدل قائماً حول ضعف مستوى ونوعية النشر الإلكتروني بالمقارنة مع النشر المطبوع (Kling; and Covi; 1995). كما تجدر الإشارة إلى أن طبيعة النشر من خلال

الشبكات وخصائصه العملية في تفعيل الاتصال العلمي ، ربما أدى إلى تغيير وتقويض بعض مفاهيم وسياسات النشر السابقة . فمن خلال إمكانية وقدرات النشر الإلكتروني الاستثنائية في توسيع نطاق الاتصال العلمي ، وسرعة وحداثة المعلومات وإمكانيات الربط الموضوعي والتحديث والمراجعة، واستقبال الآراء والتعليقات والحوار المباشر يبدو التحول إلى النشر الإلكتروني أمراً حتمياً (Hihitchcock; carr Hall; 1996) .

وفي الوقت الذي تواجه الدوريات الإلكترونية تحديات الشرعية والمصداقية ، فمن الملاحظ نشاط عمليات المراجعة في العديد من الدوريات الإلكترونية ، كما أن التطورات الحديثة في دورة المعلومات من خلال نشر المراجعات والتعليقات واستجابة المؤلف لها ، ربما تؤدي إلى صياغة جديدة لعملية التحكيم التقليدية (Chan; 1999) .

وحول المجالات الموضوعية ومدى تغطية الدوريات الإلكترونية ، وحسبما ورد في دراسة ليزا تشان فإنها متوفرة وبكثرة في ثلاث مجالات رئيسة وعامة وهي : العلوم والتقنية والطب ، الفنون والإنسانيات ، العلوم الاجتماعية (Chan; 1999) .

كما تؤكد على أن الدراسة للجوانب الإيجابية والسلبية للدوريات الإلكترونية والتحليل الموضوعي لها في ضوء الاحتمالات الممكنة ، يجعل المكتبة قادرة على اتخاذ القرار واختيار التطبيق المناسب . وبالرغم من أن العديد من المزايا مثل سرعة التوزيع وسهولة الوصول ذات طابع تقني ، لا يزال الطريق طويلاً أمام التقنية فيما يتعلق بنوعية وطبيعة عرض الرسوم البيانية والصور . وتتلخص مميزات الدوريات الإلكترونية في فعالية آلية البث والتوزيع، واحتمال خفض نفقات الاشتراك ، وقدرات الوسائط المتعددة على البحث والتصفح والربط الموضوعي .

وفي المقابل يمكن حصر الجوانب السلبية في المشاكل التقنية والتجهيزات والبرامج والمعوقات الثقافية الاجتماعية في قبول واستخدام الشكل الإلكتروني ، وأخيراً المعوقات الاقتصادية وتعقد أساليب تسعير وتراخيص الدوريات الإلكترونية (Chan; 1999) .

وفي دراسة مسحية لمجموعات المكتبات الجامعية في المملكة المتحدة وأمريكا الشمالية (Ashcroft; and Landong; 1999) ، توصلت إلى أن الدوريات الإلكترونية أصبحت جزءاً مهماً وأساساً لمجموعات مكتبات التعليم العالي، كما أن أمناء المكتبات مهتمون بمتابعة الدوريات الإلكترونية والتعرف إلى جوانب القوة والضعف منها، ومن أهم المميزات التي توصلت إليها الدراسة ميزة أو خاصية «الوصول المتعدد للمستفيدين» malti-user Acces ، وكذلك خاصية «سهولة البحث ease of search» .

كما تجدر الإشارة إلى أن حفظ المواد والأرشيف الدائم للدوريات الإلكترونية لا تزال غير واضحة ولم تحل مشكلته بعد . ومن المعروف أن عدم ضمان استمرارية وثبات المواد يجعل المكتبات تعيد النظر في إلغاء الاشتراكات الدورية المطبوعة وتوخي الحذر الشديد . فعملية حفظ المصادر الإلكترونية والمحافظة على أمن وسلامة الملفات وبرامج البحث ونظم التشغيل تثير قلق أمناء المكتبات وتشغل الحيز الأكبر من اهتمامهم (Ashcroft; and Landong; 1999) .

وفي دراسة مقارنة لمجموعات الدوريات الإلكترونية في المكتبات البحثية ARL وغيرها من المكتبات ، تؤكد على أن الحديث عن مميزات الدوريات الإلكترونية ، لا يعني الاستغناء عن الدوريات المطبوعة أو تجاهلها ، بل يهدف إلى تحسين وتطوير خدمات المكتبة والاستفادة من القدرات والإمكانيات التقنية الحديثة لتفعيل الاتصال العلمي وتوسيع نطاقه (Shemberg; and Grossman, 1999).

وفي دراسة أخرى حديثة حول خصائص الدوريات

الإلكترونية ، تشير ليندا أشكروفت (Ashcroft; 2000) إلى أمكانية الإفادة من الدوريات الإلكترونية في معالجة وحل بعض المشاكل التي تواجه المكتبة في إدارة مجموعة الدوريات ، وذلك من خلال توفير الحيز وسرعة الاتصال وسهولة استرجاع المعلومات واستخدام محركات البحث ، والوصول المتعدد والمباشر والربط الفائق للنصوص . كما أكدت على أهمية استفادة المكتبات من تقنيات المعلومات الحديثة في عمليات نقل المعرفة وبثها .

كما نتعرف إلى طبيعة وأشكال العرض وأساليب الاسترجاع في الدوريات الإلكترونية من خلال الدليل الإرشادي لأمناء المراجع (Huber; 2000) ، يقول تشارلز هبر إن هناك العديد من الأشكال ، وينبغي أن يكون أخصائي المراجع على دراية ومعرفة بطبيعة وكيفية عرض واسترجاع المعلومات في الدوريات الإلكترونية . وفي الوقت الحالي يحظى كل من الشكلين «النص الفائق» HTML والنظام الخاص PDF بشعبية وقبول على نطاق واسع ، كما يستخدم بعض الناشرين الشكل Catchword, sPro-prietary Real Page Format ، بالإضافة إلى الأشكال الأخرى مثل Postscript أو La Tex ، والتي تبدو مهمة ومناسبة لموضوعات معينة .

وبعد مراجعة مفاهيم وخصائص الدوريات الإلكترونية ، تجدر الإشارة إلى حقيقة أن الدوريات الإلكترونية ليست شيئاً واحداً ، فهي تأتي في قوالب وأشكال متنوعة ومختلفة السمات والخصائص وفي ضوء هذا التنوع والتشعب ، تبدو أهمية معالجة وتوضيح مفاهيم ومعاني المصطلحات المتعددة والمتداخلة مع الدوريات الإلكترونية، وربما كان من المناسب تجزئة وتفريغ المسميات لتوضيح وتحديد المفاهيم . وينبغي على المكتبات الأكاديمية مناقشة ومعالجة الجوانب السلبية للدوريات الإلكترونية والتأكد من تحقيقها لكل الأهداف والوظائف التقليدية للدوريات فالتحول نحو الشكل الإلكتروني وتنشيط الاتصال العلمي يجب أن يتم في إطار المحافظة على مستوى ونوعية الدوريات وضمان الوصول إلى الدائم إليها .

ثالثاً - إدارة الدوريات الإلكترونية :

توجهت المكتبات الأكاديمية نحو الشكل الإلكتروني للاستفادة من القدرات الفائقة لتقنية المعلومات والاتصال من جهة ، وتأمل في الخروج من أزمة الارتفاع المستمر في أسعار الدوريات المطبوعة من جهة أخرى ، والتي تستحوذ على جزء كبير من ميزانيتها المحدودة . إلا أن المرحلة الانتقالية لعملية التحول ، وسرعة التطورات والتغيرات لتطبيقات تقنية المعلومات ، واستمرار ارتفاع الأسعار والتكاليف وتحكم الناشرين في أساليب الوصول للمعلومات ، وضعت المكتبات أمام تساؤلات وتحديات جادة ومهمة ، تتعلق بطبيعة وبيئة المعلومات الإلكترونية ووظائف المكتبة ودورها في إدارة وتنمية المجموعات ، وفيما يلي تتناول الدراسة وضمن مفهوم الإدارة توفير الموارد المالية وعمليات الاختيار والتنظيم وخدمات المستفيدين .

١ - الموارد المالية :

نظرياً ، يتم تخصيص ميزانية الدوريات الإلكترونية وحسبما يقول توماس نايسونجر من خلال طريقتين ، إما وفق الأسس الموضوعية أو الأسس الشكلية . فالأول يضع النفقات والمصروفات تحت الميزانية العامة للدوريات ، بينما يضعها الثاني تحت ميزانية المصادر الإلكترونية ، كما يمكن تغطيتها من الاثنين معاً . ويذكر أن وضع ميزانية الدوريات الإلكترونية على أرض الواقع أكثر تعقيداً ، وذلك لاختلاف فئات الدوريات الإلكترونية وإمكانية اعتماد مخصصاتها من بنود مختلفة (Nisonger 1998) . كما أكدت ذلك دراسة ليندا أشكروفت وكولن لاندونج (Ash-croft: and Landong; 1999) حيث أشارت إلى تعقد تكاليف الدوريات الإلكترونية بالمقارنة مع المطبوعة وتداخلها

مع العديد من المتغيرات ، وتشير إلى أن معظم نماذج الاشتراك للدوريات الإلكترونية في الوقت الحالي مشروط بالاشتراك في الدورية المطبوعة . وتوقعت الدراسة معدل الزيادة في أسعار الدوريات للعام ١٩٩٩م من ٩٪ إلى ٢٧٪، وبغض النظر عن الشكل أو الوسط الذي تنشر فيه الدورية.

وفي حين لم يتسن لأمناء المكتبات دراسة الجوانب القانونية للتعاقد في مجال الدوريات الإلكترونية من خلال المناهج الدراسية التقليدية ، وفي دراسة تناولت الدوريات الإلكترونية وأثرها على خدمات المعلومات ، تؤكد أمينة صادق على أهمية التدريب المستمر في مجال الاشتراكات الإلكترونية والبنود القانونية وحقوق المشترك وواجباته (صادق ، ٢٠٠٠م) .

ولقياس تأثير مجموعة الدوريات الإلكترونية على ميزانية المكتبة ، تنصح كارول مونتغمري (Montgom-ery; 2000) إدارة المكتبة بالتوسع في مناقشة قضايا ومشكلات الدوريات الإلكترونية ومعالجتها ، كما حددت مجموعة الأنشطة التي ينبغي على إدارة المكتبة التعامل معها لتقديم خدمات الدوريات الإلكترونية وتشمل :

١ – توفير الموارد المالية والدعم المؤسسي .

٢ – الدخول في الاتحادات التعاونية لمرافق المعلومات.

٣ – التفاوض ومناقشة العقود ومراجعتها .

٤ – وضع ومراجعة إستراتيجيات التزويد للمصادر الإلكترونية .

٥ – تدريب الموظفين بالمكتبة وتطوير قدراتهم في التعامل مع التقنية .

٦ – إدارة التغيير في توزيع المخصصات في الميزانية (Montgomery; 2000) .

وفي دراسة نظرية تدعو للتأمل والتفكير (Fraiser; 2001) تناول كينيث فريزر ما وصفه معضلة أمناء المكتبات في مواجهة مخاطر ارتفاع الأسعار والتكاليف الباهظة للاتصال المباشر بمجموعات دوريات الناشر أو ما يسمى «العرض الكبير Bigdeal» وأثرها السلبي على الاتصال العلمي، وذلك من خلال تطبيق «نظرية اللعبة Game Theory»، والتي أخذت أهميتها في العلوم الاجتماعية وبشكل حاسم في عام ١٩٩٤م مع منح جائزة نوبل لكل من جون هاراساني وجون ناش ورينها روسيلتن لتحليلهم الألعاب غير التعاونية. والنظرية عبارة عن منهج رياضي أو حسابي لتحليل المشكلة واختيار أفضل إستراتيجية ممكنة لتقليص وخفض الخسائر الكبيرة أو لزيادة ورفع العائد المنخفض .

ولتوضيح ماهية العرض الكبير ، فهو عبارة عن مجموعة من الدوريات على الخط المباشر يقوم الناشر بعرضها كحزمة واحدة بسعر واحد ، ومع العرض الكبير توافق المكتبة على شراء الاتصال الإلكتروني لكل دوريات الناشر ، ويتم الدفع على أسس جارية وفق شروط العقد . وتشير الدراسة إلى تعثر المكتبات التي تعاملت مع مثل هذه العروض ، فهناك العشرات من مكتبات البحوث ترفض التعامل معها ، كما أن العديد من مكتبات الجامعات والكليات تدرس البدائل المتاحة أمامها . ويحذر فريزر مدراء المكتبات من التوقيع على العرض الكبير واتفاقيات الترخيص الشاملة مع الناشرين التجاريين ، ويؤكد على أن بناء المجموعة الإلكترونية لا يمكن أن يتم في ضوء المخاطرة وإضعاف المجموعة بدوريات لا حاجة لها ، وتكريس الاعتماد على الناشرين ومساعدتهم على احتكار سوق المعلومات والتحكم فيه .

ويصف الفوائد والمنافع التي يمكن للمكتبة تحقيقها في هذه العروض ، بأنها مؤقتة وقصيرة المدى ، بينما على المدى الطويل تؤدي إلى إضعاف قوة المكتبة والمستفيدين في التأثير على نظم الاتصال العلمي في المستقبل . فالخطر الحقيقي لهذه العروض ، يكمن في وضع وحزم دوريات الناشر القوية منها والضعيفة في حقيبة واحدة ،

وهذا يعني وبكل بساطة أن يتخلى أمناء المكتبات عن مهمة الاختيار وتشكيل محتوى ونوعية مجموعة الدوريات .

وتشير الدراسة إلى أن هذه العروض تخدم الناشرين في تسويق منتجاتهم والتحكم في الأسعار مستقبلاً ، وتعمل على إضعاف موقع إدارة المكتبة في التفاوض والمساومة للحصول على ما تريد فعلاً ، فمع العرض الكبير المكتبة لا تستطيع إلغاء الاشتراكات الفردية للدوريات ، ووفق شروط الترخيص تستطيع المكتبة إلغاء اشتراك النسخة الورقية فقط مع الاستمرار في دفع الاشتراك الإلكتروني .

وفي ضوء الزيادة السنوية لمثل هذه التراخيص والتي تقدر ٧٪ بالإضافة إلى ارتفاع أسعار الدوريات الرقمية والورقية على حد سواء وليس له مبرر ومن الصعب تقبله ، تنصح الدراسة المجتمعات العلمية والأكاديمية وتحثهم على تغيير قواعد اللعبة فقد برهنت نظرية اللعبة على أن تغيير الإستراتيجيات والشروط قادر على تبديل النتائج ، فمن المعروف أن سلوكيات المشاركين تتغير وبطريقة مفاجئة حسب تغير قواعد الثواب والعقاب . والمجتمعات الأكاديمية بحاجة إلى اتباع إستراتيجية وسياسة مماثلة، وذلك بالوقوف خلف التغيرات في نظام المكافآت والترقيات ودعمها، والاستثمار في نظم الاتصال العلمي الجديدة والمشاركة في تكتلات المصادر الأكاديمية الحديثة . فمن خلال الاستثمار في أشكال الاتصال العلمي الجديدة ، وتوطيد البنية الأساسية للنشر يستطيع العلماء والباحثون نشر أعمالهم وتحقيق طموحاتهم الأكاديمية دون الحاجة إلى النشر في الدوريات التجارية الباهظة الثمن (Fraiser; 2001) .

٢ - الاختيار :

للتعرف إلى السياسات والإجراءات التي تتبعها المكتبة في عمليات الاختيار والتزويد ، فقد نشرت جمعية المكتبات البحثية ARL في ١٩٩٤م . نتائج الدراسات المسحية لمركز تبادل النظم والإجراءات SPEC في مجموعتين .

حيث رصدت المجموعة الأولى SPEC Kit 201 سياسات وإجراءات الاختيار والتزويد للدوريات الإلكترونية في المكتبات البحثية . بينما تناولت المجموعة الثانية SPEC Kit 202 الإستراتيجيات والتوجهات الحديثة (SPEC Kit 201; and 202; 1994) .

وفي حين توصلت نتائج المجموعة الأولى إلى نسبة ضئيلة ١٤٪ من المكتبات لديها سياسات خاصة لتنمية مجموعات الدوريات الإلكترونية ، بينما ٥٤٪ منها تطبق معايير اختيار الدوريات المطبوعة المتبعة فيها على الدوريات الإلكترونية ، كما تبين أن التوافق التقني من أهم العناصر المشتركة لاختيار الدوريات في المكتبات (SPEC Kit 201; 1994) . وفي المقابل يؤكد روز على أهمية المحتوى كأساس لعملية الاختيار وليس الشكل ، والعمل على تلبية احتياجات المستفيدين . وتشير الدراسة إلى إمكانية تأثير الوضع والحالة التقنية للمكتبة على قرارات وعمليات الاختيار فيها (Roes; 1995) .

ومن الناحية العملية ، فإن الاختيار قد يعني الإشارة إلى العمليات التالية :

- الاشتراك المدفوع .
- التوقيع على اتفاق الترخيص .
- الدفع على أساس الاستخدام Pay- per- use .
- وضع العنوان ضمن مجموع المكتبة الإلكترونية .
- إتاحة الوصول من خلال موقع على الشبكة www.

وفي الوقت الحالي أمام المكتبة ثلاثة خيارات للاشتراك ، المطبوع فقط ، الإلكتروني فقط أو الاثنين معاً (Nisonger; 1998) . وفي صياغة جديدة لسياسة تنمية المجموعات قدمت جينفر واينتراب في ١٩٩٨م تصوراً لحالة الدوريات الإلكترونية في مكتبة مان بجامعة كورنيل ، عبارة عن إرشادات أساسية ومعايير لاختيار نوعية محددة

من مصادر المعلومات كالدوريات الإلكترونية . فمن المبادئ الأساسية لتقييم الدوريات الإلكترونية في المكتبة توفر المعايير النوعية فيما يتعلق بالمحتوى والاكتمال والاستمرارية . وكذلك توفر المعايير الوظيفية والعملية للوصول والتنظيم والحفظ والتكلفة . كما تؤكد على أهمية سياسة تنمية المقتنيات وضرورة تطبيقها في المكتبة لتوضيح الأهداف والمبادئ الأساسية لها وما تتوقعه من الناشر (Weintraub, 1998) .

وبينما تستطيع المكتبة تطبيق سياسات الاختيار الحالية على الدوريات الإلكترونية ، تؤكد ليزا تشان على الاهتمام بأساليب الاشتراك وإجراءات الطلب وكفاءة وفعالية محرك البحث وتوافق التجهيزات والبرامج التقنية، وعن مسئولية الاختيار تقترح إسنادها إلى أمناء المكتبات والمتخصصين الموضوعيين (Chan; 1999) .

ويتفق ماكلين مع الجميع على أهمية المحتوى في اختيار الدوريات الإلكترونية ، ويؤكد أيضاً على أهمية التجهيزات والبرامج والقدرة على الربط بين الكشافات والدوريات ، وكذلك الأسعار وطبيعة القيود والشروط القانونية للترخيص (Maclennan: 1999) .

٣ - التنظيم :

وللتعرف إلى أساليب تنظيم الدوريات الإلكترونية في المكتبة ، وكما جاءت في نتائج الاستطلاع الأولى SPEC. 201 يمكن حصرها فيما يلي :

١ - باستخدام طريقة ومستوى فهرسة الدوريات المطبوعة نفسيها.

٢ - باستخدام قوائم رؤوس الموضوعات المعيارية .

٣ - تخصيص أرقام استدعاء للدوريات الإلكترونية .

٤ - فهرستها ووضعها في فهرس المكتبة الآلي المباشر OPAC .

وتشير روز إلى اختلاف الوسط من المادي والمحسوس إلى غير المادي وتأثيره على عملية التنظيم ، فمن المعروف أن فهرس المكتبة يقتصر على وصف المواد الموجودة فيها (ROES; 1995) . بينما طورت مكتبة البحث في لوس ألاموس LANL نموذجاً جديداً للوصول إلى صفحات الدوريات الإلكترونية على الشبكة ، وذلك من خلال إنشاء روابط لها في الفهرس الآلي المباشر . وتشتمل صفحات الشبكة على قائمة ألفبائية بعناوين الدوريات وقائمة أخرى لموضوعات الدوريات (Knudson; and et. al 1997) .

وللنظر في الجدل القائم حول فهرسة الدوريات الإلكترونية ووضعها في الفهرس الآلي المباشر ، يشير توماس نايسونجر إلى مجموعة الإيجابيات والسلبيات التي تنتج عنها ، وتتلخص المميزات والفوائد في ما يلي :

- إذا تم إحلال دورية إلكترونية بدلاً من المطبوعة ، فالفهرس في هذه الحالة يساعد على الربط بينهما .
- للمقاربة والربط بين المصادر المقتناة في المكتبة وبين المصادر التي يمكن الوصول إليها من خلال الاشتراك أو الترخيص ، فعلى ما يبدو أن الفصل التقليدي لهذه المصادر لم يعد مناسباً .
- تسهيل الوصول عن بعد إلى الدوريات الإلكترونية .

كما يمكن حصر الجوانب السلبية لعملية إدراج الدوريات الإلكترونية في الفهرس الآلي المباشر فيما يلي:

- عندما يتم التوقف عن الاشتراك في المصدر أو عدم استمراره .
- الخروج عن المبدأ التقليدي في النظر إلى الفهرس كأداة تعريف لمقتنيات المكتبة فقط . والذي ربما أدى إلى الخلط بين وظائف الفهارس والببليوجرافيات (Nisong-er; 1998) كما تجدر الإشارة إلى ضرورة اهتمام المكتبات بأساليب التنظيم ومعايير فهرسة المواد الإلكترونية (Chan, 1999) .

ومن خلال مراجعة مواقع المكتبات على الشبكة والفهارس والتقارير لجامعات أمريكية فاندربلت ، وهارفرد، وبافلو ، وبنسلفينيا ، ومكتبة البحث الوطنية – لوس ألاموس . توصل ماكلينن في دراسته لأساليب الوصول إلى عناوين الدوريات إلى اختيارين أو طريقتين ، الوصول من الفهرس أو من الشبكة . ويصف الوصول من خلال الشبكة لقوائم عناوين وموضوعات الدوريات بالسرعة والبساطة ، كما أنها مناسبة للمكتبات التي لا تتوفر لها إمكانية الوصول إلى الفهارس من خلال الشبكة (Maclennan; 1999) .

٤ – خدمات المستفيدين :

ومن المعروف أن عمليات الاختيار والتنظيم ليست أهدافاً في حد ذاتها ، بل وسائل وأساليب لتقديم خدمات متميزة للمستفيدين . وينبغي على المكتبات الأكاديمية العمل على توفير متطلبات خدمات المستفيدين كافة ، التي تشمل التجهيزات والبرامج الأساسية والحاسبات الآلية والطابعات والورق وتدريب الموظفين وتطوير قدراتهم في التعامل مع تقنية المعلومات والمصادر الإلكترونية لمساعدة المستفيدين أثناء الاستخدام وإرشادهم ومساندتهم . وكذلك متابعة وتقييم الاستخدام ودراسة المستفيدين للتعرف إلى مدى فعالية ونجاح الدوريات الإلكترونية في توفير احتياجاتهم .

ونتعرف إلى أساليب تدريب الموظفين للتعامل مع الدوريات الإلكترونية من خلال نتائج استطلاع جمعية المكتبات البحثية في عام ١٩٩٤م ، فقد تبين أن ٤٣٪ من المكتبات تقوم بتدريب موظفيها في مجموعات وحلقات تدريب منظمة ، بينما ٤٠٪ منها تدرب موظفيها بشكل فردي يعتمد على الحوار المباشر بين شخص وآخر باستخدام الأدلة اليدوية الموجزة والبرامج الآلية الإرشادية.

كما اختلفت المكتبات كثيراً حول مسئولية التدريب ومن يقوم بها ، حيث توزعت بين متخصص في الحاسب الآلي من داخل المكتبة أو من خارجها ، أو موظف الإرشاد والتوجيه في المكتبة أو على الموظف المتخصص في النظم بالمكتبة . أو من خلال التدريب الذاتي ، ومن الواضح أن البعض يستخدم أكثر من مصدر واحد للتدريب (SPEC Kit, 201, 1994) .

ولمناقشة تدريب الموظفين يقترح نايسونجر البحث في التساؤلات التالية : من هم الموظفون الذين سيتم تدريبهم ؟ من سيقوم بالتدريب ؟ ما هي طريقة أو أسلوب التدريب ؟ وما هو محتوى ومضمون التدريب ؟ (Nisong-er, 1998) . وفي الوقت الذي أصبح في متناول الباحثين الوصول إلى مصادر المعلومات من أي مكان، الأمر الذي قد يؤثر على دور المكتبة في تقديم خدمات المعلومات ، تتضح أهمية توفير التدريب والدعم المناسب للموظفين وتطوير مهارات البحث والاسترجاع والتأقلم مع التقنية واحتياجات المستفيدين لتقديم خدمات مرنة ومنافسة(Chan, 1999).

وبينما يعتمد تقديم المكتبة لخدمات نوعية جيدة على حجم الموارد المالية وطبيعة اتفاقية الترخيص ، فالتقنية لا بد أن تكون مكتملة وجاهزة للاستخدام . والمستفيد يرغب في الحصول على الخدمات دون الحاجة إلى تغيير إعدادات الحاسب الآلي أو إضافة برامج آلية ، فعلى سبيل المثال لا يمكن فتح النصوص والملفات الموجودة في شكل (PDF) الإلكتروني إلا من خلال برنامج أدوب أكروبات ، لذا ينبغي التأكد من توفره في أجهزة الحاسب الآلي كافة بالمكتبة . وسواء وفرت المكتبة إمكانية الوصول للدورية الإلكترونية من داخلها أو بالاتصال عن بعد ، فإن الربط الببليوجرافي الآلي من خلال الإنترنت يعد خدمة ذات قيمة مضافة (Hitchcock, and et. al, 1998) .

وفي دراسة ميدانية (بالدوين ، ١٩٩٩م) ترجمة الأخضر إيدروج ، لتنفيذ مشروع المجلة الإلكترونية الضخمة "Super Journal" بين المكتبات الإلكترونية في بريطانيا لبحث احتياجات الباحثين والمستفيدين في المعلومات والنشر العلمي . فقد أكدت نتائج الاستقصاء الميداني رغبة الفئات العلمية في توافر الدوريات الإلكترونية، وتفضل أن تكون مواقع الدوريات متاحة على الشبكات . كما أشار المحررون والمؤلفون إلى أن الدورية الإلكترونية تساعد على توسيع نطاق الاستفادة من البحوث وتوصيلها إلى أكبر عدد من المستفيدين . ويتفق كل من المؤلف والقارئ على أن احتياجاتهم لا تتوقف على توفير المستخلصات ، بل يتوقع الوصول للنص كاملاً وقائمة بالمراجع في الموضوع (بالدوين ، ١٩٩٩م) .

وحول أهمية تقديم وعرض خدمات الدوريات الإلكترونية وتعريف المستفيدين بها ، قدم هانز روز في عام ١٩٩٩م دراسة وصفية لحالة مكتبة تيلبرج في هولندا وتجربتها في تقديم الدوريات الإلكترونية للمستفيدين . فقد أشارت الدراسة إلى مجموعة من العناصر التي تؤثر على استخدام الدوريات الإلكترونية وهي : حجم المعلومات وتوفرها ، البنية الأساسية للتقنية والاتصال وأساليب عرض وتقديم الخدمة والتدريب والمساندة . وبعبارة أخرى، فحتى تقدم المكتبة خدمات حقيقية وفاعلة للمستفيدين لا بد من توفر التجهيزات المادية والبرامج الآلية المناسبة كافة ، حينها يمكن لتقديم الخدمات والتدريب أن تصبح نشاطات محسوسة وذات قيمة (Roes, 1999) .

وفي وقتنا الحاضر تكمن المشكلة الاقتصادية للدوريات الإلكترونية في نسبة الاستخدام والتي تبدو منخفضة ، الأمر الذي يتناقض مع حقيقة وصولها إلى أكبر عدد من المستفيدين ، كما تتضح أهمية تعاون الناشر وموافقته على تقديم معلومات ومؤشرات دقيقة وموثوقة لقياس الاستخدام وتقييمه (Tuck, and Grieves, 1998) ، وبينما تريد المكتبات التأكد من صلاحية ونجاح استثمارها قياساً على إحصائيات الاستخدام ، وكذلك التعرف إلى أساليب وطرق الاستخدام ومدى الحاجة إلى دوريات وعناوين أخرى .

وتثار التساؤلات حول أسلوب وطريقة بناء المجموعات على أساس «احتمالية الحاجة Just-in-Case» ومقارنتها مع النماذج الحديثة للتزويد «حسب الحاجة On-demand» . (Luther, 2000) .

وللحديث عن وصول المستفيدين للدوريات الإلكترونية ، ومن خلال دراسة ميدانية على المستفيدين فقد كشفت عن تفضيلهم للدوريات الإلكترونية المجانية على التجارية ، فالوصول إليها لا يتطلب سوى متصفح الشبكة Web browser . كما تقترح الدراسة النظر إلى الدوريات الإلكترونية المجانية وتقييمها كمواد مستقلة ، وعدم المقارنة بينها وبين الدوريات الإلكترونية التجارية (Woodward, and et. al, 1998) .

كما نتعرف وبصورة أوضح إلى الدوريات الإلكترونية العلمية المجانية ، من خلال دراستين حديثتين (Fosmire, 2000) حيث تناولت الأولى البحث في جودة ونوعية الدوريات الإلكترونية المجانية ، كما اشتملت على ببليوجرافية Webliography بالدوريات الإلكترونية المتوفرة بالمجان في مجالات العلوم والتقنية والطب . كما توصلت إلى أن البعض من هذه الدوريات سجلت معدلات جيدة في التكشيف والاستشهادات المرجعية وعدد المقالات التي تنشرها وتؤكد على أهميتها وإمكانياتها كبديل لمواجهة أزمة الدوريات وارتفاع الأسعار المستمر (Fosmire, and Young, 2000) .

كما تناولت الدراسة الثانية البحث في مدى

استفادة المكتبات الجامعية من الدوريات العلمية الإلكترونية المجانية، وتوفر إمكانية الوصول إليها من خلال الفهرس الآلي أو موقع المكتبة على الشبكة . وعلى الرغم من وجود العديد منها وفي تخصصات مختلفة ، فقد توصلت الدراسة إلى أنها لا تلقى الاهتمام الذي تستحق من المكتبات (Fosmire, and Young, 2000) .

رابعاً - الدوريات الإلكترونية في مواقع المكتبات الأكاديمية :

وللتعرف إلى كيفية توفير الدوريات الإلكترونية وطرق تقديمها على مواقع المكتبات الأكاديمية ، نستعرض بعض النماذج التي وردت في دراسة توم موث آرت ١٩٩٦م (Moothart; 1996) ، حيث يوضح أن الهدف من استعراض نماذج مختلفة من صفحات الدوريات الإلكترونية ، تكوين قاعدة لبناء وتصميم عملي وفعال لصفحات الدوريات الإلكترونية ، ومساندة أمناء المكتبات في التعرف إلى أساليب وتطبيقات متنوعة وتطويعها لتلبية احتياجاتهم . وقد اختارت الدراسة أربع مكتبات جامعية من الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم كل منها أسلوباً يختلف عن الآخر وهي : مكتبة جامعة تينيسي - نوكسفيل، وجامعة ستانفورد ، وجامعة وايومينغ ، وجامعة كاليفورنيا - ساندياجو .

حيث تقوم مكتبة جامعة تينيسي بوضع الدوريات الإلكترونية في قوائم مشروحة بالعنوان والموضوع ، بينما ترتب مكتبة جامعة ستانفورد عناوين الدوريات الإلكترونية ألفبائياً في قائمتين منفصلتين ، إحداهما بالعناوين فقط والأخرى مشروحة . وبدلاً من وضع الدوريات الإلكترونية في صفحة مستقلة ، وتوفر مكتبة جامعة وايومينغ دليلاً موضوعياً للمجالات مع روابط بمصادر الإنترنت والدوريات الإلكترونية . أما بالنسبة لمكتبات جامعة ساندياجو فلدى كل منها تنظيم موضوعي لمصادر الإنترنت يشمل الدوريات الإلكترونية (Moothart; 1996) .

ولأهمية الاتصال بالدوريات الإلكترونية يستحسن توفير واصلات وروابط من الصفحة الرئيسة للمكتبة إلى المواقع الأولية "metasites" ونقاط الربط أو النقل وأدوات البحث في الإنترنت من أبسط الخيارات المتاحة لتوفير الاتصال بالدوريات الإلكترونية على الإنترنت . ولتوضيح ذلك فإن المواقع الأولية (أدلة الدوريات الإلكترونية) عبارة عن حاسب آلي "server" ، يحتوي على أرشيف وروابط الإنترنت بالعديد من المجالات والتخصصات العلمية . وتعرف نقاط الربط أو النقل بأنها صفحات رئيسة تحتوي على روابط لمواقع أخرى في الموضوع أو المجال ، ولكن لا يوجد بها أرشيف للحفظ . أما أدوات البحث في الشبكة ومنها على سبيل المثال ؛ ياهو ؛ وألتافيستا؛ وجوجل، والتي توفر إمكانية البحث عن المواد في الإنترنت . ونظراً لعدم وجود موقع يوفر الاتصال بكل العناوين ، وفي ظل الممارسات والاجتهادات الفردية وعدم توفر معايير موحدة لتقديم الدوريات الإلكترونية على الإنترنت ، فقد كان من الطبيعي أن تستخدم معظم المكتبات الأكاديمية أسلوب الارتباط ببعض المواقع الأولية ونقاط النقل وأدوات البحث في الإنترنت (Moothart; 1996) .

كما تؤكد ريتش ورابن (١٩٩٩م) في استطلاع لمحتويات (٢٥٠) مكتبة جامعية في أمريكا الشمالية ، على أن الغالبية العظمى من المكتبات تضع الدوريات الإلكترونية في صفحة مستقلة ، وأن التنظيم الألفبائي للعناوين ؛ أو وضعها في نظام موضوعي ؛ أو جمعها تبعاً للناشر هي الأساليب الأكثر استخداماً لتنظيم الدوريات الإلكترونية في مواقع المكتبات . وتنصح الدراسة أمناء المكتبات بالاهتمام بمن سيستخدم الدوريات الإلكترونية ، وذلك بوضع

العناوين في قوائم مرتبة ألفبائياً أو موضوعياً أو كليهما معاً ، كما أن احتواء الصفحة على محرك بحث يزيد من فرص وسرعة الوصول إلى عناوين الدوريات (Rich, and Rabine, 1999) .

تطبيقات المكتبات الأكاديمية في دول مجلس التعاون الخليجي:

وللتعرف إلى تطبيقات وأساليب تقديم الدوريات الإلكترونية في المكتبات الجامعية لدول مجلس التعاون الخليجي ، قامت الدراسة باستطلاع مسحي شامل لكل الصفحات الرئيسة لمواقع المكتبات الجامعية والبحث عن الدوريات الإلكترونية ، وتوصلت الدراسة إلى ثلاثة مواقع مكتبات جامعية توفر الدوريات الإلكترونية وهي :

موقع مكتبة جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران ؛ وموقع مكتبة جامعة الملك فيصل بالأحساء في المملكة العربية السعودية ؛ وموقع مكتبة جامعة الإمارات العربية المتحدة . وفي موقع مكتبة جامعة الملك فهد http://www.kfupm.edu.sa/library وفي إطار المصادر الإلكترونية توصيلة مباشرة بصفحة الدوريات الإلكترونية ، والتي تحتوي على قائمة تضم ٥٧٧ عنواناً في ترتيب ألفبائي، مع التنويه إلى أن المتابعة للوصول إلى العنوان يتطلب اسم المستخدم وكلمة العبور .

وتتميز مكتبة جامعة الملك فيصل http://www.kfu.sa/library/lib.asp عن غيرها في تقديمها للدوريات الإلكترونية بطرق متعددة كما هو موضح في الجدول رقم (١) ، فقد خصصت صفحة مستقلة للدوريات الإلكترونية تحت عنوان المجلات الإلكترونية في صفحتها الرئيسة ، حيث يمكن الوصول للدوريات الإلكترونية عبر ثلاث وسائل من خلال صفحة المجلات الإلكترونية ، قائمة ألفبائية بالعناوين ؛ قائمة بالموضوعات ؛ أو البحث بالكلمات المفتاحية ، وللحصول على المزيد وضعت قائمة لأهم دور النشر في صفحة مستقلة .

الجدول رقم (١)

أساليب تقديم الدوريات الإلكترونية من خلال بعض مواقع المكتبات الجامعية الخليجية على الإنترنت

المكتبة	عنوان الصفحة (مسمى الخدمة)	قائمة ألفبائية للعناوين	قوائم للعناوين حسب الموضوعات	قوائم للعناوين حسب الناشر	إمكانية البحث عن العناوين
جامعة الملك فهد	الدوريات الإلكترونية	+	–	–	–
جامعة الملك فيصل	المجلات الإلكترونية	+	+	+	+
جامعة الإمارات العربية المتحدة	الدوريات الإلكترونية	+	+	–	–

وعطفاً على ما سبق يبدو من الواضح أن تنظيم صفحة «المجلات الإلكترونية » في موقع مكتبة جامعة الملك فيصل ، يوفر إمكانية الوصول إلى عناوين الدوريات بكل الأساليب والطرق المتاحة .

وتخصص مكتبة جامعة الإمارات العربية http:/ www.library.uaeu.ac.ae للدوريات الإلكترونية ، الأولى بالموضوعات والأخرى بالعناوين مرتبة ألفبائياً . وفي حين تتضمن القائمة دوريات للنص الكامل وأخرى لصفحات المحتويات فقط والتمييز بينهما بالإشارة للنص الكامل بالحرف (F) والحرف (T) لصفحة المحتويات ، تجدر الإشارة إلى توفر خدمات تصوير وتوصيل لمقالات الدوريات المطبوعة ، وبعد استلام الطلب يتم تصوير المقالات بالماسح الضوئي وإرسالها للمستفيدين بالبريد الإلكتروني فقط .

الخلاصة والنتائج :

لتوضيح وفهم التطبيقات العملية لخدمات الدوريات الإلكترونية وتطويرها، لا بد من التعرف أولاً إلى الأساليب والأشكال المتعددة لها ودراسة خصائصها التقنية والنوعية وأساليب الوصول إليها . فمن الدوريات الإلكترونية ما هو متوفر على أقراص مدمجة، ومنها ما هو متوفر من خلال الشبكات كنسخ إلكترونية لدوريات مطبوعة أو إلكترونية فقط وليس لها أصل مطبوع . وبغض النظر عن الشكل ، فمن المهم أن تتوفر في الدورية الإلكترونية كل الوظائف الأساسية للدورية العلمية المطبوعة فيما يتعلق بالمحتوى والنوعية والاتصال والحفظ .

وللتحول من الدوريات المطبوعة إلى الإلكترونية ، لا بد لإدارة المكتبة مناقشة وبحث التحديات والمفاهيم المصاحبة لها، والتي تتعلق بتكاليف الاشتراك والتشغيل والحفظ والصيانة ، ودراسة بنود وشروط العقد أو الترخيص والتفاوض بشأنها . كما أن التعامل مع موفري الخدمات من الناشرين أو الوكلاء ، يجب أن يتم على أساس ملاءمة الخدمات لاحتياجات المستفيدين وإمكانية اختيار المكتبة للدوريات التي ترغب فيها، وليس من خلال القبول بمجموعة الدوريات التي يعرضها الناشر كحقيبة كاملة . فعلى المكتبات الأكاديمية أن لا تتخلى عن دورها ومسئوليتها في تقييم واختيار الدوريات الإلكترونية بما يتناسب مع احتياجات المستفيدين، بل تطويره في سياق المفاهيم الحديثة للتزويد. كما أن العلاقة بين المكتبة وخدمات الدوريات الإلكترونية التجارية قائمة على العرض والطلب ، والعمل على تحسين وتطوير الخدمات وأساليب الوصول إليها من خلال الفهارس الآلية أو القوائم الألفبائية والموضوعية ، وتوفير معايير موحدة لتقديم واستخدام الدوريات الإلكترونية .

وحتى تستطيع المكتبة تقديم الخدمات للمستفيدين ، لا بد من توفر المتطلبات المادية والتقنية وتدريب الموظفين وتأهيلهم لتقديم الخدمات ، وكذلك تقييم الخدمات ومدى الإفادة منها وقدرتها على توفير احتياجات المستفيدين . كما توصلت الدراسة إلى توفر صفحات الدوريات الإلكترونية في ثلاثة مواقع مكتبات جامعية بدول مجلس التعاون الخليجي وهي : مكتبة جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ؛ ومكتبة جامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية ؛ ومكتبة جامعة الإمارات العربية المتحدة .

المراجع

المراجع العربية :

- بالدوين ، كيرستين ؛ ترجمة الأخضر أيدروج (١٩٩٩م) . «النشر الإلكتروني للدوريات : تلبية احتياجات المستفيدين» **المجلة العربية للمعلومات**، مج٢٠، ع٢، ١٩٩٩م ، ص١١٢-١١٨.

- صادق ، أمينة مصطفى (٢٠٠٠). «الدوريات الإلكترونية وأثرها على جودة خدمات المعلومات في المكتبة». **مجلة المكتبات والمعلومات العربية** ، س٢٠، ع٢ ، أبريل ٢٠٠٠م ، ص٥-٢٦.

كتاب «البناية» الفقهي، ومؤلفه الفقيه «العيني»، والاعتداء عليهما، والعلاج لذلك

عبدالله بن جمعان الدّادا الغامدي

قسم الدراسات الإسلامية بفرع جامعة أم القرى - الطائف

ملخص البحث :

١ - العلامة : بدر الدين ، محمود بن أحمد العَيْني ، ولد سنة (٧٦٢هـ) ، وهو حافظ فقيه، مؤرخ مشارك في فنون مختلفة ، أحد أوعية العلم ، توفي سنة (٨٥٥هـ).

٢ - كتاب «البناية في شرح الهداية» : أوسع وأتمّ شروح الهداية ، وهو كتاب في الفقه الحنفي ، وموسوعة فقهية ، يبين المذاهب الأربعة وأدلتها وتخريج هذه الأدلة.

٣ - لكتاب «البناية» مخطوطات في أماكن مختلفة ، وثلاث طبعات : طبعة «الهند» ، وطبعة «دار الفكر» ، وطبعة «دار الكتب العلمية».

٤ - حَقق طبعة «دار الكتب العلمية» : «أيمن صالح شعبان» ، وله عمل في تحقيق الكتاب، وآخر في إقامة نصه.

٥ - تعرّضُ تراثنا لتحقيقات تجعله في حكم المفقود ، ومن ذلك «البناية» ، فلم تجد العناية اللازمة.

٦ - المحافظة على النتاج الفكري الضخم (التراث) ؛ فصلاح حياتنا بهذا التراث العظيم ؛ لنواصل البناء والعطاء . وتلك المحافظة بالوسائل التي تحقّق ذلك ، فالتراث مهم ، وله طرق لتحقيقه ، وشروط في المحقق.

٧ - الالتزام بالأمانة العلمية، والخلق الإسلامي الرفيع ، وعدم التعدي على التراث وحقوق العلماء، وتغرير الناس والضحك عليهم.

٨ - مراجعة أبطال التحقيق ، وكتبهم ، والتدقيق والتعب قليلاً ؛ للوصول إلى نص المؤلف «العيني».

٩ - حقيقة طبعة «دار الكتب العلمية» ، ومواصفاتها.

١٠- تنبيهات عامة.

١١- جدول الصواب والخطأ، وذلك من خلال ضرب مثالين فقط بأن طبعة «دار الفكر» فاسدة، وكذا طبعة «دار الكتب العلمية».

١٢- صورة غلاف هاتين الطبعتين.

١٣- النتائج.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، وبعد :

يقع هذا البحث في مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة .

أما المقدمة : فهذه ، وقد تضمنت خطة البحث ، وهي هذه ، وأهميته ، ومنهجي فيه .

وأما المبحثان : ففي «كتاب «البناية» الفقهي، ومؤلفه الفقيه «العيني» ، والاعتداء عليهما، والعلاج لذلك».

أما المبحث الأول : ففي الفقيه «العيني» ، وكتابه «البناية» . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : في الفقيه «العيني» . وقد اشتمل على تسعة مقاصد :

المقصد الأول : لقبه وكنيته ، واسمه ونسبه.

المقصد الثاني : ولادته ، ونشأته ، وأسرته.

المقصد الثالث : رحلاته ، ووظائفه.

المقصد الرابع : مكانته العلمية.

المقصد الخامس : شيوخه.

المقصد السادس : تلاميذه.

المقصد السابع : مؤلفاته.

المقصد الثامن : وفاته ، وعائلته ، ومدرسته.

المقصد التاسع : ثناء العلماء عليه.

والمطلب الثاني : في كتاب «البناية في شرح الهداية» . وقد اشتمل على أربعة مقاصد:

المقصد الأول : التعريف بـ «البناية».

المقصد الثاني : مخطوطات «البناية».

المقصد الثالث : طبعات «البناية».

المقصد الرابع : العمل من المحقق في طبعة «دار الكتب العلمية» «للبناية»، الطبعة التي يدور البحث حولها.

وفيه فرعان :

الفرع الأول : عمل المحقق في تحقيق «البناية».

الفرع الثاني : عمل المحقق في إقامة نص «البناية».

وأما المبحث الثاني: ففي هدم كتاب «البناية» الفقهي ، والاعتداء على مؤلفه الفقيه «العيني» ، والعلاج لذلك.

وأما الخاتمة : ففي نتائج هذا البحث.

وأهمية هذا البحث تُعرف من عنوانه ، وما يدور هذا البحث حوله ، وهو تحقيق كتاب «البناية في شرح الهداية»، من حيث طبعته الثالثة ، ومؤلفه الإمام «العيني» ، هذا الكتاب العظيم، ومؤلفه الكبير، فـ «للبناية» أهمية كبرى في الفقه، ومكانة فقهية عُليا بين المؤلفات الفقهية؛ فقد بين فيه «العيني» مذاهب الأئمة الأربعة في المسائل الفقهية، وأدلتهم ، وتخريج أحاديثها.

ولما كان التراث العربي والإسلامي مهماً، وخاصة الفقهي منه ، ولا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال؛ لإقامة المجتمع المثالي في كل المجالات ، فقد رأيت أن يكون بحثي هذا هو : «النظر في تحقيق ساقطٍ لأحد الكتب الفقهية المهمة»؛ لضمه إلى تراثنا الفقهي؛ للاهتمام بتراثنا الإسلامي ، ومعرفة كيفية الاستفادة منه ، وكيفية توظيفه ، وذلك بإعداد بحثي : «كتاب «البناية» الفقهي ، ومؤلفه الفقيه «العيني» ، والاعتداء عليهما، والعلاج لذلك» . فأساهم في تبيين وتوضيح وخدمة التراث الإسلامي القديم والأصيل ، وإبرازه بالصورة الواضحة المشرقة التي تتفق وروح العصر؛ لإفادة الأمة.

وقد اتبعت في إعداده منهجاً علمياً سليماً - إن شاء الله تعالى - ، راعيت فيه أهم قواعد التأليف، مع الاستعانة بأفضل الكتب المهتمَّة بالتحقيق . مع الانتباه إلى ما في الكتب الأخرى . مع تحرِّي الدِّقة ما أمكن ، مبرزاً التراث وأهميته ، ومن ذلك كتاب «البناية في شرح الهداية» الفقهي ، ومؤلفه الإمام الفقيه :«العيني» . مع ضبط النص وتوضيحه ، وإزالة الإشكال والإيهام منه ، وعزو الآيات القرآنية لسورها ، وترجمة الأعلام ترجمة علمية بعيدة عن الغموض مع الإيجاز والإلمام ؛ لتكون الزيادة في حجم البحث قليلة ، والفائدة عظيمة ، وتوضيح البلدان ، والألفاظ الغريبة ، والمصطلحات العلمية من أهم الكتب المعتمدة.

وقد أشرت بلفظ : «البناية» فقط إلى طبعة «دار الفكر» ، وبعبارة : «البناية - المحقق -» إلى طبعة «دار الكتب العلمية». على أن مراجع كل جزئية متكاملة أضعها في آخرها ، وإنما المراجع الموجودة في الهامش عند بعض الأمور لتوضيح ذلك الأمر الذي في المتن ، فليتنبه . وقد جعلت الهوامش والتعليقات في آخر البحث بأرقام

تسلسُلية ورتّبْتُ المراجع فيها حسب الوفاة، منظمة حسب العوائل للمؤلفين ، مستغنياً بذلك عن فهرس المراجع.

وبعد ؛ فهذا بحثي أقدمه إلى الباحثين في الفقه الإسلامي خاصة ، وفي التراث العربي والإسلامي عامة ؛ للاستفادة منه، فأقول وبالله ومن الله التوفيق:

المبحث الأول - الفقيه «العيني» ، وكتابه : «البناية في شرح الهداية».

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الفقيه «العيني».

المطلب الثاني : كتاب «البناية في شرح الهداية».

المطلب الأول : الفقيه «العيني» .

وفيه تسعة مقاصد.

المقصد الأول : لقبه وكنيته ، واسمه ونسبه :

هو : بدر الدين ، أبو الثناء ، وأبو محمد ، محمود ابن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود العينتَابِي[1] ، المولد والمنشأ ، الحلبي الأصل ، المصري الدار والوفاة ، الحنفي ، المعروف بـ «العيني».

المقصد الثاني : ولادته ونشأته ، وأسرته :

ولد الإمام : «العيني» سنة (٧٦٢هـ) في درب كيكن، بعينتاب ونشأ بها ، وحفظ القرآن الكريم ، وتفقه على والده وغيره ، وكان أبوه قاضي عينتاب القاضي شهاب الدين[2]، انتقل إليها من حلب . وجده موسى : القاضي شرف الدين، فأسرة «العيني» مشهورة بالعلم والصلاح.

المقصد الثالث : رحلاته ، ووظائفه :

رحل الإمام «العيني» إلى حلب سنة (٧٨٣هـ)، وتفقه بها أيضاً ، ثم حج ، ثم دخل دمشق، ثم زار بيت المقدس سنة (٧٨٨هـ) ، ثم قدم القاهرة في تلك السنة ، وأخذ بها علوماً كثيرة ، وأقام بمصر مكبّاً على العلم والعمل ، وولي حسبة القاهرة سنة (٨٠١هـ)، ثم سنة (٨٤٦هـ إلى ٨٤٧هـ)، بعد محن جرت له من الحسدة ، وعزل عنها غير مرة ، وأعيد إليها ، ثم ولي عدة تداريس ووظائف دينية ، واشتهر اسمه وبعد صيته ، وأفتى ودرس وأكب على العمل والتصنيف إلى أن ولي : نظر الأحباس (السجون) سنة (٨٠٤هـ) ، و(٨١٩هـ إلى ٨٥٣هـ)، ثم قضاء قضاة الحنفية بالديار المصرية سنة (٨٢٩هـ إلى ٨٣٣هـ) و (٨٣٧هـ إلى ٨٤٢هـ) ، فباشر ذلك بحرمة وافرة وعظمة زائدة ، لقربه من الملك الأشرف سيف الدين ، أبو النصر ، بَرْسْبَايْ الدُّقماقي الظاهري[3]، واستمر فيه إلى تلك السنة .

المقصد الرابع : مكانته العلمية :

كان «العيني» إماماً عالماً ، علامة حافظاً ، فقيهاً أصولياً مفسراً محدثاً ، مؤرخاً، لغوياً نحوياً ، بيانياً ناظماً عروضياً ، فصيحاً باللغتين العربية والتركية ، برع في هذه الفنون المختلفة ، وقرأ وسمع ما لا يُحصى من الكتب والتفاسير ، فكان بارعاً في علوم كثيرة، واسع الاطلاع ، ذو التصانيف الكثيرة المفيدة النافعة على ما يأتي هنا ، حدث وأفتى ودرّس ، وكان واسع الباع في المعقول والمنقول ، أحد أوعية العلم ، ولما أخرج عنه نظر الأحباس في سنة (٨٥٣هـ) عظُم عليه ذلك ؛ لقلة موجودِه ، وصار يبيع من أملاكه وكتبه إلى أن توفي - رحمه الله - .

المقصد الخامس : شيوخه :

كان من شيوخ «العيني» :

١ - العلامة : جمال الدين ، يوسف بن موسى المَلَطي الحنفي، البزدوي. ولد سنة (٧٢٦هـ) وتوفي سنة (٨٠٣هـ).

٢ - العلامة : علاء الدين بن أحمد بن محمد بن أحمد السيرامي الحنفي. توفي سنة (٧٩٠هـ) .

٣ - العلامة : شهاب الدين ، أحمد بن خاص التركي ، الحنفي . توفي سنة (٨٠٩هـ) بالقاهرة.

٤ – الحافظ : زين الدين ، أبو الفضل ، عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، الشافعي. ولد سنة (٧٢٥هـ) بالقاهرة ، وتوفي بها سنة (٨٠٦هـ) .

٥ – الحافظ : سراج الدين ، أبو حفص ، عمر بن رسلان البلقيني ، الشافعي. ولد ببُلْقِينَة – إحدى قرى مصر– سنة (٧٢٤هـ) ، وتوفي بالقاهرة سنة (٨٠٥هـ)[٤].

وقد ألف «العيني» في شيوخه كتاباً سماه «معجم الشيوخ» على ما يأتي هنا؛[٥] لكثرتهم ؛ فقد تلقى «العيني» عن كبار العلماء ، فكان من شيوخه : المحدثون والمفسرون والمقرئون ، واللغويون والنحاة ، والفقهاء والأدباء ، وأخذ عن علماء المذهب الحنفي وغيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى[٦] .

المقصد السادس : تلاميذه :

أخذ عن «العيني» من لا يُحصى من كثرتهم ، فكانوا أوفر عدداً من شيوخه ؛ فقد درس «العيني» الحديث والتأريخ والنحو والأدب والفقه والعروض ، وغير ذلك كما رأيت في المقصد الرابع[٧] ، منهم :

١ – الإمام العلامة : كمال الدين ، محمد بن عبد الواحد السيواسي ، الحنفي ، المعروف بـ«ابن الهمام» . ولد سنة (٧٩٠هـ) ، وتوفي سنة (٨٦١هـ).

٢ – الحافظ : شمس الدين ، أبو الخير ، محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الشافعي . ولد سنة (٨٣١هـ) بالقاهرة ، وتوفي سنة (٩٠٢هـ) بالمدينة المنورة.

٣ – الإمام العلامة : جمال الدين ، أبو المحاسن ، يوسف ابن تَغْري بَرْدي[٨] ، الأتابكي،القاهري ، الحنفي،صاحب «النجوم الزاهرة». ولد سنة (٨١٢هـ) بالقاهرة ، وتوفي بها سنة (٨٧٤هـ)[٩] .

المقصد السابع : مؤلفاته :

مؤلفات «العيني» – رحمه الله – كثيرةٌ، منها : عمدة القارئ في شرح الجامع الصحيح للبخاري[١٠] – ط –، وشرح قطعة من سنن أبي داود[١١] – خ – ، ومباني الأخبار في شرح معاني الآثار للطحاوي[١٢] – ط – ، ومغاني الأخيار في رجال معاني الآثار – خ – ، والبناية في شرح الهداية ، وهو موضوع البحث ، ويأتي[١٣] ، ورمز الحقائق شرح كنز الدقائق[١٤] – ط – ، وشرح مجمع البحرين لابن الساعاتي[١٥] – خ – ، وشرح تحفة الملوك في الفقه – خ – ، والدرر الزاهرة في شرح البحار الزاخرة – خ – ، والمسائل البدرية المنتخبة من الفتاوي الظهيرية – خ – ، ومختصر المحيط ، والعلم الهيب في شرح الكلم الطيب لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية [١٦] – خ – ، وكتاب تحفة الملوك في المواعظ والرقائق – خ – ، والمقاصد النحوية في شرح شواهد وشروح الألفية ، المعروف بـ«الشواهد الكبرى» – ط – ، وفرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد – شواهد الألفية – ، المعروف بـ«الشواهد الصغرى» – ط– ، ورسائل الفئة في شرح العوامل المائة – خ – ، وشرح التسهيل لمحمد بن عبد الله ابن مالك[١٧] ، مطولاً، – مفقود –، ومختصراً – مفقود –، وعقد الجمان في تأريخ أهل الزمان – خ – ، والتأريخ الكبير على السنين – مفقود – ، ومُختصره – مفقود – ، والتأريخ الصغير – مفقود – ، ومختصر تأريخ أحمد ابن محمد بن خَلِّكان [١٨] (وفيات الأعيان) – مفقود – ، وتأريخ الأكاسرة ، بالتركية . وعدة تواريخ أخر. وله حواش في اللغة والعروض ، وطبقات الشعراء – مفقود – ، وطبقات الحنفية – مفقود – ، وغير ذلك. وقد نسب له كثير من الكتب مما هو مفقود، وله تقاريظ على بعض مؤلفات ، منها : التقريظ على الرد الوافر ، وعلى زهر الربيع في البديع ، وعلى السيرة المؤيديّة ، وعلى كتاب للسخاوي[١٩] .

المقصد الثامن : وفاته ، وعائلته ، ومدرسته :

توفي «العيني» بالقاهرة سنة (٨٥٥هـ) ، وصُلي عليه بالجامع الأزهر ، ودفن بمدرسته التي عمرها سنة (٨١٤هـ) ، بالقرب من داره ، قرب الجامع الأزهر ، وبقيت إلى الآن حيث حولت مسجداً . وكثر أسف الناس حينذاك عليه – رحمه الله –.

واسم زوجته: «أم الخير»، توفيت سنة (٨١٩هـ). وله منها : عبد العزيز، توفي سنة (٨١٨هـ) ، وعبد الرحمن ، طعن سنة (٨٢٢هـ) ، وإبراهيم وعلي وأحمد وفاطمة ، توفوا سنة (٨٣٣هـ). وله ابن اسمه : عبد الرحيم ينسب إلى ولده الأمير الشهابي أحمد القصر العيني، وبنت اسمها : زينب ، توفيت سنة (٨٤٩هـ) .

المقصد التاسع : ثناء العلماء عليه :

أثنى على : «العيني» كثير من العلماء ؛ قال تلميذه ابن تَغْري بَرْدي : «هو العلامة ، فريد عصره ، ووحيد دهره ، عمدة المؤرخين ، مقصد الطالبين ، قاضي القضاة»[٢٠].

وقد أُلِّفت في «العيني» المؤلفات ، مثل كتاب : «بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث» لصالح يوسف معتوق[٢١].

هذه سيرة هذا الإمام العلامة « العيني»[٢٢].

المطلب الثاني : كتاب «البناية في شرح الهداية» .

وفيه أربعة مقاصد :

المقصد الأول : التعريف بـ «البناية في شرح الهداية» :

أصل كتاب «البناية» كتاب «الهداية» لأبي بكر ، برهان الدين ، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني[٢٣]، و «الهداية» من المتون المعتبرة عند الحنفية ، وهو شرح لـ «بداية المبتدي» للمؤلف – المرغيناني – نفسه، وقد جمع المرغيناني في : «بداية المبتدي» : مسائل أحمد ابن محمد القُدُوري[٢٤] ، والجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني[٢٥] ، ثم شرحها في «كفاية المنتهي» ، إلا أن فيه تطويلاً ، فخشي أن يهجر لذلك ، فشرحه شرحاً مختصراً لطيفاً وافياً سماه «الهداية».

ثم إن العلماء اعتنوا بشرح «الهداية» هذا ، وأوسع وأتمّ ما وصل إلينا من شروحها : كتاب «البناية في شرح الهداية» للفقيه «العيني» . وقد سماه «العيني» بهذا الاسم، فأثبته هو لنفسه في مقدمته[٢٦]، وخاتمته[٢٧] . وأثبت له بهذا اللفظ : في الأعلام[٢٨] ، وعلى غلاف البناية[٢٩]، وفي داخلها بعد الغلاف ، وفي البناية – المحقق –[٣٠].

وبلفظ: «البناية شرح الهداية» في الفوائد البهية[٣١]، وفي البناية[٣٢] ، وعلى غلاف البناية – المحقق – ، وفي داخلها بعد الغلاف. وبلفظ : «شرح الهداية المعروف بالبناية» في البناية[٣٣] . وبلفظ : «شرح الهداية» في حسن المحاضرة[٣٤] ، وشذرات الذهب[٣٥] ، والفوائد البهية[٣٦] ، والبناية[٣٧] . وبلفظ : «وشرح الهداية في الفقه» في مفتاح السعادة[٣٨] . وبلفظ : «وشرح القاضي بدر الدين ... وسماه النهاية» في كشف الظنون[٣٩]. إلا أنه أخطأه الصواب فـ «النهاية» شرح «الهداية» لحسام الدين ، الحسين بن علي بن الحجاج، المتوفى سنة (٧١١هـ) أو (٧١٤هـ) بحلب[٤٠].

وقد ابتدأ «العيني» تأليف «البناية» سنة (٨١٧هـ) ، وانتهى من تأليفه سنة (٨٥٠هـ) في مدرسته بالقاهرة .

وقد رواه بطرق أربعة عن مشايخه :

الطريق الأول : عن شيخه ،الشيخ : شرف الدين بن أبي الروح عيسى بن خاص العمر، كان موجوداً سنة (٧٨٠هـ)[٤١] .

الطريق الثاني : عن شيخه العلامة ، جمال الدين ، يوسف ابن موسى، الشهير بالمَلَطي[٤٢].

الطريق الثالث: الإمام العلامة السيرامي[٤٣].

الطريق الرابع: الشيخ الإمام، جلال الدين السيري،ثم الصابوني المصري، كان موجوداً سنة (٧٨٩هـ)[٤٤].

وهذا الكتاب «البناية» كتاب في الفقه الحنفي، وهو موسوعة فقهية، ويمتاز بالتوسع في بيان أحاديث الأحكام وتخريجها، وبيان مذاهب الأئمة الأربعة بعبارة واضحة سهلة بعيدة عن التعقيد[٤٥].

المقصد الثاني: مخطوطات «البناية في شرح الهداية»:

يوجد للبناية عدة نسخ خطية هي :

١ – الجزائر أول (٩٨٧–٩٨٨).

٢ – ينى جامع (٥١٢–٥١٤).

٣ – السليمانية (٥٢٠–٥٢٤).

٤ – داماد زاده (٩٤١–٩٥٠ ، ٩٦١–٩٦٧ ، ٩٧٧ – ٩٨٦).

٥ – بشاور(٤٥٧–٤٦١ ، ٤٩٥).

٦ – دار الكتب المصرية (رقم٥٥ و ٥٦) فقه حنفي. وهي نسخة ملفقة للكتاب، فيها تصحيف وتحريف كثير، لا يوجد عليها اسم الناسخ، ولا تأريخ النسخ. وعلى أحد الأجزاء تمليك غير واضح ، وعدد أوراقها أكثر من أربعة آلاف ورقة، ونوع خطها نسخ معتاد، تخللّها كتابة متن «الهداية» بالأحمر، والشرح «البناية» بالأسود[٤٦].

المقصد الثالث : طبعات «البناية في شرح الهداية»:

لكتاب «البناية في شرح الهداية» فيما أعلم ثلاث طبعات مختلفة ، وهي:

الطبعة الأولى : الطبعة الهندية الحجريّة :

عرفت الطبعة الهندية الحجريّة «للبناية» بطبعة رئيس التجار، المعروف بالمنشي نَوْلَكْشُور، مالك مطبعة « أَوَدْ أَخْبَار» ببلدة لَكْهنَو[٤٧] في الهند، سنة(١٢٩٣هـ)، بعنوان «البناية».

وهذه الطبعة الحجرية تقع في أربعة أجزاء، واشترك في خطها أكثر من أربعة أشخاص ، عن النسخة الخطية التي يملكها «مولانا فريد الدين الوكيل»، ولكن بعض هؤلاء الأشخاص كان لا يتقن العربية ، فكان يرسم الخط رسماً بدون فهم، مما أدى إلى أخطاء فاحشة وتصحيف فظيع ، فهي كثيرة التحريف والتصحيف ، مما يتطلب الرجوع إلى المراجع وبذل جهد كبير لتحرير النص، إلا أنه نسخ هذه الطبعة وراجعها بعض أهل العلم والمعرفة، وصححت استناداً إلى «شرح فتح القدير» لابن الهمام[٤٨]، و«المبسوط» لمحمد بن أحمد السرخسي[٤٩] . وقد ضبطت آياتها، وعزيت على ما في «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد بن عبد الباقي[٥٠] ، وخرجت الأحاديث على ما في «نصب الراية لأحاديث الهداية» لعبد الله بن يوسف الزيلعي[٥١] ، والأسماء بالاستعانة بـ «الأعلام» و«معجم المؤلفين» و«تهذيب التهذيب»[٥٢] وبُذل فيها جهد[٥٣].

الطبعة الثانية : طبعة دار الفكر :

طبع كتاب «البناية في شرح الهداية» من دار الفكر للطباعة والنشر. والواقعة في «بيروت» . ووقعت في عشرة مجلدات ، بتصحيح : «المولَوي محمد عمر» ، الشهير بـ «ناصر الإسلام الرّامفُوري». وهي الطبعة الأولى . (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). وقد جعلت «دار الفكر» متن «الهداية» في رأس الصفحة بحرف كبير. و«شرح البناية» للعيني تحته. ثم جعل في الأسفل تعليقات: «المولوي محمد عمر» مفصولاً بينها وبين الشرح بخط[٥٤].

وقد نسخت هذه الطبعة عن الطبعة الهندية الحجرية[٥٥]، المذكورة آنفاً .

الطبعة الثالثة : طبعة دار الكتب العلمية :

كما طبع كتاب «البناية في شرح الهداية» أيضاً من دار الكتب العلمية. والواقعة في بيروت، ووقعت في ثلاثة عشر مجلداً. بتحقيق : «أيمن صالح شعبان». وهي الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

وقد اشتملت هذه الطبعة على : مقدمة ، فكتاب الهداية، فالشروح على كتاب «الهداية»، فصاحب الهداية «المرغيناني»، فالبناية، فصاحب البناية «العيني» ، فعمل المحقق «أيمن صالح شعبان» في «البناية»، فأصل «البناية»، فإقامة المحقق نص «البناية» ، فثلاث صفحات مصورة من مخطوطة دار الكتب المصرية ، وصفحة مصورة من طبعة الهند الحجرية[٥٦]، فالبناية من(م١) إلى (م١٣).

وقد جعل متن «الهداية» في أعلى الصفحة بحرف كبير ، فمتن «البناية» تحته بحرف أقل، مفصولاً بينهما بخط . ثم جعلت تعليقات المحقق «أيمن صالح شعبان» في أسفل الصفحة ، بحرف أصغر، مفصولاً بينهما بخط. ثم وضع المحقق بعد خاتمة «العيني»[٥٧] فهرس الأحاديث والآثار، ففهرس المراجع[٥٨].

وقد طبعت هذه الطبعة على ما ستعرف تقريباً في آخر المبحث القادم(الثاني) ، لا على ما ذكر المحقق «أيمن صالح شعبان» في المقصد الرابع هنا.

المقصد الرابع : العمل في طبعة «دار الكتب العلمية» الطبعة التي يدور البحث حولها :

في العمل في تحقيق «البناية في شرح الهداية» موضوع بحثي هذا فرعان :

الفرع الأول: عمل المحقق «أيمن صالح شعبان» في تحقيق «البناية» :

يقول المحقق «أيمن صالح شعبان» : «عملنا في الكتاب:

١ – أقمنا نص الكتاب على مخطوط دار الكتب المصرية ، وقومنا النص حالة التصحيف والتحريف بالعودة للمراجع الأصلية، وإذا تعذر ذلك علينا قمنا بوضعه داخل معكوفين بينهما نقط لاستعجام المعنى والالتباس الناشئ في السرد.

٢ – وضع مقدمة لهذا العمل الموسوعي.

٣ – ترجمة «صاحب الهداية».

٤ – ذكر نهج المؤلف في وضعه للكتاب.

٥ – ترجمة «صاحب البناية».

٦ – قمنا بإخراج الآيات الواردة في الشرح ، وعزوها للسورة وكتابة رقمها.

٧ – قمنا تخريج الأخبار الواردة في الشرح ، وقد اكتفينا بعزو المصنِّف للصحيحين أو أحدهما.

٨ – قمنا بالحكم على الأحاديث الواردة وبيان درجتها وسيما إن كانت من الأدلة.

٩ – علقنا في بعض المواطن حسبما اقتضت الحاجة لذلك.

١٠– وضعنا فهارس فنية في المجلد الثالث عشر للتيسير على الباحثين.

والله نسأل القبول والرضا.

وكتبه

أيمن صالح شعبان.

مركز تحقيق النصوص».[٥٩]

الفرع الثاني: عمل المحقق «أيمن صالح شعبان» في إقامة نص «البناية».

يقول المحقق «أيمن صالح شعبان» : «وقد أقمنا نص الكتاب على :

أ – مخطوط دار الكتب المصرية(تحت رقم ٥٥و٥٦ فقه حنفي) ، وهي نسخة ملفقة للكتاب، وقع فيها من التصحيف والتحريف الكثير. لم نجد عليها اسم

الناسخ ولا تأريخ النسخ ، وعلى أحد الأجزاء تمليك غير واضح، وعدد أوراقها يزيد على أربعة آلاف ورقة، نوع الخط نسخ معتاد تخللها كتابة متن الهداية بالمداد[٦٠] الأحمر، والشرح بالمداد الأسود.

ب - كما قمنا بالاستفادة من مطبوعة الهند الحجرية وإن كانت كثيرة التحريف والتصحيف أيضاً، وقد تتطلب من تحرير النص العودة لكثير من المراجع وبذل جهد جهيد لا يعلمه إلا الله تعالى. وهو سبحانه من وراء القصد»[٦١].

المبحث الثاني: هدم كتاب «البناية» الفقهي، والاعتداء على مؤلفه الفقيه «العيني»، والعلاج لذلك :

وذلك من خلال تحقيق «البناية في شرح الهداية» طبعة «دار الكتب العلمية»، فأقول وبالله ومن الله التوفيق:

إن طريقة بعض المحققين كـ «أيمن صالح شعبان» محقق كتاب «البناية»، والناشرين مثل:دار الفكر للطباعة والنشر ، ودار الكتب العلمية. لبنان - بيروت . في تحقيق ونشر تراثنا العربي والإسلامي، ومنه الفقهي مثل:كتاب «البناية في شرح الهداية»، طريقة فاسدة، فهي تجانب الصواب، وتتعارض مع أصول التحقيق العلمي للكتب ونشرها، وتسير على منهج غير سليم.

وهذه هدية كبرى غالية للباحثين، وطلاب العلم ، والمبتدئين والعلماء، ونصيحة خالصة صادقة لهم ، ودعوة للحفاظ على تراثنا العظيم، ومنه الفقهي، وحراسته من العبث والتلاعب؛ باتخاذ الأساليب والوسائل التي تحقق ذلك؛ لوضعها أمام القراء خاصة المتخصصين للاستفادة منها، وتصحيح تلك الأخطاء الفاحشة ؛ للمشاركة بجهدهم في نفع الأمة ، فما ورثناه عن آبائنا نورِّثه لأبنائنا. فلا يدّعي البعض القيام بواجبهم حيال هذا التراث العظيم وصيانته ، ومنه التراث الفقهي في الوقت الذي يخرِّبونه ويظنون أن في تحقيقهم غناء وكفاية، بُعداً عن العناء والمشقة في متابعة هذا من المحقق كـ: «أيمن صالح شعبان» محقق كتاب «البناية»، فأشير إشارة إلى ما فيه الخير والفائدة للقارئ بإيجاز واختصار؛ فالتراث مهم ، وله طرق لتحقيقه وإخراجه إلى الوجود وتقديمه للباحثين وطلاب العلم والعلماء ، وإثبات نص المؤلف سليماً خالياً من الأخطاء؛ فالغاية: عرض الكتاب كما يريده مؤلفه، ثم خدمة نصه بشرح غامضه والتعريف به ، وتخريجه وفهرسته، باتباع الطرق المعروفة والمعهودة في هذا المجال، بمعرفة قواعد تحقيق المخطوطات، ودليل العمل فيها، وكيفية العمل في تحقيق النص، وتوفر الشروط في المحقق: فيتحلى بالصبر والجلد وسعة الصدر. وألا يشرع في التحقيق حتى يجد في نفسه التمكُّن من مادة الكتاب، واطلاعه على قواعد التحقيق وأصوله، واستعداده للمناقشة والحوار وقبول رأي الآخرين، وتوفر الدراية الواسعة بتأريخ هذا العلم الذي يحقق فيه، وعلمه بما صدر من كتب تتصل بمادته. ويتحرّى المحقق التحرِّي الكامل عن مخطوطات كتاب «البناية في شرح الهداية»، ويجمع نسخها، ويسعى لنشر «البناية» بصورة صحيحة كما وضعها مؤلفها «العيني» ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، على أن يستنفد جهده وحيلته في ذلك، وهذا بوضع منهج لتحقيقه؛ فنشر كتاب «البناية» مجرداً عن أي مقابلة لنسخه الخطية، ومن كل مراجعة وتعليق على نصه لا يصلح لتحقيقه؛ فتلك النسخة الخطية التي طبع عليها «البناية» ليست صحيحة متقنة سليمة خالية من التصحيف والتحريف، وليست بخط المؤلف «العيني»، ومن ثم لم يدفع «المحقق» عن النص الإيهام ، ولم يرفع كل غموض وإبهام فيه، فهذا يتأتى بالعناية التامة به، وهنا تأتي الصعوبة، وتظهر براعة المحقق.

إن توفر نسختين مستقلتين عن بعضهما من المخطوطة - على الأقل - ضروري للمقابلة والتصحيح، وإكمال النقص ، وتشتد الحاجة إلى النسخة الثانية كلما كان الأصل دقيق الخط أو رديئه، أو قليل الوضوح ، أو فيه طمس أو سقط كثير أو أخطاء كثيرة ، أو أنه لم يقابل ويعارض، وتثبت الاختلافات في حواشيه ، أو أنه خال من سماعات العلماء المدققين، أو تقل النقول عنه في الكتب اللاحقة به، أو أن الكتب التي اقتبس منها مفقودة(٦٢). فالباحث الذي يحقق كتاباً تراثياً هو أقرب الناس إليه في فهم غامضه ومشكلات نسخه، ومعرفة مصادره وطريقته، إنه قرأ الكتاب مرّات ومرّات، ففهمه. فالتحقيق مصطلح يجب أن يغطي جانبين: تحرير النص(٦٣). وخدمته. ويشمل تحرير النص: تقديم النص كما يريده مؤلفه من دون أي تحسين أو تعديل ، ومعه إثبات الاختلافات بين النسخ. وضبط النص على حسب الحاجة التي يقررها المحقق، وإثبات ما يناسبه من علامات الترقيم. وتشمل خدمة النص: تخريج نصوصه ما أمكن ، وشرح غامضه شرحاً موجزاً كلما دعت الحاجة التي يُقدّرها المحقق إلى ذلك، وتقديم النص بما يبين مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، ونُسخه، وأهميته، ومنهجه، وفهرسته. وبالاستقرار على مفهوم التحقيق وغايته يكون القارئ مطمئناً إلى ما يقرأ ومستفيداً منه.

أما مساحة خدمة النص وطبيعة عناصرها، ومتى يتدخل المحقق أو يسكت فقد اختلف الباحثون فيه : إما بإطالة الحواشي، بتوضيح نصوص الكتاب، والاستطراد في المسألة للإحاطة بها عند ورودها ناقصة من المؤلف ، مع ذكر نص الكتاب الأصلي المنقول عنه نص المؤلف. وإما على النقيض من ذلك. وهو الوصول إلى النص الأصلي كما يريده المؤلف، مع ذكر اختلافات النسخ أو إهمالها ، وعدم شرح الغامض ، والاقتصار في تخريج النصوص من مظانها، مع الغفلة عن عزو الآيات وتخريج الأحاديث والأشعار. وإما وسط بين ذلك ، وهو ما أذهب إليه؛ بشرح الغامض من النص ، وتخريج نصوصه ، وترتيب فهارسه الفنية المختلفة ، ووضع مقدمة تشمل منهج الكتاب ومؤلفه ؛ فعمل المحقق:ما يبذله من جهد للوصول إلى نص المؤلف وإلا مماثلاً لنصه، ميسراً الإفادة منه. فعلينا مراعاة تعميم قواعد التحقيق العلمي بين المحققين حفاظاً على طاقاتهم من أن تصرف فيما لا فائدة فيه، وحرصاً على إقدام الأكفاء منهم على التحقيق دون أن يصرفهم طبع الكتاب، دون مراعاة لقواعد التحقيق إلى العزوف عن إعادة نشره محققاً.

على أنني أعترف لأهل الفضل والجهد المخلص الصادق بفضلهم وسبقهم حيال تراثنا العظيم، ومنه تراثنا الفقهي، ولا أقصد التقليل هاهنا من جهد «دار الفكر» أو «دار الكتب العلمية»، أو جهد المحقق «أيمن صالح شعبان» عندما أتعرض لتحقيقه لكتاب «البناية»، ولا الصد عنه، وأشكر للناشرَيْن: «دار الفكر للطباعة والنشر، ودار الكتب العلمية. لبنان - بيروت» جهدهما، وحرصهما على نشر هذا الكتاب(٦٤)، قال الله تعالى: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾(٦٥).

لا غرض ولا قصد لانتقاص جهد مبذول من مؤمن صادق، يعرف التحقيق ومكانته، ويعلم أهمية التراث وقيمته ، خاصة الشرعي، ومنه كتاب «البناية» الفقهي، فيعكف لخدمته ، باذلاً جهده، مع ما يلقاه من معاناة؛ لإخراج ذلك التراث ، ومنه كتاب «البناية» الفقهي ، في ثوب جديد ، لكن الموجود حالياً عكس هذا تماماً؛ فهو تخريب للتراث العظيم من مدّعيي التحقيق ، فلم يتعرض تراثنا الفقهي إلى عوادي الزمن من اجتياح الغزاة لعالمنا

الإسلامي، أو الفتن الداخلية والعصبيات العقيدية والمذهبية، أو الإهمال فحسب ، وإنما وقع في يد من لا يعرف كيفية إخراجه ، فأصبح في حكم المفقود ، لا لأُحَكِّم ولا لأُقَوِّم تلك الأعمال وذلك الجهد ، بل أطلب بترتيب وتنظيم منع هؤلاء المخربين للتراث، باختلاف أصنافهم ، أو تدريبهم، فنتخلص من مثل مدعيي التحقيق؛ ليكون التحقيق من أهله، فنراه مجوداً ، فذلك خطر على تراثنا العظيم ، ومنه تراثنا الفقهي، فلا بد من الأمانة العلمية في تحقيق الكتب العلمية، ومنها الكتب الفقهية، فالباحث وطالب العلم والعالم يسعد ولا يكاد يتمالك من الغبطة عندما يرى كتاباً محققاً في الفقه أو غيره ، إلا أنه عندما يقرأ في ذلك الكتاب المحقق «البناية» يُصاب بالذهول والحسرة والندامة . فنرث الدِّين والشرع عن نبينا - ﷺ - وسلفنا الصالح وتابعيهم، وتصل إلينا الشريعة بهذه الطرق ، فينتقل هذا التراث عن السلف إلى الخلف ، فالمال يورث ، وكذا العلم والدِّين.

فتراثنا الإسلامي : عقيدتنا ، فقهنا، ثقافتنا ، قيمنا، آدابنا، فنوننا ، صناعتنا، جميع المنجزات المختلفة ، حضاريّة أو ثقافية ، وأساسها القرآن والسنة. هذا جميعه ورثناه عن آبائنا ، علماء أمتنا، ومنهم فقهائنا . فلا نفكر في تحقيق التراث ومنه كتاب «البناية» الفقهي للحصول على مصالح خاصة، ففي هذا انحراف لا بدّ من تقويمه ، فما حُقق بعضه حُقق تحقيقاً علمياً ، وبعضه دون تحقيق علمي، بقصد تجاري أو نحوه. وما طبع منه إما لشهرة مؤلفه أو لأهميته. كما أن كثيراً مما نشر ومنه «البناية» الفقهي لم يحظ بالعناية العلمية اللازمة ، وفيه من التحريف والتصحيف والسقط والأخطاء ما يخل بالمعنى ، أو يفضي إلى نتائج خاطئة في الدراسات الحديثة ، فهذه ثروة كبيرة ثمينة غالية خلفها لنا أسلافنا من نتاج فكري ضخم في التفسير والحديث والفقه والأصول والسيرة، خاصة ما بقي مخطوطاً، والاتجاه اليوم لنشره، أو تجديد ما سبق نشره، يجب أن لا نخربها ، ونحافظ عليها ، ونعرف كيفية ذلك.

فما كتبه علماؤنا المسلمين ، ومنهم الفقهاء ، هذا الجهد البشري المتميِّز تفسيراً وتوضيحاً للميراث الرباني(القرآن والسنة)، يسير مع تغيّرات العصور وتطورها. فما صنعته هذه العقول النادرة من سلفنا الصالح علينا أن نحافظ عليه، فالأمر يتصل بعقيدتنا وإيماننا ، والتزامنا بالأحكام الشرعية، ومنها الفقهية ، فاهتداؤنا وصلاح حياتنا بهذا التراث العظيم ، ومنه الفقهي ، حتى نستطيع أن نواصل البناء ، ونلحق بركب النهضة والحضارة العالمية ، التي هي أصلاً مبنية على حضارتنا الإسلامية القائمة على أساس العقيدة ، وأساس التربية الإلهية ، ونصوص القرآن، وأساس السيرة النبوية، وأسوة الصحابة - رضي الله عنهم - . هذه الحضارة الطبيعية العادلة العاقلة، القائمة على المساواة والرحمة بالبشرية ، وجعل الحكم لله ، والخروج إلى سعة الدنيا ، وعدل الإسلام. فالأمة العربية عامة والإسلامية خاصة لها تراث ضخم وكنوز غالية من مؤلفات علمائها الأجلاء ، الذين تربوا في مدرسة القرآن ، ونهلوا من ينابيع السنة النبوية ، ثم كتبوا تلك المؤلفات العظيمة في كل علم وفن. وكان لهذه المؤلفات العظيمة ، ومنها الفقهية ، الدور الكبير في إقامة صرح الحضارة والمدنية في ربوع بلادنا ، وإثراء حياتنا في فترة غالية من فترات التأريخ . ولقد تطلع الغرب إلى تلك الكنوز ، واستطاع في فترات الضعف للمسلمين أن ينقل الكثير منها إلى بلاده؛ للاستفادة منها، مما نتج عنه ذلك التطور العظيم الذي نراه عندهم. في حين تخلفت أمتنا الإسلامية بمقدار ذلك التقدم الهائل لدى الغرب؛

لإهمالنا هذه الثروة العظيمة التي كانت تحت أيدينا[٦٦]، فعلى هذا التراث العظيم ومنه الفقهي تقوم الحضارة، فعلينا أن نحافظ على هذا التراث العظيم، ومنه الفقهي، ونصدّ عنه اعتداء المعتدين، وتحريف المحرفين، وتخريب المخربين، وتلاعب الجاهلين، ووقف أيدي العابثين الهادمين المخربين، الذين قصدهم الحصول على المال والجاه غالباً، فأبناء الأمة الإسلامية جميعهم حراس هذا التراث والأمناء عليه، والمعتنين به، والقائمين عليه، من فقه وغيره؛ فقد بذل العلماء المسلمون من السلف الصالح جهوداً جبّارة في تقييد أدنى ما فيه اشتباه من أسماء الناس وكناهم، وألقابهم، وأنسابهم، وأسماء المواضع، فمن أكثر الأمور أهمية في تحقيق النصوص ضبط النص بالحركات.

كما بذل المسؤولون في البلاد العربية جهوداً كبيرة حينما تنبهوا إلى أهمية هذا التراث المخطوط العظيم، فأنشؤوا: «معهد إحياء المخطوطات» التابع لجامعة الدول العربية، ومهمته حفظ هذا التراث من الضياع، فلِم لا تبذل الجهود نفسها لمعرفة كيفية إخراجه سليماً، والإفادة منه وتوظيفه.

على أن العناية بالتراث شديدة، وحركة النشر نشيطة، وما تطبعه المطابع كثير، فنحن في نهضة معاصرة، وصحوة إسلامية، فلماذا نتجرأ على التراث ونخربه، خاصة الفقهي، وإن لم يكن بقصد.

نحن نريد من المحققين أن يأتوا خاصة المحقق: «أيمن صالح شعبان» وينشروا أي كتاب حققوه كما وضعه مؤلفه؛ وذلك ببذل العناية الخاصة بالمخطوط؛ ليقدم للمجتمع الإسلامي صحيحاً كما وضعه مؤلفه، لا كما يريد المحقق، وحسب مزاجه، فهذا تخريب وليس تحقيقاً؛ فالمقصود بالتحقيق هو إخراج نص «البناية» بشكل سليم، مع حل عقده وإشكالاته التي يصعب على القارئ حلها بسهولة.

المحقق يجتهد في تحقيقه ويعلق ببراعة ويشكر على هذا، إلا أنه يجانب الصواب والأمانة العلمية، والخلق الإسلامي الرفيع الذي علمنا إياه الإسلام، فالمحقق يأخذ ببعض الإسلام ويترك بعضه كما يحلو له، فيتعدّى على تراثنا، ومنه الفقهي، وحقوق علمائنا، ومنه حق «العيني» ويشوّه مؤلفاتهم ويحرفها[٦٧]؛ فيُوقع الباحثين في الحيرة، ولا يفكر أحدهم في تحقيق هذا الكتاب الفقهي: «البناية»، حتى لو وجد بعض نسخه المهمة في أمريكا أو تركيا، أو غيرها من بلدان العالم حالة سفره إليها؛ لمعرفته أن كتاب «البناية في شرح الهداية» محقق بتحقيق: «أيمن صالح شعبان»، فيكتفي بذلك، فلماذا يتعب نفسه بتحقيقه مرة ثانية؟

على أن كتاب «البناية» طبعة «دار الفكر» أو «طبعة دار الكتب العلمية» بتحقيق: «أيمن صالح شعبان» غير الكتاب المؤلف «البناية» من مؤلفه: «العيني»؛ فالمؤلف «العيني» لا يرضى بهذا، فكتابه «البناية» منسق وأحكام وأدلة، وهذا تخريب وجاه وحب دنيا، أو عدم فهم ومعرفة للتحقيق. فيقتنى الكتاب دون معرفة بهذا التحقيق الفاسد، وقد يعرف الباحث هذا وقد لا يعرف، غيّرت الكتاب «البناية» أيها الأخ الفاضل عن ما أراده مؤلفه «العيني»؛ لعدم فهمك التحقيق، وتعمقك في هذا الفن؛ فالتراث أمانة، فعليك أيها المحقق والناشر حمل هذه الأمانة وتسليمها لأهلها، وأنت لست الوحيد في أمتنا العربية والإسلامية الذي يقتصر عليك إخراج هذا الكتاب «البناية»؛ فهو حق مشاع لجميع المسلمين، لكنك بهذه الفعلة الشنيعة تخدع الباحثين وطلاب العلم وتغرهم، وتحول دون أن يفكروا في تحقيق هذا الكتاب: «البناية»؛

لعلمهم أنه حُقق، فأبناء الأمة من فقهاء وغيرهم رقباء عليك ومحاسبون لك، عليك ترك مثل هذا التحقيق ونحوه، فهذا تلاعب وطمس للحقيقة ؛ فالتحقيق فن وذوق وعلم؛ وهذا العمل جهل، لكنه في هذه الحالة كالعمد والقصد؛ لعلمك عدم فهمك للتحقيق، ومثل هذا التحقيق الفاسد لكتاب: «البناية» عشرات التحقيقات الفاسدة ، فالكتاب الذي يكثر طلبه في السوق ومن طلاب العلم تتهافتون عليه مدّعو التحقيق ، رغبة في نشره ، بغض النظر عن النفع والضرر الذي يلحق المكتبة الفقهية.

هل هذا خيانة وتخريب فيما هو لغيرك بغير معرفته؟ إذا كان كذلك أيها الأخ الفاضل فعليك أن ترتدع أنت والناشر ، وأن لا تتجاسَرا على مثل هذا.

تحرصون على أن هذا مجرد تحقيق ، مع ما فيكم من جهل وعامية بالنسبة للتحقيق. وبمجرد تصفح كتاب «البناية» من متمكِّن تظهر الحقيقة ، وأن هذا العمل فيه ما فيه من التخريب، وقد وضع على طبعة «دار الكتب العلمية»: «للبناية» عبارة : «تحقيق / أيمن صالح شعبان»، وهذا يعني أنه حقق كتاب «البناية» تحقيقاً علمياً ، فغرني فشريت نسخة من هذه الطبعة بسرعة ، وتتبع عملك أيها الأخ الفاضل كله نجد العجب العجاب ، مما يعجز الشخص عن كتابته؛ فالأمر فيه خطورة ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾(٦٨).

لا شك أن هذا التحقيق لكتاب: «البناية» تحقيقٌ فاسد ، فمحققه يتحمل مسؤولية ما فيه من أخطاء فاحشة. على أن المحقق لا نعرف عنه شيئاً، ولا عن مؤهلاته ، ومكانته ، وتجاربه ، إلا أن من الثابت لديّ يقيناً أنه ليس له الحق في تحقيق كتاب : «البناية في شرح الهداية» من تراثنا الفقهي . فلِمَ لم يلتزم بما يجب أن يلتزم به المحققون؟ ويرجع إلى كتب هذا الفن؟ ويدقق النظر فيها؟

ومن ثَم فيثبت الحق ؛ بإظهار الكتاب «البناية» مطابقاً لنص مؤلفه «العيني» كما ذكرت(٦٩) ، بجمع نسخه المخطوطة أو أكبر قدر منها، فيقيِّمها؛ ليصل إلى المخطوط الأم ، التي كتبها المؤلف «العيني» أو أملاها على تلاميذه ، أو أجازها بعد كتابتها ، وإلا فالنسخة المأخوذة عنها بدلاً منها، ومعرفة النسخ التي قُوبلت بغيرها ، فهي أحسن من التي لم تقابل. والنسخ التي كتبت في عصر المؤلف «العيني». لماذا لم تتخذ نسخة أصلاً لنفسك ، ثم تثبت الخلافات بين النسخ ؛ لتصل إلى أصوب ما في نسخ «البناية» وأحسنها ؟ فتحقيق المتن ليس تحسيناً أو تصحيحاً، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التأريخ ، فإن متن «البناية» حكم على المؤلف «العيني»، وحكم على عصره وبيئته ، وهي اعتبارات تأريخية لها حرمتها، كما أن ذلك الضرب من التصرف عدوان على حق المؤلف «العيني» الذي له وحده حق التبديل والتغيير. وإذا كان هذا المحقق موسوماً بصفة الجرأة فأجدرْ به أن يتنحّى عن مثل هذا العمل (تحقيق البناية)، وليدعه لغيره ممن هو موسوم بالإشفاق والحذر. أخي الفاضل :إن التحقيق نتاج خلقي ، لا يقوى عليه إلا من وُهِب صفتين شديدتين:الأمانة ، والصبر. فعلى فهمك التحقيق يصبح عبثاً وتلاعباً بالنصوص ، حذفاً وإضافة وتصرفاً، هذا خيانة للأمانة ، وتعدٍّ على تراثنا العظيم ، ومنه الفقهي ، وهو خداع لنا وتغريرٌ بنا، وكذب وتزوير علينا، هل قدّمت لنا نص المؤلف «العيني» في كتابه «البناية» ثم حسنته وهذبته ، أم أنك خرَّبت وعدّلت وصحّفت وحرّفت هذا الكتاب الفقهي العظيم . تسقط كلمات من نص المؤلف «العيني» ؛ لأنك لا تعرف قراءتها، وتثبت كلمات تقرأها تظن أنها صحيحة ، وهي مراد المؤلف «العيني» ، لا أشك أنك مبتدئ في التحقيق ، ورحم الله امرءاً عرف قدر

نفسه، فهذا ليس تحقيقاً ولا يسمى تحقيقاً يا أخي الفاضل، ولست مضطراً إلى إخراج كتاب: «البناية» بهذا الشكل ، خدمة للإسلام ، وتسهيلاً لطلاب لعلم ، خاصة الفقهاء منهم، ونفعاً للمسلمين ، وتثقيفاً لهم ، لماذا لم ترجع إلى المحققين العظام الأبطال ، وعلماء التحقيق الكبار ، وخبرائه ، الذين غايتهم ترمي إلى تصحيح النص وتدقيقه، وتطمين القارئ إلى صحة ما كتب ؟ فلو رجع المحقق الفاضل إلى بعض الكتب الجيدة لهؤلاء العلماء الأفذاذ لما وقع في هذا الخطأ الفاحش ، ولبيّنوا له أنه يتعيَّن عليه إثبات ما يراه صواباً في أصل النص ، وتدوين ما يراه غلطاً أو ضعيفاً في الهامش ، فلا يجعله نص المؤلف «العيني»، وأن عليه أن لا يرجع بغير تعليل؛ فإنه يوقع في الوهم ، ولا يقدم قراءة صحيحة للنص، فلو راجع هؤلاء الأبطال وكتبهم ، ودقّق وأتعب نفسه قليلاً لوجد أن الذي أثبته ليس هو الصواب ، وأنه ليس نص المؤلف «العيني» ، فهذا هو سلاح المحقق الأول ، الرجوع إلى هؤلاء المؤلفين ومؤلفاتهم المختلفة في جميع الفنون ، كل فن في فنه في ضبط نص «البناية».

إن سرقة جهود الناشرين أو المحققين لكتاب مثل كتاب : «البناية» خيانة للأمانة ، وجريمة كبرى ، فبعض الكتب القديمة «كالبناية» تطبع ثم يُحذف اسم الناشر ويُوضع بدله ناشر آخر، ويحلى هذا بوضع اسم محقق عليه ، ثم يُحلى هذا بتكبير صفة المحقق بأنه «مدير مركز تحقيق النصوص» . وليته بذل جهداً بسيطاً في حصوله على نسخ «البناية» الخطية المعروفة المعلومة ، التي يقوم عليها كتاب «البناية» ، ومقابلة تلك النسخ الخطية ، المختلفة من النساخ ، بعضها ببعض، فبطريقة «المحقق» تلك في تحقيق كتاب «البناية» ضاعت الحقوق ، وأنكرت الجهود. هل هذا تزوير أو ادعاء للتحقيق ؟ هذا عبث لا يجوز السكوت عليه[٧٠]. فهذا الكتاب «البناية» توفي مؤلفه «العيني» سنة (٨٥٥هـ) ، وطبعته «دار الفكر» ، ثم طبع الآن هذا الكتاب «البناية» مع حذف اسم «دار الفكر» ، والإبقاء على الكتاب «البناية» كما نشرته «دار الفكر». هنا نستطيع أن نقول: هذا الكتاب «البناية» إنما أعيد تصويره فقط، وأضيف على غلافه : «تحقيق / أيمن صالح شعبان. مدير مركز تحقيق النصوص» . إلا أن الأمر ليس كذلك . مع أن ذهاب نص المؤلف «العيني» يُضيِّع على الباحثين فوائد عظيمة. ولا فضل هاهنا يُشكر عليه «المحقق» إلا أنه أوهم نفسه أنه حقق «البناية في شرح الهداية» .

إذاً هل هذا الكتاب «البناية» المحقق سرقة لطبعة «دار الفكر» لذلك الكتاب «البناية»، مع حذف «دار الفكر» ووضع بدلاً عنها: «دار الكتب العلمية» ؟ أيضاً ليس الأمر كذلك ؛ فالعيب ليس من المؤلف «العيني» ، أو المطبعة «دار الكتب العلمية» ؛ فالتحقيق فن وذوق وعلم، وهذه النسخة لكتاب «البناية» توقع طلاب العلم في أخطاء فاحشة، وتخرب أبحاثهم إن لم ينتبهوا ؛ فالعيب من المحقق «أيمن صالح شعبان»؛ فقد اعتمد على النسخة نفسها التي اعتمدت عليها «دار الفكر» فقط ليس إلا.

هل نظّم المحقق الكتاب «البناية» طبعة «دار الفكر»، مع حذف حواشيه أو شروحه، مع الوقوع في الأخطاء الفاحشة الكثيرة ، مع إفساد المعنى وتغيير المقصود، فتَسْقُط عبارة أحياناً، وأحياناً كلمة ، وأحياناً حرفاً ، فيخل هذا بالمعنى ، ويصبح الحلال حراماً والحرام حلالاً، فيحتاج الكتاب تصحيحاً دقيقاً. أيضاً ليس الأمر كذلك ، وإنما كما ذكرت.

خاصة وأن هذا الكتاب «البناية» من الكتب التي تنتشر بين أيدي طلاب العلم، خاصة الفقه، والمبتدئين فيه،

فيأخذون عن هذا الكتاب «البناية» بالأخطاء الموجودة فيه ، وعندما يكون كتاب : «البناية» قيماً نفيساً ينتفع به ينعكس الأمر ، ويُظن أن العيب من المؤلف «العيني» أو المطبعة «دار الكتب العلمية» .

فالتحقيق مسؤولية عظيمة كبيرة ، ويحتاج جهداً كبيراً ، فالجميع يريد أن يحقق ، والجميع لا يقنع إلا بتحقيق كل شيء ، مختلف الفنون ، مثل : عادل أحمد عبد الموجود، وزميله : علي محمد معوض. وأيضاً: محمد حسن الشافعي [٧١] ، أين التحقيق وضبط النص ؟

لقد أفسد المحقق «أيمن صالح شعبان» من تراثنا الفقهي هذا الكتاب «البناية» ، وخرّبه وتلاعب به، وظلمه وافترى عليه، فهو كتاب مُفترى عليه في هذا الموضع، وشحنه بالأخطاء الفاحشة والنقص والسقط ، ولم يثبت نصّ المؤلف «العيني»، ولم يقرأ بتأن، ولم يصحح الأخطاء ، ولم أر له تعليقاً مفيداً . فالكتاب «البناية» بهذه الصورة سقيم سيء للغاية ؛ ولم يرجع الأخ المحقق إلى نسخه الخطية، ومقابلتها كما هو معروف عند أهل التحقيق، فما حاجة القارئ الباحث في الفقه، والمبتدئ فيه إلى «البناية» بهذه الصورة ؟!

أين الهمة والعزيمة والصبر والجهد أيها العلماء والفقهاء ؟ أين خدمة الكتاب «البناية» خدمة طيبة تليق به؟ فطبعته هذه المحققة رديئة ، ويحتاج إلى عناية ، فهذا تكرار عمل مسبوق فقط، وإضاعة جهد في كتاب دون خدمة طيبة له من المحقق «أيمن صالح شعبان». فهذا تعدٍّ وعبث بتراثنا الفقهي، وتخريب له، دون احترام للفقه وأهله، خاصة المؤلفين كالعيني.

على أن تكوين هذا المحقق «أيمن صالح شعبان» العلمي والفكري فيما أعلم - والله أعلم - لا يساعده على تحقيق مثل هذا الكتاب الفقهي : «البناية» وإتقانه ، مع عدم فهمه لعبارات المؤلف «العيني» وأقواله ، فيفهمها على غير وجهها.

هل ضبط الأخ المحقق «أيمن صالح شعبان» نصّ «البناية» وهذّبه، وقيّده بالحركات، وعلق عليه ، وأزال التصحيف والتحريف منه ، وتنبّه للسقط منه ، والزيادة فيه؟ هل شرح الغريب فيها وبيّن المشكل ؟ هل خرّج الأحاديث والآثار الموجودة فيها ؟ هل مقدمته علمية فيها جهد واضح ؟ وغير مضطربة ؟ هل فهارسه لها فنّية[٧٢]؟ هل هناك تنظيم وترتيب في تحقيقه لها ؟ وعندما لا أنبّه على هذا وأحافظ على تراثنا العظيم، خاصة تراثنا الفقهي، ومنه كتاب «البناية» من مثل هذا المحقق «أيمن صالح شعبان» فمن يقوم بهذا ؟ فأنا أحد أبناء هذه الأمة الإسلامية العظيمة.

فيوجد منذ خمسة عشر عاماً بين يديّ نسخة لهذا الكتاب الفقهي «البناية» طبعة «دار الفكر» . تقع في(١٠) مجلدات . ثم ظهر في السوق طبعة جديدة لهذا الكتاب الفقهي «البناية» . بتحقيق «أيمن صالح شعبان» «دار الكتب العلمية». بيروت. رقم الكتاب «X - ٢٢١٠ - ١٥٤٥١ - ٢». ط (١) . (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، وتقع في(١٣) مجلداً، ففرحت كثيراً وأسرعت لشرائها لأنها محققة ، معتقداً أنه تحقيقٌ علمي ، بإثبات نص المؤلف «العيني» سليماً ؛ فسافرت من الطائف إلى مكة لهذا الغرض . إلا أن الأخطاء العلمية الموجودة في هاتين الطبعتين لهذا الكتاب «البناية» فاحشة، والملاحظات كثيرة يضيق عنها المجال الآن، والأمثلة كثيرة جداً، وأسوق لك بعض هذه الأمثلة لطبعة «دار الفكر» الفاسدة ، ولطبعة «دار الكتب العلمية» الفاسدة ، بذلك التحقيق الفاسد، ولا أطيل فاختصر بضرب مثالين فقط هما : مجلد(٤)، ومجلد(٦) لطبعة «دار الفكر» . ومجلد(٥)، ومجلد(٨) لطبعة «دار الكتب العلمية».

وإليك الجدول الفاصل بين الحق والباطل :

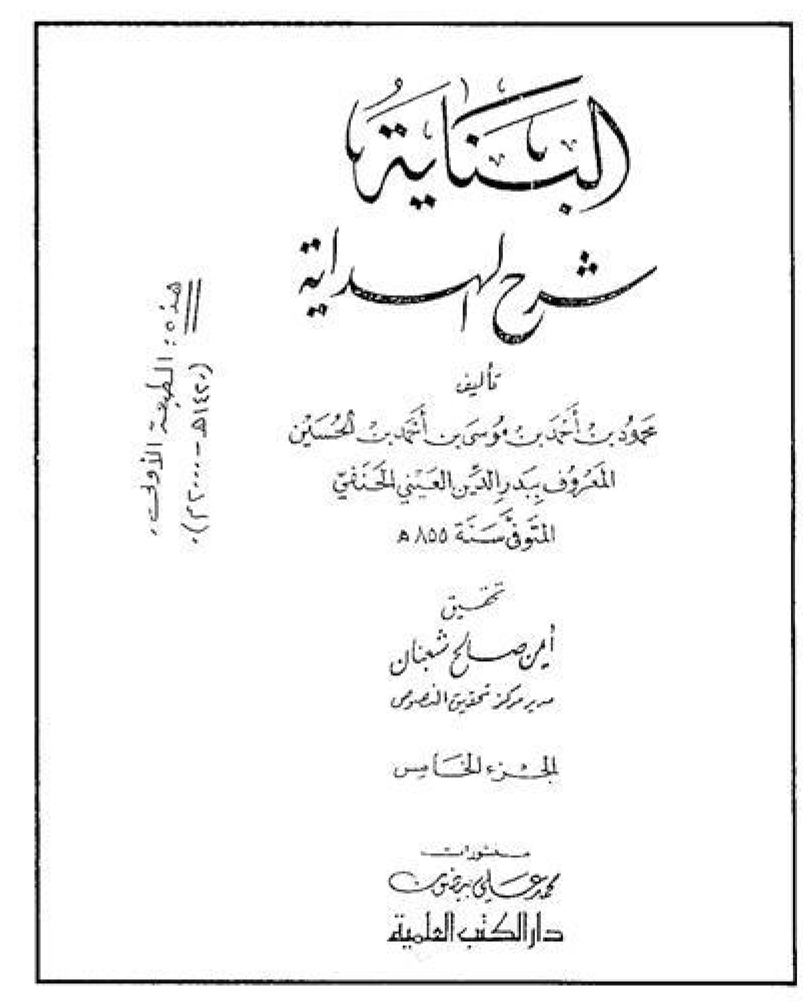
البناية طبعة دار الفكر (المصحح)				البناية طبعة دار الكتب العلمية (المحقق)				الصواب
المجلد	الصفحة	السطر	الخطأ	المجلد	الصفحة	السطر	الخطأ	
٤	٣	٧	البصريين(وغلام بعلة)عن الكوفيين.	٥	٣	٦	البصريين عن الكوفيين	البصريين،[وغلام ثعلب] عن الكوفيين.
٤	٥	٨	بشطّ	٥	٣	١٩	بشطّ	بشطّي.
٤	١٨٥	٢٠	ولأبي حنيفة	٥	١٣٥	٨،٩	ولأبي حنيفة	وأبو حنيفة.
٤	١٨٥	٢٠	وأصحابه هاهنا	٥	١٣٥	٩	وأصحابه هاهنا	وأصحابهما.
٤	١٨٥	٢٠	القرآن...	٥	١٣٥	٩	القرآن...	بعد كلمة ((القرآن)) عبارة ساقطة، سقطت من الناسخ سهواً، وهي:[ولا تعليمه مهراً، وهو أولى ما قيل به في هذا الباب؛ لأن الفروج لا تستباح إلا بالأموال؛ لقوله تعالى: ﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم﴾[٧٣]. ولذكره تعالى في النكاح الطول، وهو المال، والقرآن ليس].وهذا الصواب؛ فالناسخ للمخطوطة قفز عن كلمة ((القرآن)) الأولى إلى كلمة ((القرآن)) الثانية، وأسقط ما بينهما سهواً. أ.هـ.
٤	١٨٥	٢٠	[ليس] ✓	٥	١٣٥	٩	[...].	[ليس].
٤	١٨٥	٢١	فلأن	٥	١٣٥	٩	فلأن.	ولأن.
٤	١٨٥	٢١	في العلم والتعلم.	٥	١٣٥	٩	في العلم والتعلم.	من المعلم والمتعلم.
٤	١٨٥	٢١	مختلف	٥	١٣٥	١٠	مختلف	يختلف
٤	١٨٥	٢١	لا يكاد ينضبط	٥	١٣٥	١٠	لا يكاد ينضبط	ولا يكاد يضبط.
٤	١٨٦	٣	تَبَعَ	٥	١٣٥	١٦	تَبَعَ	يَقَعُ.
٤	١٨٦	١٧	عبدالحق: ✓هومن	٥	١٣٦	٢	عبد الحق: من.	عبد الحق : هو من.

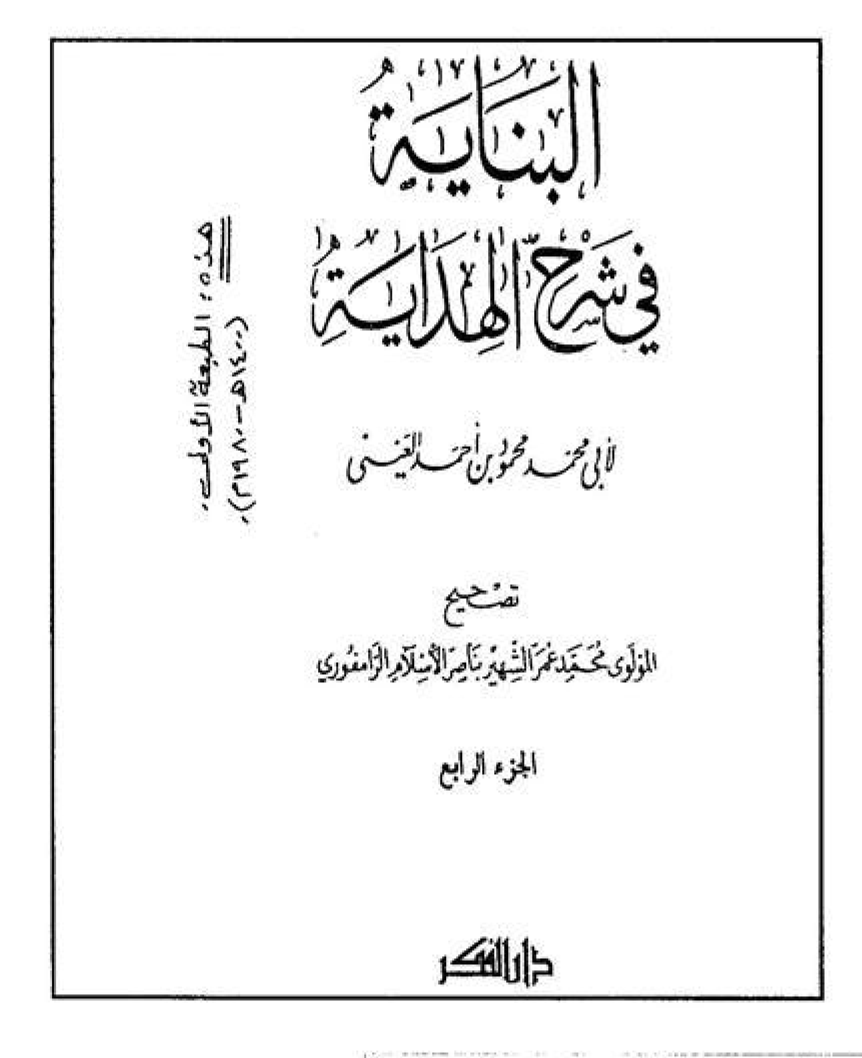
البناية طبعة دار الفكر(المصحح)				البناية طبعة دار الكتب العلمية (المحقق)				الصواب
المجلد	الصفحة	السطر	الخطأ	المجلد	الصفحة	السطر	الخطأ	
٤	١٨٦	٢٠	اليمان	٥	١٣٦	٦	اليمان	النعمان
٤	٣٥٨	٢١	الاختلاف	٥	٢٧٢	٢٧	الاختلاف	لا اختلاف
٤	٣٥٨	٢٢	قادر	٥	٢٧٢	٢٨	قادر	نادر
٤	٧٨٤	٩	كونها فيه	٥	٦٠٤	٢٨	كونها فيه	لوَهَاء فيه
٤	٧٨٤	٩	ثبت	٥	٦٠٤	٢٨	ثبت	يثْبُتُ
٤	٧٨٤	١٠	يثبت	٥	٦٠٤	٢٩	يثبت	تثبت
٤	٧٨٤	١٠	الوفاة كونها فيه	٥	٦٠٤	٢٩	الوفاة كونهافيه	الوفاة لوَهَاء فيه
٤	٧٨٤	١	عنها ، أعتقها	٥	٦٠٥	١	عنها ، أعتقها	عنها ، أو أعتقها
٤	٧٨٥	١	وأما منافية	٥	٦٠٥	٣	وإما منافية	وإمَامُنا فيه
٤	٧٨٤	١٢	لما كانت	٥	٦٠٥	٥	لما كانت	لما كان
٤	٧٨٥	٧	وأما منافية	٥	٦٠٥	١٨	وإما منافية	وإمَامُنا فيه
٤	٨٠١	١٧	إلا	٥	٦١٨	١٨	إلا	إلى
٦	٤١٧	٤	امرأة أبي الغمير	٨	١٧٤	٧	امرأة أبي إسحاق	امرأة أبي السَّفَر
٦	٤١٧	٧	خبراً	٨	١٧٤	١١	جزء	جزاءه عليه
٦	٤١٧	١٠	المجتهد	٨	١٧٤	١٤	المجتهد	المجتهدات
٦	٤٩٧	٩	المبيع	٨	٢٣٩	٩	المبيع	البيع
٦	٤٩٧	١٤	ثمنه	٨	٢٣٩	١٤	ثمنه	فيه
٦	٤٩٧	١٧	التأكيد	٨	٢٣٩	١٧	التأكيد	للتأكيد
٦	٥٠١	٧	والغاية	٨	٢٤٢	٨	والغاية	والفائت
٦	٥٠١	١٢	الغاية	٨	٢٤٢	١٢	الغاية	الفائت
٦	٥٠١	١٥	الخبر والجزاء	٨	٢٤٢	١٥	الجزء والجزاء	الجزء والجزء
٦	٥٠٢	١٥	يلزم	٨	٢٤٣	١٠	يلزم	يلتزم
٦	٥٠٢	١٥	يعين	٨	٢٤٣	١١	يعين	يبين
٦	٥٠٢	١٧	ويضع	٨	٢٤٣	١٣	ويضع	وبِصُنْع
٦	٥٣٨	١٢	والعمل	٨	٢٧٢	٢	والعمل	والمحل
٦	٦٩٠	٨	بالتزاحم	٨	٣٩٥	١٥	بالتزاحم	بالبراجم
٦	٦٩١	١٢	بالمصوغ نسيئة...	٨	٣٩٦	١٦	بالمصوغ نسيئة...	بعد كلمة ((نسيئة)) هنا عبارة ساقطة ، وهي: [شبهة الشبهة؛ لأن في بيع المضروب

								بالمضروب نسيئة]. وهذا هو الصواب؛ فقد قفز الناسخ للمخطوطة من كلمة ((نسيئة)) الأولى إلى كلمة ((نسيئة)) الثانية؛ فهو سهو من الناسخ للنسخة الخطية.
٦	٦٩١	١٢	بشُبهة	٨	٣٩٦	١٦	بشُبهة	شُبهة
وأيضاً:خذ على سبيل المثال كلمتين في مجلد(٨)لطبعة ((دار الفكر)) مجلد(١١)لطبعة((دار الكتب العلمية)).								
٨	٣٦٧	٤	لأنه شبَه	١١	٢٠٤	٦	لأنه شبَه	لأنه شَيْءٌ
٨	٧٢٢	٢٠	شبه الحنِث	١١	٤٩٤	١٧	شبهة الحنِث	شُبْهة الخُبْث

وهذا عيب من المصحح لطبعة «دار الفكر» لكتاب «البناية»، ومن المحقق لطبعة «دار الكتب العلمية» لكتاب «البناية»، وليس من المؤلف «العيني» أو المطبعة ؛ فالتحقيق فن وذوق وعلم كما ذكرت[٧٤]، وكتاب «البناية» بهاتين الطبعتين تُوقع طلاب العلم في أخطاء فاحشة، وتُخرب أبحاثهم إن لم ينتَبهوا، على أن هناك أخطاء مطبعية كثيرة جداً، خاصة في طبعة «دار الفكر».

ولْنر الآن صورة الغلاف لطبعة «دار الكتب العلمية» ولطبعة «دار الفكر» :





الخاتمة :

بعد أن ذكرت المبحثين السابقين في : «كتاب «البناية» الفقهي ، ومؤلفه الفقيه «العيني» ، والاعتداء عليهما، والعلاج لذلك»، أصل إلى ما يلي :

١ - المطالبة ببذل الجهود؛ لإزالة الخطر عن التراث، ومعرفة كيفية إخراجه سليماً وفي ثوب جديد، والإفادة منه وتوظيفه، وحماية الباحثين وأموالهم ، وحل مشكلاتهم؛ بنشر تراثنا نشراً علمياً سليماً ؛ بإبطال التكرار في التحقيق، وتوفير جهد الباحثين والمحققين، وذلك عن طريق تفعيل دور المعاهد والمراكز المهتمة بالتراث بطرق سليمة.

٢ - إيقاف التعدي على التراث، ومنه كتاب «البناية» الفقهي، والتعدي على حقوق العلماء، ومنه حق الفقيه «العيني»، وتسمية كتابه: «البناية شرح الهداية» ، مع أن الصواب «البناية في شرح الهداية»، وتشويهه وتحريفه، وإيقاع الباحثين في الحيرة، فلا يقدم أحد منهم على تحقيقه.

٣ - لا بد من إعادة تحقيق كتاب «البناية» من جديد، تحقيقاً علمياً، بإثبات نص المؤلف «العيني»، فالتحقيق لكتاب «البناية» طبعة «دار الكتب العلمية» تحقيق باطل ساقط ، لم تتوفر فيه شروط التحقيق العلمي ، فـ «البناية» مليئة بالتحريف والتصحيف والسقط والأخطاء ، مما يُخل بالمعنى أو يفضي إلى نتائج خاطئة، فقد تغيّر «البناية» عن ما أراده مؤلفه «العيني» ؛ لعدم فهم التحقيق والتعمق فيه، فـ «البناية» يحتاج إلى عناية ، فتكوين المحقق «شعبان» لا يساعده على تحقيقه ، فقد أفسد تراثنا الفقهي، فلم يثبت نصّ المؤلف «العيني» ؛ فـ «البناية» بهذه الصورة سقيم سيء للغاية.

٤ - العيب ليس من المؤلف «العيني» ، ولا من المطبعة «دار الكتب العلمية»، فلا يظن ذلك، وإنما من المحقق «أيمن صالح شعبان» ؛ فقد اعتمد على النسخة نفسها التي اعتمدت عليها «دار الفكر» فقط ليس إلا.

٥ - محقق «البناية» ليس من حقه تحقيق «البناية»، فيتنحى عن ذلك، ويتركه لغيره من المشفقين والحذرين على تراثنا؛ فالمحقق لم يلتزم بما يجب أن يلتزم به المحققون ، ولم يرجع إلى كتب فن التحقيق ، ولم يرجع إلى المحققين العظام الأبطال ، وعلماء التحقيق الكبار وخبرائه؛ فلم يعرف المخطوط الأم «نسخة المؤلف» أو ما ينوب عنها.

٦ - لم يرجع المحقق إلى نُسَخِ «البناية» الخطية، ولم يقابلها، فطبعة «دار الكتب العلمية» هذه رديئة، وهي تكرار عمل مسبوق ، هو طبعة «دار الفكر».

٧ - الأخطاء العلمية في طبعة «دار الفكر» و «دار الكتب العلمية» فاحشة ، والملاحظات عليهما كثيرة ، ومن ثمّ لا يُنتفع بـ «البناية»، ويقع طلاب العلم في الخطأ حالة النقل عنها.

٨ - مقابلة نُسَخِ «البناية» بعضها ببعض، خاصة المختلفة التي توصل إلى نص المؤلف «العيني» عند عدم وجود نسخة المؤلف «العيني» بينها.

٩ - طباعة «البناية» طباعة جديدة، تليق به وبمؤلفه «العيني»، فيخرج كتاب «البناية» إلى النور في الصورة التي ترضي الفقهاء والمشتغلين بقضايا الفكر والمعرفة، وليثري «البناية» بهذه الصورة المكتبة العربية والإسلامية ، ويملأ فراغاً فيها لا يتم إلا بوجوده فيها كذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١ - نسبة إلى «عينُ تاب» بلدة كبيرة حسنة، مشهورة معروفة، قرب حلب، بينها وبين أنطاكية؛ الحموي: ياقوت بن عبد الله. (ت ٦٢٦هـ). **معجم البلدان** .- بيروت: دار إحياء التراث العربي. (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م). ج ٤، ص١٧٦، واللكنوي: محمد عبد الحي (ت ١٣٠٤هـ)، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية** .- بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر. ص٨٠٢، والزركلي: خير الدين. (ت ١٣٩٦هـ). **الأعلام** .- ط٤.- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م. م ٧، ص١٦٣.

٢ - توفي بها سنة (٧٨٤هـ)؛ الأتابكي: يوسف بن تَغْرِي بَرْدي (ت ٨٧٤هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** .- ط١ .- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م). ج ١٥، ص ٢٨٦، وابن العماد: عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**.- بيروت: دار الآفاق الجديدة. ج ٧، ص ٢٨٧.

٣ - سلطان الديار المصرية، ولايته من سنة (٨٢٥هـ) إلى سنة (٨٤١هـ)، وقد عاصر «العيني» تسعة من ملوك مصر، وكان له اتصال بهم، ومن أحب معرفتهم والاستزادة في ذلك فليرجع إلى مراجعه؛ الأتابكي. **النجوم الزاهرة**: ١٥ / ٢٨٧ و ١٤ / ٧٨ - ٣٧٢، والزركلي. **الأعلام** ٧ / ١٦٣. وأيضاً العيني: محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ). **البناية شرح الهداية**؛ تحقيق: أيمن صالح شعبان .- ط١ .- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. م ١، ص٣٠، ٣١.

٤ - السيوطي: عبد الرحمن بن محمد (ت ٩١١هـ). **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**. وضع حواشيه: خليل المنصور .- ط١.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م. م ١، ص٣٩٢، وابن العماد. **شذرات الذهب** ٧ / ٤٠ و٦ / ٣١٣، ٣١٤و٧/ ٨١ و٥٥-٥٧ و٥١، ٥٢، وابن حجر: أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). **إنباء الغُمر بأبناء العُمر في التأريخ** .- ط٢ .- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م). ج ٢ ص٣٠٢، ٣٠٣ و٦/ ١٧و٥ / ١٧٠-١٧٧ و١٠٧-١٠٩، والأتابكي. **النجوم الزاهرة**: ١١/ ٢٥٩، ٢٦٠، و١٢/ ٢٨٤، ٢٨٥ و٢٨٠، ٢٨١، والحموي. **معجم البلدان** ١/ ٤٨٩.

٥ - في المقصد السابع.

٦ - انظر جميع شيوخه: العيني، محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ). **البناية في شرح الهداية**. تصحيح: المولوي محمد عمر، الشهير بناصر الإسلام الرَّامفُوري، ط١.- دار الفكر، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م. م١٠ ص ٦٠٦، ٦٠٧، **والبناية** - المحقق - ١/ ٦١-٧٤.

٧ - انظر جميع تلاميذه في المراجع رقم (٢٢) هنا.

٨ - بمعنى «عطاء الله» أو «الله أعطى»، كان يكتبها الأتراك: «تكري ويردي»؛ الزركلي. **الأعلام** ٨ /٢٢٢.

٩ - السيوطي: **حسن المحاضرة**: ١ / ٣٩٣، وابن العماد. **شذرات الذهب** ٧ / ٢٩٨، ٢٩٩ و ٣١٧، ٣١٨، و٨/١٥-١٧، والسيوطي. **نظم العقيان في أعيان الأعيان** .- بيروت: المكتبة العلمية. ص ١٥٢، والزركلي. **الأعلام** ٨/ ٢٢٢، ٢٢٣.

١٠- محمد بن إسماعيل، مات سنة (٢٥٦هـ)؛ الخطيب: أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ). **تأريخ بغداد**.- بيروت: دار الكتاب العربي. م٢، ص٤-٣٤، والزركلي.

الأعلام ٦/ ٣٤ .

١١- سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني ، مات سنة (٢٧٥هـ) ؛ المرجعان السابقان ، الأول ٩ / ٥٥ - ٥٩ ، والثاني ٣ / ١٢٢ .

١٢- أحمد بن محمد بن سلامة الحنفي، مات سنة (٣٢١هـ)؛ ابن العماد. **شذرات الذهب** ٢/ ٢٨٧ ، ٢٨٨، واللكنوي. **الفوائد البهية** ٣١-٣٤.

١٣- بعد قليل ؛ فهو المطلب الثاني .

١٤- الكنز : متن مشهور في الفقه الحنفي ، لعبد الله بن أحمد النسفي ، مات سنة (٧١٠هـ) ؛ طاش كبرى زادة : أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ). **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** .- ط١ .- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .- ج ٢، ص٩٤ و١٦٧ ، ١٦٨ ، واللكنوي. **الفوائد البهية** ١٠١ ، ١٠٢ .

١٥- أحمد بن علي بن ثعلب ، البعلبكي البغدادي ، مات سنة (٦٩٤هـ)؛ المرجع السابق ٢٦ ، ٢٧ .

١٦- النابغة المشهور، مات سنة (٧٢٨هـ)؛ ابن العماد. **شذرات الذهب** ٦/ ٨٠-٨٦، والزركلي. **الأعلام** ١/ ١٤٤.

١٧- الجَيَّاني ، مات سنة (٦٧٢هـ) ؛ المرجعان السابقان ، الأول ٥/ ٣٣٩ ، والثاني ٦/ ٢٣٣.

١٨- الشافعي ، مات سنة (٦٨١هـ) . وخَلِّكان : اسم لبعض أجداده؛ المرجعان السابقان ، الأول ٥ / ٣٧١ - ٣٧٣ ، والثاني ١ / ٢٢٠.

١٩- انظر المراجع نهاية هذا المطلب الأول.

٢٠- ابن العماد . **شذرات الذهب** ٧/٢٨٦ ، ٢٨٧ .

٢١- العيني. **البناية** - المحقق - الحاشية ١ / ١٧ .

٢٢- ابن حجر. **إنباء الغمر بأبناء العمر في التأريخ** ١ / ٣ و٦ / ١٧ ، والأتابكي. **النجوم الزاهرة** : ١٥ / ٢٨٦ - ٢٨٨، والسيوطي. **نظم العقيان** ١٧٤ ، ١٧٥ ، **وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة** : ١ / ٣٩٣ ، وطاش كبرى زادة. **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** : ١ / ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، وحاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ). **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**.- بيروت : دار العلوم الحديثة. م ١ ص٢٨٧، ٢٩٨ ، و ٢/ ٢٠٣٥، وابن العماد. **شذرات الذهب** ٧ / ٨١ و ٢٨٦ - ٢٨٨ و ٣١٧ ، ٣١٨ ، واللكنوي. **الفوائد البهية** ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، والزركلي. **الأعلام** ٧ / ١٦٣، وكحالة: عمر رضا. **معجم المؤلفين** .- بيروت : مكتبة المثنى. ودار إحياء التراث العربي. ج ١٢ ص ١٥٠ ، وأيضاً : العيني. **البناية** ١٠/ ٦٠٦ - ٦٠٩ ، والبناية - المحقق - ١ / ١٧ - ٩٤ .

٢٣- مات سنة (٥٩٣هـ) ؛ البغدادي: إسماعيل باشا. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** .- بيروت : دار العلوم الحديثة . م ١ ص ٧٠٢ ، واللكنوي. **الفوائد البهية** ١٤١ ، ١٤٢ .

٢٤- الحنفي ، مات سنة (٤٢٨هـ) ؛ المرجع السابق ٣٠ ، ٣١ ، وكحالة. **معجم المؤلفين** ١ / ٦٦ ، ٧٦ .

٢٥- مات سنة (١٨٩هـ) ؛ الخطيب. **تأريخ بغداد** ٢ / ١٧٢ - ١٨٢ ، واللكنوي . **الفوائد البهية** ١٦٣ .

٢٦- العيني. **البناية** ١/ ١١ ، والبناية - المحقق - ١ / ١٠٣ .

٢٧- المرجعان السابقان ، الأول١٠/ ٦٠٤ ، والثاني ١٣ / ٥٤٥ .

٢٨- م ٧ ، ص ١٦٣ .

٢٩- طبعة دار الفكر . (المصحَّح) .

٣٠- م ١ ، ص ٤١ .

٣١- ص ٢٠٨ .

٣٢- م ١٠ ، ص ٦١٠ (المصحَّح) .

٣٣- م ١٠ ، ص ٦٠٩ (المصحَّح) .

٣٤- م ١ ، ص ٣٩٣ .

٣٥- جـ ٧ ، ص ٢٨٧ .

٣٦- ص ٢٠٧ .

٣٧- م ١٠ ، ص ٦١٠ (المصحح) .

٣٨- جـ ١ ، ص ٢٤٣ .

٣٩- م ٢ ، ص ٢٠٣٥ .

٤٠- طاش كبرى زادة. **مفتاح السعادة**: ٢ / ٢٤٠ .

٤١- والذي يظهر لي أن في طبعتي دار الفكر ، ودار الكتب العلمية : للبناية خطأ ، والصواب : «شرف الدين ، أبو الروح ، عيسى السرماري» ؛ فهو : شرف الدين ، عيسى بن الخاص بن محمود السرماري العينتابي، مات سنة (٧٨٨هـ)؛ العيني. **البناية** ١ / ١١، ١٢ ، والبناية - المحقق - ١ / ١٠٣ و٦٦ - ٦٨ .

٤٢- تقدم ، انظر رقم(٤).

٤٣- كالسابق .

٤٤- العيني.**البناية** ١٢/١ ، والبناية - المحقق - ١٠٤/١.

٤٥- طاش كبرى زادة. **مفتاح السعادة**: ٢٣٧/٢-٢٤٦ ، وحاجي خليفة. **كشف الظنون** ٢٠٣١/٢ ، ٢٠٣٢ ، ٢٠٣٥ ، والبغدادي. **هدية العارفين** ٧٠٢/١ ، واللكنوي. **الفوائد البهية** ١٤١ ، ١٤٢، ٢٠٨ ، والعيني. **البناية** ٦١٠/١٠ و ١١/١ ، ١٢ والبناية - المحقق - ٤١/١ ، ١٠٣، ١٠٤ .

٤٦- انظر : سزكين ، فؤاد . **تأريخ التراث العربي** ، مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم. نقله إلى العربية : محمود فهمي حجازي. وراجعه : عرفة مصطفى . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م . ص٦٦ و١٠٦ و٩٤ و١١٣ و٦٦ و١٩٩، والعيني. **البناية** - المحقق- ٩٦/١، عن كارل بروكلمان، المستشرق الألماني ، صاحب كتاب «تأريخ الأدب العربي».

٤٧- انظر: سزكين ، **تأريخ التراث العربي** ، مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم ص٢٣٣.

٤٨- تقدم انظر رقم (٩).

٤٩- مات سنة (٤٨٣هـ) ، وقيل (٤٩٠هـ) ، وقيل غير ذلك ؛ اللكنوي . **الفوائد البهية** ١٥٨ ، ١٥٩ والزركلي. **الأعلام** ٣١٥/٥ .

٥٠- مات بالقاهرة سنة (١٣٨٨هـ) ؛ المرجع السابق٣٣٣/٦.

٥١- الحنفي، مات سنة (٧٦٢هـ) ؛ الأتابكي. النجوم الزاهرة : ٩/١١، واللكنوي. **الفوائد البهية** ١١٦.

٥٢- انظر رقم (١و ٢٢) هنا، وتهذيب لابن حجر العسقلاني .

٥٣- العيني. **البناية** ١٠/ ١١٦ ، والبناية - المحقق - ٤١/١ و ٩٦ و٩٦ عن القاهرة ثان ٤٠٦/١.

٥٤- العيني. **البناية** ، طبعة دار الفكر.

٥٥- المرجع السابق ٦١٠/١٠ ، ٦١١ ، والبناية - المحقق - ٩٦/١.

٥٦- م١، ص ٣ - ١٦ ، وص١٧ - ٩٤، وص ٩٥ - ١٠٠ من تلك الطبعة .

٥٧- م١٣ ، ص٥٤٥ ، ٥٤٦.

٥٨- م٣١، ص ٧٤٥- ٥٧٦، وص٦٧٦-٦٩٢.

٥٩- العيني. **البناية** - المحقق - ٩٥/١.

٦٠- المِدادُ: الذي يُكتب به ، ومَدَّ الدواة وأمَدَّها : جعل فيها مِداداً ، وسمي مِداداً لإمداده الكاتب؛ ابن منظور: محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ). **لسان العرب**، دار صادر . م٣، ص٣٩٨ مدد.

٦١- العيني. **البناية** - المحقق - ٩٦/١.

٦٢- آل شاكر : محمد عبد الله . **أوقفوا هذا العبث بالتراث** .- ط١ .- بيروت : دار المعادي ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م. ص٧، ونغش : محمد. **كيف تكتب بحثاً أو تحقق نصاً** .- ط١ .- مطبعة الحلبي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م . ص ٣١ ، وهارون : عبد السلام ؛ **تحقيق النصوص ونشرها** .- ط٢ .- القاهرة : مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ،١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م . ص ٢٧- ٢٨ و ٣٩- ٥٩، وعميرة : عبد الرحمن. **أضواء على البحث والمصادر** .- ط٢ .- جدة ، الرياض : دار عكاظ للطباعة

والنشر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م . ص٢٧، ٦٣- ٦٥ و٦٦- ٦٨، والعمري: أكرم ضياء . **دراسات تأريخية** ، مع تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات .- المدينة : ط . الجامعة الإسلامية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م . ص ٤٠، ٤٤- ٦٣ ، و٤٢، ومعروف : بشّار عوّاد. **ضبط النص والتعليق عليه** .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م . ص٧-٩، والخراط : أحمد محمد . **محاضرات في تحقيق النصوص**.- ط١ .- المنارة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م. ص ٨، ٩، ٢١- ٣٩ و٤١ - ٥٩ و ١٩، ٢٠ .

٦٣- أي تقويمه وإصلاحه ، وتدقيقه وإحكامه ؛ الجوهري : إسماعيل بن حماد. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ؛ تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار .- ط٢ .- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ج ٢ ، ص ٦٢٩ حرر ، ومجمع اللغة العربية : **المعجم الوسيط**. قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى . أحمد حسن الزيات. حامد عبد القادر. محمد علي النجار.- طهران: المكتبة العلمية . ج ١، ص١٦٥.

٦٤- العمري . **دراسات تأريخية** ٣٩، ٥٠، ٥١ ، والخراط . **محاضرات في تحقيق النصوص** ١١- ١٤، وآل شاكر . **أوقفوا هذا العبث بالتراث** ص ٧ ، ٩.

٦٥- سورة هود ، الآية ٨٨ .

٦٦- عميرة . **أضواء على البحث والمصادر** : ٥٦ ، ٦١ ، ٦٢، والعمري. **دراسات تأريخية** ٣٧ ، ٣٨ ، والندوي : أبو الحسن على الحسني. **أهمية الحضارة في تأريخ الديانات** .- ط١ .- المدينة المنورة : مكتبة الدار ، ١٤٠٢هـ . ص١٤، ١٥، وآل شاكر. **أوقفوا هذا العبث بالتراث** ، ص١٩-٢٢.

٦٧- هارون ؛ تحقيق النصوص ونشرها ٣٩، وعميرة . **أضواء على البحث والمصادر** ٥٦، ٦٢ ، والعمري . **دراسات تأريخية** ٤٤ ، ٥٠ ، ومعروف . ضبط النص والتعليق عليه ١٨، ١٩ ، وآل شاكر . **أوقفوا هذا العبث بالتراث** ٢٣-٢٤.

٦٨- سورة يوسف ، الآية ٨٦ .

٦٩- رقم(٦٤).

٧٠- هارون ؛ **تحقيق النصوص ونشرها** ٤٤، ٢٧-٨٦، وعميرة. **أضواء على البحث والمصادر** ١٥ و ٦٣-٦٨، والعمري . **دراسات تأريخية** ٤٤ - ٥٠، ونغش . **كيف تكتب بحثاً أو تحقق نصاً** ٣١-٣٧ ، ومعروف . **ضبط النص والتعليق عليه** ٧، ٨، ١٠، ١٣، ١٤، ٢٢ ، والخراط. **محاضرات في تحقيق النصوص** ٢١-٥٩ ، وآل شاكر. **أوقفوا هذا العبث بالتراث** ٧٢-٠٣، ٥٣، ٧٣، ٨٣، ٦٤، ٨٤.

٧١- انظر في المكتبات والسوق «كشاف القناع ٦م» ، و«الإنصاف ١٢م» ، و«المبسوط ١٦م» ، و«إرشاد الفحول ٢م»، و«قواطع الأدلة ٢م» . وكذلك«الحاوي ٢٠م» ، و«العزيز ١٣م» ، و«التهذيب ٨م» ، و«الكاشف ٦م». والمتخصص المتمكن يعجز عن تحقيق واحد من هذه الكتب فتأمل وتدبّر .

٧٢- هارون ؛ **تحقيق النصوص ونشرها** ٣٩-٧٦ و٨٦-٩٢ ، وعميرة . **أضواء على البحث والمصادر** ٦٧-٧٤ ، والعمري . **دراسات تأريخية** ٥٠-٦٣ ، ونغش . **كيف تكتب بحثاً أو تحقق نصاً** ٣٤-٣٧ و٣٩-٥١ و٥٩-٦٢ ، ومعروف . **ضبط النص والتعليق عليه** ١٧، ١٨، و٢٣-٢٥، والخراط . **محاضرات في تحقيق النصوص** ١٩، ٤١-٥٩ و٦١-٦٩ و٧١-٧٦، وآل شاكر . **أوقفوا هذا العبث بالتراث** ٥٠، ٥٤، ٥٧، ٥٨، ٦٣، ٦٤، ٦٦-٦٨، ٨٢.

٧٣- سورة النساء ، الآية ٢٤ .

٧٤- في الكلام بين رقمي (٦٧ و٦٨).

الأدب الإسلامي ...
مراجعات في النشأة والخصائص

ماجد بن محمد الماجد

قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الملك سعود – الرياض

مقدمة :

شهدت الساحة الأدبية الدعوة إلى قيام نظرية في الأدب الإسلامي ترتكز على تصور إسلامي في الأدب والفن عامة لمواجهة المذاهب الأدبية الوافدة ، ومضى دعاة هذه النظرية من المشتغلين بالأدب الإسلامي في التنظير لها فظهرت كتب عدة عن الأدب الإسلامي ، وانصرف فيها مؤلفوها إلى بيان أسس هذه النظرية الجديدة والتقعيد لها واستغرق ذلك جل نشاطهم التأليفي ، حتى غدت الدعوة إلى الأدب الإسلامي من أهم القضايا الأدبية في سوحنا الثقافية ، ويروم هذا البحث الوقوف على التحقق من ظروف ولادة هذا المصطلح وعلى يد من ؟ ثم دراسة بعض خصائصه ورصدت منها : الغائية ، والالتزام ، والشمولية ، والواقعية والوضوح ، والإيجابية. أما موضوعات الأدب الإسلامي ومجالاته فتتسم بشمولية لا تحد تطال الكون والطبيعة والحياة والإنسان والمجتمع والمرأة والتاريخ والموت ... وفي البحث مراجعات مع دعاة الأدب الإسلامي تعيد النظر في بعض قضاياه ورؤى دعاته ، والتي أراها تستحق الاهتمام كله إذا أريد لنظرية الأدب الإسلامي أن تنجح وتلقى القبول .

ما قبل المصطلح :

جهود رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م) :

يعد رشيد رضا من رجالات الفكر الإسلامي الحديث كما يعد أحد كتاب الموسوعات الدورية التي عرفتها حركة الأدب والصحافة العربية في أوائل القرن الماضي ومن أهم أعماله إصداره صحيفة المنار عام ١٨٩٨م ، حيث تضمنت مفاهيمه عن سبل النهضة بالعقل المسلم ولقد عاش رشيد رضا منذ أن أصدر صحيفة المنار مرحلة (جمع فيها بين العمل في ميدان الفكر الإسلامي وبين القضايا السياسية في العالم الإسلامي)[1]. وكان رضا بالإضافة إلى ذلك مهتماً بتربية طائفة من الشباب للقيام بواجب الدعوة إلى الله فأنشأ مدرسة دار الدعوة والإرشاد عام ١٣٣٠هـ . وفي المنار نشر رضا محاضراته التي يلقيها بمدرسة دار الدعوة والإرشاد ومن أهم محاضراته تلك ، دفاعه عن الإسلام والتحذير من الغرب والدفاع عن الشريعة الإسلامية وعن الجامعة الإسلامية وأوضح في كتابه (الخلافة أو الإمامة العظمى) مكانة اللغة العربية فقال : (إن اللغة رابطة من روابط الجنس... وقد كان من إصلاح الإسلام الديني والاجتماعي توحيد اللغة ، بجعل لغة هذا الدين العام لغة لجميع الأجناس التي تهتدي به)[2]. وهو ما مثّل أساساً في دعوة الأدب الإسلامي فيما بعد حين عدت العربية لغة ذلك الأدب .

جهود مصطفى صادق الرافعي (ت ١٩٣٧م):

الرافعي رائد من رواد الفكر الإسلامي ، عاش في زمن احتلت القوى الغربية الأرض الإسلامية ، ولعل قصته "الطائشة" هي أول قصص الأدب الإسلامي الحديث وسابقة على ميلاد المصطلح والدعوة إليه . كما نافح الرافعي عن اللغة العربية بوصفها لغة القرآن ، وهاجم

دعاة التجديد الذين حملوا على الإسلام واللغة العربية ، فكتب الرافعي (تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد) رداً على طه حسين وآرائه في كتاب (في الشعر الجاهلي) وفي سائر آرائه فيما يتعلق بالأدب العربي والقرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي. وفي كتابه إعجاز القرآن مباحث مهمة من أبرزها: الجنسية العربية في القرآن ، أدب القرآن ، القرآن وعلومه ، أسلوب القرآن ، البلاغة في القرآن.

وكان حسن البنا زعيم الإخوان المسلمين الذين تبنوا الدعوة إلى الأدب الإسلامي (يضع أدب الرافعي في أعلى مراتب في عصره وينظر إليه باعتباره رائد الأدب الإسلامي ويراه في مقام حسان بن ثابت في عصر النبوة.. وكان الشيخ حسن البنا يحفظ الكثير من شعر الرافعي)(٦). وهناك من يرى أن المقالة الإسلامية قد ولدت على يدي الرافعي في كتابيه (إعجاز القرآن) و (وحي القلم)(٧). يقول نجيب الكيلاني: (وكان الرافعي في عصره.. ترجماناً معبراً عن قيم الحضارة الإسلامية ومدافعاً عن حياضها.. ولقد حفل الرافعي بجزالة الأسلوب وقوته ودقة التعبير وسلامته)(٨). ويقول آخر عن الرافعي : (إنه الكاتب المسلم الأصيل الذي منح ملكة إبداعية متفوقة مكنته من التمسك بالإسلام والأصالة من ناحية.. ومكنته من أن يحقق تفرداً ملحوظاً وحداثة حقيقية غير مزيفة..)(٩).

وحين يتحدث الحسناوي عن (المقالة والخاطرة الإسلاميتين) فإنه يقول : (للأدب الإسلامي نصيب وافر من هذين اللونين فإذا تجاوزنا المقالات الفكرية ذات الطابع العلمي الموضوعي وتفرغنا للمقالات الأدبية الصرف (هكذا) برز لنا عمالقة أمثال : مصطفى صادق الرافعي في (من وحي القلم)(١٠).

محيي الدين الخطيب: (ت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م):

وهو من الذين عنوا بالفكرة الإسلامية ، وشارك في الحركات الإصلاحية الإسلامية في العصر الحديث ، كما أصدر مجلتيه "الزهراء" و" الفتح" ثم تولى عام ١٣٥٢هـ إدارة أول مجلة للإخوان المسلمين وهي : (جريدة الإخوان المسلمين) الأسبوعية ، وتولى أيضاً رئاسة تحرير مجلة الأزهر من ١٣٧٢هـ إلى ١٣٨٧هـ ، وكان من الداعين إلى تكوين جمعية الشبان المسلمين حينما استفحل أمر دعاة الإلحاد والتحلل ونشطت حركة التبشير.

محمد إقبال (١٨٧٣-١٩٣٨م):

يعد إقبال من أوائل الأدباء الذين التزموا منحى إسلامياً فيما ينتجونه من شعر مستلهماً الإسلام في وضع فلسفته المشهورة "فلسفة الذات" ، وفي وجهة التنظير دعا إقبال إلى الفن الذي يقوي الروح ويسمو بها ويدفعها إلى الحركة الإيجابية والعمل البناء والتغيير المستمر إلى الأفضل ، كما دعا إلى نبذ الفن الذي يدغدغ الغرائز ويثير الرغبات الحيوانية وينمي الأنانية والجشع والمتعة الزائلة وعدّه أدباً رخيصاً مدمراً، وكان ينقم على الحضارة الأوروبية زيفها وانحرافها وانغماسها في اللذة والمتعة . وهو في هذا يلتقي مع دعاة الادب الإسلامي .

وفي شعر إقبال يمتزج الشعر بالفلسفة وتعدد أفكاره الفلسفية شعراً، فإذا هو في معظم قصائده يصدر عن تصور إسلامي يشوبه أحياناً أخلاط من تصورات هندية وغربية تخرج به عن التصور الإسلامي المستقيم ، وأشد ما يشغله في الفكرة الإسلامية الحركة الحية في هذا الوجود وكذلك النفس الإنسانية فالإنسان عند إقبال طاقة كونية ضخمة تتمثل في كل طاقات الوجود فهو خليفة الله في الأرض، وما الحياة عند إقبال إلا اشتعال. ولذا قال عنه بعض الدارسين : (أما الشاعر المجيد والمُجيد والذي حمل لواء الشعر الإسلامي ويمكن اعتباره أباً وباعثاً للشعر الإسلامي الحق ، ثائراً على مسرح العصور الرثة متطلعاً صوب آفاق الحرية الإنسانية والحياة الكريمة...

داعياً إلى تغيير المجتمعات والشعوب الإسلامية فهو – بلا منازع – شاعر الإسلام الباكستاني محمد إقبال)[١٣].

أحمد شوقي (١٨٦٨ –١٩٣١):

كتب مؤرخو الأدب مؤلفات عدة عن شوقي (الإسلامي) منها "شوقي وشعره الإسلامي" ومنها "الدين والأخلاق في شعر شوقي" ، وكان شوقي يستلهم في قصائده أيام الإسلام الأولى متخذاً من أبطالها نماذج للقدوة كعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد – رضي الله عنهما – وكان شوقي أكثر شعراء عصره تحدثاً بأمجاد الإسلام ومبادئه ، كما أن شوقي في شعره يعرض لكثير من الموضوعات التي أثارها غيره من الكتاب في عصره فتعرض لمشكلة الحرب في الإسلام ، وإسراء الرسول ﷺ، واتخذ شوقي من مديحه للرسول ﷺ سبيلاً لإيقاظ الشعوب المسلمة رابطاً المفاهيم الإسلامية بقضايا النهضة والتحرر ، كما كان يربط تلك الموضوعات الإسلامية بالقضايا الاجتماعية مثل العدالة الاجتماعية والمساواة، ودعا شوقي إلى الوحدة بين الشعوب العربية والإسلامية متحسراً على الخلافة العثمانية فرثى سلطانها عبدالحميد موظفاً الموروث الأدبي في رثاء المدن الأندلسية ، وظهرت النزعة الإسلامية عند شوقي حينما هاجمت إيطاليا طرابلس سنة ١٣٣٦هـ فرثى شهيدها عمر المختار ، وعامة كان التصاق شوقي بالدولة العثمانية وبحركات الجهاد والتحرر في البلاد الإسلامية، إنما هو ولاء للإسلام بالدرجة الأولى ، كما يحفل معجمه الشعري بالألفاظ ذات الدلالات الدينية مثل: حكم الله ، الكتاب ، الهلال ، الصبر ، الوحي ، النبوة.

ولذا يمكننا القول حين نبحث عن الشعر الإسلامي الحديث أننا "إذا ما عدنا إلى عصرنا الحديث فأول ما نقف عنده إسلاميات شوقي ، إن إسلامياته تعد لبنة جديدة في شعرنا الإسلامي المعاصر ، استطاع من خلالها إبراز الجوانب الروحية في القيم الإسلامية[١٤]. كما أن الدعوة إلى الجامعة الإسلامية كانت (من أوائل شعر شوقي السياسي.. لأن فيها اكتمال وحدة المسلمين وقوتهم وتنبيهاً لهم من غفلتهم وإعدادهم لمواجهة الاستعمار)[١٥].

ولادة المصطلح :

اختلف دعاة الأدب الإسلامي حول تاريخ ولادة مصطلح الأدب الإسلامي في العصر الحديث، كما اختلفوا في من أول من دعا إلى الأدب الإسلامي وسأعرض جملة من آرائهم حول هذه القضية الشائكة رامياً الوصول إلى التاريخ الحقيقي لولادة مصطلح الأدب الإسلامي وكذلك من أول من ذكر (الأدب الإسلامي) ودعا إليه.

وإذ ننظر فيما كتبه أحد المعاصرين لانطلاقة الدعوة إلى الأدب الإسلامي نجده يذكر أربع شخصيات بارزة فيقول: "إن أول من كتب في هذا الموضوع – أي الأدب الإسلامي – ونبه إليه فضيلة العالم العامل الشيخ أبو الحسن الندوي وذلك حين اختير عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق حيث قدم بحثاً دعا فيه إلى إقامة أدب إسلامي والعناية به فكان أول الداعين إلى ذلك وطليعة المنبهين إليه ثم تلاه شهيد الإسلام والمسلمين سيد قطب فكتب مقالاً في هذا الموضوع تم نشره في كتابه "التاريخ.. فكرة ومنهاج" وقد نبه في هذا المقال إلى وجود أدب إسلامي متميز ودعا إليه وحض عليه ، فكان أول من استجاب لدعوته أخوه محمد قطب حيث ألف كتابه "منهج الفن الإسلامي" فكان كتابه أول كتاب نشر في هذا الموضوع ثم تلاه نجيب الكيلاني فألف كتابه "الإسلامية والمذاهب الأدبية" واتجه فيه وجهة أدبية بينما اتجه كتاب محمد قطب وجهة إسلامية بحتة ثم تلاهما عماد الدين خليل حين نشر كتابه "في النقد الإسلامي المعاصر"[١٦]. غير أن الباشا لم يأت على ذكر التاريخ مطلقاً. ويؤيده في أولية الندوي عمر عبيد حسنة في تقديمه لكتاب الكيلاني

"مدخل إلى الأدب الإسلامي" ، ولكنه يرى دعوة الندوي إنما هي كتابات تمهيدية أولى ، ثم يذكر بعد ذلك الترتيب نفسه فيذكر سيد قطب ثم محمد قطب ثم الكيلاني ثم عماد الدين خليل(١٧).

وهناك فريق آخر من المشتغلين بالأدب الإسلامي لا يقرون للندوي بالأولية بل ينسبونها لسيد قطب حين بادر إلى هذه الدعوة وشفعها بالعمل الجاد في الجريدة - جريدة الإخوان المسلمين - التي كان رأس تحريرها وكانت تصدر في القاهرة بعد زمن وجيز من قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢م وأشرف خلالها على باب الأدب فيها، وحتى تجد فكرة الأدب الإسلامي - حسب تصوره - طريقها إلى التنفيذ والبروز إلى حيز الوجود ، شرع يكتب مجموعة من المقالات حول هذا المفهوم تحت عنوان "منهج الأدب" ثم طرح الفكرة فاتحاً الباب لمناقشتها من الأدباء والنقاد ، طالباً تقديم النتاج الأدبي الذي يمثل هذا التصور الإسلامي للأدب: وقد ضُمت هذه المقالات إلى مقالات أخرى دعا فيها سيد قطب إلى كتابة التاريخ الإسلامي من جديد وتصحيح ما وقع فيه من أخطاء.. وصدرت في كتيب باسم "في التاريخ فكرة ومنهاج" عن الدار السعودية بجدة عام ١٣٧٧هـ. وفي عام ١٩٦١م أخرج سيد قطب كتابه "النقد الأدبي.. أصوله واتجاهاته" في فترة مبكرة حيث كان تاريخ الطبعة الثانية - وليست الأولى - عام ١٩٥٤م ولم أعثر على تاريخ الطبعة الأولى للكتاب وقد ورد فيه مصطلح (الأدب الإسلامي) في الصفحة ٩٩ ، وإذا ثبت تقدم تاريخ الطبعة على العام ١٩٣٦م وهو تاريخ ذكر المصطلح عند عبدالله عفيفي - كما سيأتي - فإن سيد قطب هو أول من ذكر المصطلح ثم نظر له فيما بعد ، وقد أرسى سيد قطب في هذه المقالة قواعد الأدب الإسلامي ومرتكزاته فالأدب أو الفن المنبثق من التصور الإسلامي للحياة - كما يقول - : «قد لا يحفل كثيراً بتصوير لحظات الضعف البشري... ولا يحاول أن يبررها... مهمته تغليب القوة على الضعف... يلم أحياناً بلحظات الضعف البشري ولكنه لا يلبث عندها إلا ريثما يحاول رفع البشرية... متأثراً بطبيعة التصور الإسلامي للحياة... الأدب المنبثق من التصور الإسلامي لا يهتف للكائن البشري بضعفه... إنما يهتف لهذا الكائن بأشواق الاستعلاء والطاقة... وليست الخطب الوعظية هي سبيل الأدب ، ولا هي تزوير الشخصية الإنسانية أو الواقع... الأدب أو الفن المنبثق من التصور الإسلامي أدب أو فن موجه(١٨)".

وفي عام ١٩٦١م أخرج محمد قطب كتابه "منهج الفن الإسلامي" استجابة لدعوة شقيقه بسطاً وتركيزاً لفكرته فتناول قضايا الفن بالبسط والمناقشة من وجهة نظر الإسلام فيها ثم تلاه نجيب الكيلاني فقدم عام ١٩٦٣م كتابه "الإسلامية والمذاهب الأدبية" متجهاً بدراسته وجهة نقدية جمعت بين النظرية والتطبيق.

ثم جاء عماد الدين خليل فخطا خطوة رائدة متقدمة بكتابه "في النقد الإسلامي المعاصر" عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م كما أصدر "محاولات جديدة في النقد الإسلامي" عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م(١٩).

ومما سبق يتضح أن أقدم تاريخ ذُكر في آراء الفريقين السابقين هو المتعلق بجريدة الإخوان المسلمين والتي صدرت عام ١٣٥٢هـ الموافق ١٩٣٣م وأشرف على صفحاتها الأدبية سيد قطب إلا أن الجريدة غير متوافرة بين أيدينا ولا نقطع بورود مصطلح الأدب الإسلامي في صفحاتها وإن كنا نقطع بمعالجتها للقضايا الأدبية وفق مفهوم الأدب الإسلامي.

ولذلك فإنني أميل إلى رأي آخر في هذا المجال فأنسب أولية ذكر مصطلح الأدب الإسلامي لعبدالله عفيفي وذلك خلال محاضرة له عنوانها "بين الأدب والدين" ألقاها بنادي جمعية الشبان المسلمين بالإسكندرية ونشرتها مجلة

الشبان المسلمين في عدد رمضان عام ١٣٥٥هـ الموافق ديسمبر ١٩٣٦م فقد ذكر الأدب الإسلامي مرتين الأولى حين قال : (وأدب القرآن أوضح الأدب مبدأ وأشرفه غاية ومن أولى بحسن التصوير من خالق الصور ومن أقدر على حسن التعبير من خالق الكلام! وكيف يجحد أحد غاية الأدب الإسلامي وهو قد رفع أمماً من حضيض الجهالة وظلام الضلالة إلى مرتقى السعادة في الدنيا والآخرة..)[٢٠].

والأخرى حين قال: (أما الأدب الإسلامي فقد خاطب العقول والسرائر والحس والمشاعر وجاء بالحجة الفاصلة والحكمة الفاضلة والمنطق الصادع والفكر الساطع ورفع النفوس والأرواح إلى أرفع الغايات)[٢١].

ويبدو أن غموض المضمون عند عبدالله عفيفي واختلافه التصوري لمفهوم الأدب الإسلامي الذي نادى به الندوي وسيد اللذان بشرا بالأدب الإسلامي بديلاً للأدب الموجود في الحياة الأدبية المعاصرة ولمواجهة الأدب الوافد ، هو ما حدا بدعاة الأدب الإسلامي أن يغفلوا أسبقية عبدالله عفيفي في صكّ المصطلح ، كما أن عبدالله عفيفي لم يكن من الإخوان المسلمين الذين تبنوا الدعوة إلى الأدب الإسلامي – قبل ولادة المصطلح – من ناحية المضمون ، ثم نظروا له.

كما تجدر الإشارة إلى أن من أوائل الذين استخدموا مصطلح الأدب الإسلامي في كتاباتهم صراحة محمد حسن بريغش في مقالة له نشرت في مجلة حضارة الإسلام في شهر رجب عام ١٣٨٥هـ الموافق تشرين الثاني ١٩٦٥م وكان عنوانها "نحو أدب إسلامي" وجاء في المقال : (وعلى ضوء هذه النظرة أيضاً تسهم فروع الأدب كلها في خلق الأدب الإسلامي من قصة ومسرحية شعرية ومقال وبحث ونقد.. إن الأدب الإسلامي هو الأدب الأصيل حين ينبع من التصور الإسلامي الصحيح لأنه يعبر عن روح الأمة ومشاعرها وآمالها)[٢٢].

لماذا الأدب الإسلامي ؟

شهد العالم الإسلامي في العصر الحديث أحداثاً كثيرة قاتمة موجعة ، هزت الشخصية الإسلامية في داخل الفرد حيث عانى المسلمون في أوائل القرن الماضي هجمة غربية القيم والأفكار وسمت كل مظاهر النشاط الإنساني في المجتمع الإسلامي بميسمها حتى شعر المسلم بالهوة الكبيرة بين واقعه وتطلعاته ، وعاش أزمة في تحول الميادين الحياتية من المنهج الإسلامي إلى المناهج الوافدة في الفكر والاقتصاد والسياسة والأدب والفنون. وحظي الأدب بقسط وافر من تلك المناهج الوافدة. وسُخر الأدب في معركة سلخ المجتمع الإسلامي من عقيدته وأُتخذ مطية لمذاهب فكرية غربية... فلما تنبه المسلمون إلى خطورة تغريب الحياة الأدبية والفنية بدأوا محاولات جادة لصياغة نظرية إسلامية في الأدب والفن ، وارتكزت هذه النظرية الإسلامية على المنطلقات الفكرية المرجعية للأمة وهي الكتاب والسنة وموروثها الفكري ، لأن التنظير في الإسلام لا يكون إبداعاً مقطوع الصلة بتلك المنطلقات ، وأريد لتلك النظرية أن تحدد المفهومات الأساسية والفرعية في ميدان الأدب وإبراز الرؤية الإسلامية له وتوضيح مهمة الأدب في المجتمع وبيان قيمه الفنية وتحديد ما يؤخذ من مذاهب الأدب الغربي وما يترك ، وقد كانت العقيدة الإسلامية بطبيعتها المميزة المصدر الأول للتصور الإسلامي في الأدب ، ولا سيما أن الأدب ارتبط بالعقيدة الدينية منذ ولادته ، وظل متأثراً بها في مراحل تطوره جميعها فالعقيدة هي المحضن الأول للأدب ، ومعتقد الأديب ذو أثر واضح على إنتاجه الأدبي وجزء مكين من الإطار العام لتجربته الشعورية ، ولا ينفك الأديب محتاجاً إلى مرجعية عقدية ينطلق منها، ولذا فإن الأديب (ظل مرتبطاً بالعقيدة الدينية على مدى عصور طويلة ، حتى إذا كنا في العصور الحديثة ولم يعد للسلطة الدينية وجهها الجماعي القديم ،

وراح الإنسان يبحث عن عقيدة أخرى وظل هكذا يتنقل من عقيدة إلى أخرى ، ومن ثم لم تخل أعماله الفنية في أي وقت من أن يكون تعبيراً عن عقيدة أياً كانت هذه العقيدة)[٢٣].

وقد كان لذلك التيار الذي ظهر في الأدب العربي الحديث فعبث بالمفهومات الدينية العليا ، واستخف بمقام الألوهية ونُشرت قصائد وقصص تهون من شأن القيم والمعتقدات ، وصور بعضها القدر على أنه ظلم محض ، يعاند الرغبات البشرية ويحبس لحظات السعادة عند البشر، ويصور الإنسان على أنه بطل يقوم بمغامرات ومجازفات تتحدى سلطان القدر. كان له شأنه في اعتناء دعاة الأدب الإسلامي بتبني حركة إصلاحية في النتاج الشعري والنثري والدفع بالأدب الإسلامي بديلاً لتلك التيارات أو مقاوماً لها على أقل حال. ورأى أولئك الدعاة إليه وجوب تقديم مفهوم إسلامي أدبي بديل للأدب الوافد ، وقادر على مواجهة حركة التغريب التي تعرض لها الأدب العربي ، حتى قال بعضهم: "من أجل ذلك نطلب من الأزهر ومن وزارة المعارف ومن معاهد العلم في العالم العربي والإسلامي إعداد ثقافة أدبية دينية دعامتها القرآن وغايتها استنقاذ الشباب مما أصابهم من الوهن والفتنة والانحراف فإذا ملأوا من هذا الأدب أيديهم وانهلوا منه نفوسهم وطهروا به سرائرهم علمناهم ما شئنا من أدب الآخرين[٢٤]."

وقد كان للاستعمار دوره المحفز في ظهور الأدب الإسلامي والدعوة إليه – مضموناً – لا مصطلحاً ، فقد شن الاستعمار حينذاك حرباً عواناً على القيم الإسلامية والموروثات الفكرية للأمة وكتب كرومر مندوب بريطانيا في مصر كتباً هاجم فيها المسلمين وصورهم بالهمج المتخلفين وقرن الإسلام بالرجعية وأنه لا يصلح أن يقوم على أساسه نظام اجتماعي راق.! وقد أثار هذا التهجم على الإسلام والمسلمين الأدباء والمفكرين (فدعوا إلى التمسك بقيمهم الإسلامية والحفاظ عليها وإلى الوقوف في وجه الهجوم الأوروبي)[٢٥].

وعلى إثر ذلك دبت في العالم الإسلامي بعد الحرب العالمية الأولى يقظة أدهشت الأوروبيين، وسرت في تلك اليقظة حركات الإصلاح على أساس من أحكام الإسلام ، وظهرت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية وبدأ الغليان الشعبي في مصر ينمو ويزداد حتى اندلعت ثورة ١٩١٩م ؛ التي انطلقت من جدران الأزهر واعتمد خطباؤها على المنابر في المساجد ، وفي سوريا انبعثت مقاومة الاحتلال الفرنسي من الجامع الأموي في دمشق ، ويمكننا ملاحظة بدء زيادة الاهتمام بالإسلام في الفترة ما بين ١٩٣٠ - ١٩٤٠م في الموجة الأدبية الشعبية التي كتبت عن النبي ﷺ وأبطال الإسلام وفي الفترة نفسها ظهرت عدة جمعيات دينية وأسست عدة منظمات كان لها برامج إسلامية وفي الأعوام التي مرت بين ١٩٤٥ – ١٩٥٥م كان للمنظمات الإسلامية أبرز الألوية وكان لدعوتها بتأكيد قيم العقيدة الإسلامية ومثلها رد فعل قوي[٢٦].

وكان الوعي الإسلامي يتنامى بسرعة في الجمعيات والصحف والنوادي الإسلامية التي كانت تدعو إلى الإسلام عبر الخطب والمحاضرات والكتب وتعرضه كما ينبغي أن يفهمه الرجل المعاصر نظاماً شاملاً عاماً. ذلك أن "الغُير على الثقافة الإسلامية عندما رأوا تكالب التيارات الفكرية الخطرة توشك أن تقتلع الفكر الإسلامي الأصيل تنادوا إلى الأدب الإسلامي[٢٧] ، "ويمكن حصر تلك الظروف كلها فيما يلي:

١ – الدعوة إلى العلمانية :

فلجهل كثير من أبناء المسلمين الذين تأثروا بالحضارة الغربية ، راحوا يطبقون نظرة الغرب إلى الدين على الرغم من الاختلاف الكبير بين الإسلام والكنيسة في النظر إلى العلم ومكانته ، وكان انقلاب مصطفى كمال أتاتورك في تركيا على الخلافة ثم إعلانه الجمهورية وعلمنة الدولة وحظر الدعوة الإسلامية أكبر عامل في رواج العلمانية في ذلك العصر فظهرت مؤلفات علمانية تدعو

صراحة إلى فصل الدين عن الدولة وفي مقدمتها كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبدالرازق عام ١٩٢٥م.

٢ – الدعوة إلى الإلحاد ومحاربة الإسلام:

ففي ظل الاحتلال الغربي وحمايته انطلق نفر من الكتاب المستغربين يدعون إلى مهاجمة الأديان ومحاربتها والدعوة إلى الإلحاد صراحة وزخرت الخطب السياسية والمحاضرات والكتب والجرائد والمجلات بمثل هذه الدعوات، وأنشئ ما يسمى بالمجمع الفكري وكان خطباؤه خليطاً من المسلمين واليهود والنصارى وهي فكرة ماسونية في أساسها كما صدر كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين أثار فيه الشك حول تاريخ العرب قبل المسلمين وتطرق شكه لحقائق وردت في القرآن الكريم كوجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وقال إن ورودهما في القرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي!

وصدر كتاب "اليوم والغد" لسلامة موسى يذكر فيه أن مصر جزء من أوروبا وداعياً إلى الخروج من التفكير الآسيوي – أي : الإسلامي – وإلى إبطال شريعة الإسلام في تعدد الزوجات وفي الطلاق.

وفي مجال الصحافة شاركت بعض الصحف والمجلات في حملات الدعوة إلى الإلحاد ومحاربة الإسلام وكانت مجلة الهلال أبرزها ومن ذلك افتتاحية عدد نوفمبر ١٩٢٤م لإميل زيدان حين دعا إلى الشك في كل فكر حتى في العقائد وإنكار الوحي واعتبار الأنبياء فلاسفة ومفكرين، وأسهمت (السياسة) الأسبوعية لسان حزب الأحرار الدستوريين في هذه الموجة ، وكتب رئيس تحريرها محمد حسين هيكل مقالة ناقش خلالها أسس العقائد الفرعونية مقارناً بينها وبين الأديان السماوية مشيراً إلى آثار تلك العقائد في الرسالات الإلهيّة !

٣ – حركة التنصير :

ساعد وجود قوات الاحتلال حركة التنصير فانتشر المنصرون في أنحاء العالم الإسلامي وسهل لهم المحتل وسائل الاتصال بالناس وعقدت عدة مؤتمرات تنصيرية ، أهمها مؤتمر القاهرة التنصيري عام ١٩٠٦م برئاسة القس زويمر ، ومؤتمر أدنبرج التنصيري عام ١٩١٠م ، ومؤتمر لكنو التنصيري عام ١٩١١م ، مستخدمين وسائل عدة لتحقيق أهدافهم ومن تلك الوسائل التعليم فأسسوا مدارس تنصيرية عدّة وأشهرها الجامعة الأمريكية "لأن التعليم في مدارس الإرساليات إنما هو وسيلة إلى غاية ، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية ، إن المدارس شرط أساسي لنجاح التنصير"[٢٨]. وكذلك المستشفيات التي نالت اهتماماً كبيراً من هيئات التنصير فأقاموا العيادات الطبية وعن طريقها ينصر المرضى. و (يجب على طبيب إرساليات التبشير ألا ينسى ولا في لحظة واحدة أنه منصر قبل كل شيء ثم هو طبيب بعد ذلك)[٢٩].

٤ – دعوة التغريب والتبعية لأوروبا :

ظهرت هذه الدعوة جليّة بعد الحرب العالمية الأولى مسنودة من الاحتلال والحكومات الخاضعة له ، فروج المستغربون الفكر الأوروبي والحضارة الغربية وهونوا شأن الفكر الإسلامي وتاريخه وتراثه وطعنوا في الشريعة ونادوا بفصل الدين عن الدولة ، وحاربوا الفصحى ودعوا إلى العامية وطالبوا بجعل اللغة الإنجليزية لغة التعليم ، وكانت الجامعة المصرية تقدم أطروحات ومشاركات تحمل فيها على الفكر الإسلامي ، وارتفع صوت دعاة "مصر للمصريين" والانفصال عن كل ارتباط إسلامي ، واستلهام الفكر الغربي والأخذ بالمدرسة السياسية الأوروبية بكل مفاهيمها[٣٠].

٥ – الانحلال والفساد :

يعتقد المتأثرون بالحضارة الغربية أن مظاهر التحلل من المبادئ والقيم الإسلامية والانحلال والفساد من علامات التحضر والمدنية حتى قال أحد كتّابهم : (نحن

جزء من الحضارة الغربية في الفساد ، والخمور والتحلل الخلقي)[٣١]. وباسم الحرية الشخصية انحرف كثير من الناس عن التمسك بالدين وافتتحت الحانات والملاهي في كل مكان والمراقص ودور البغاء المرخصة ، وكان للأدباء والصحفيين دور كبير في ترويج هذه المفاسد ففي الوقت الذي تدعو فيه مجلة الهلال إلى فوائد مذاهب العري وإلى اختلاط الجنسين في التعليم تكتب جريدة السياسة عن الخمر والرقص وتواصل دفاعها عن دور البغاء[٣٢].

وفي ظروف كتلك تحرك إسلاميون إصلاحيون لمواجهة المد التغريبي فصدرت صحف إسلامية تحمل لواء الأسلمة في شتى الشؤون، وظهر كتاب ومفكرون إسلاميون أسهموا بأقلامهم من خلال تلك الصحف في طرح بدايات الأدب الإسلامي مضموناً[٣٣].

٦ – الحركات الإسلامية:

إذا كانت العوامل السابقة عوامل سلب حفزت ظهور الأدب الإسلامي ، فإن الحركات الإسلامية عامل إيجابي أسهم إسهاماً مؤثراً في الدعوة إلى الأدب الإسلامي وتبنيه ثم التنظير له ، كما أن "تلك الحركات الإسلامية المعاصرة قد أسدت للإسلام والمسلمين يداً مذكورة مشكورة فهي إذا كانت لم تحقق لنفسها كسباً سياسياً في مجال الحكم فقد استطاعت أن تحقق للمسلمين كسباً فكرياً في مجال توضيح أصول الإسلام وتحديد مواقفه عن كثير من القضايا المعاصرة ، والكشف عن قدرته على استيعاب الحياة المتطورة المتجددة والتصدي لخصومه المنتشرين في كل مكان"[٣٤].

ولقد قامت تلك الجمعيات الإسلامية بجمع القوى على أسس الفكر الإسلامي لمواجهة هذا الخطر التغريبي الشامل ، وضمت في لفيفها بعض المثقفين الذين تعلموا في الغرب واستطاعوا أن يكونوا أشد وفاء لدينهم ولم يستطع منهج الاستعمار أن يخدعهم فأسهموا من خلال جمعياتهم في إغناء الفكر الإسلامي وأصدروا المجلات والصحف المنافحة عن الإسلام وشرائعه ومبادئه ونشطوا حركة الوعظ والإرشاد واهتموا بالنشاط الاجتماعي ومحاربة البدع والتدهور في سلوك الأفراد، ومن أشهر هذه الجماعات وأكبرها جماعة الإخوان المسلمين التي شملت أنشطتها أنواع النشاط الإنساني وانصب اهتمامها على محورين اثنين : الأول: الدعوة إلى الله وإعداد الدعاة، والثاني : تبني الفكر الإسلامي واتخذ دعاتها الكتاب وسيلة إعلامية تبين منهجهم وتوضح دعوتهم وتظهر إنتاجهم الفكري ، وأنشأ الإخوان المسلمون لجنة للتأليف والترجمة والنشر لاختيار أهم الكتب المؤلفة باللغات المختلفة وترجمتها إلى اللغة العربية ونشرها لتنمية ثقافة الإخوان وكذلك تلخيص الكتب والمؤلفات الإسلامية الكبرى. ومن عباءة الإخوان المسلمين خرج الأدب الإسلامي ومنظروه أمثال سيد قطب وأخيه محمد ونجيب الكيلاني وبريغش وعبدالرحمن الباشا.

في المفهوم والخصائص :

قبل أن نتحدث عن خصائص الأدب الإسلامي ، يجدر بنا أن نحدد مفهوم الأدب الإسلامي أولاً ، وكما عرفه دعاته والمشتغلون به ، ومن هذه التعاريف المتعددة نستخلص خصائص الأدب الإسلامي وأهم مقوماته وسترد تلك التعاريف حسب ترتبها التاريخي ليتضح لنا ما أضافه اللاحقون وما حذفوه ، وكيف كانت رحلة مفهوم الأدب الإسلامي عبر تعاريف أدبائه والداعين إليه.

فعبدالله عفيفي لا يقدم تعريفاً محدداً للأدب الإسلامي إذ انصرف حديثه إلى علاقة الأدب بالدين إلا أننا نراه يصف الأدب الإسلامي بأنه : "خاطب العقول والسرائر والحس والمشاعر، وجاء بالحجة الفاصلة والحكمة الفاضلة.."[٣٥] والأدب الحق عنده "نغمة من روح الله تبعث الرحمة والسكينة والمودة ، والصفاء بين الناس"[٣٦] وهو

بهذا لا يكاد يتصل بسبب قوي إلى ما يريده دعاة الأدب الإسلامي اليوم. والأدب - عموماً - عند سيد قطب "تعبير موح عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان"[٣٧] و"تعبير عن تجربة شعورية موحية"[٣٨] ثم يعرف قطب الأدب الإسلامي فيقول: "هو التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية"[٣٩] ويرى تجريد الأدب من القيم عبث، ومنصرفاً عن التعريف إلى الحديث في خصائص الأدب الإسلامي وتصوراته ، ويضيف محمد قطب أن الفن الإسلامي "ليس هو الفن الذي يتحدث عن حقائق العقيدة مبلورة في صورة فلسفية ولا هو مجموعة من الحكم والمواعظ والإرشادات وإنما هو شيء أشمل من ذلك وأوسع... إنه التعبير الجميل عن حقائق الوجود ، من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود"[٤٠].

ويشاركه محمد حسن بريغش في ذلك المفهوم فالأدب الإسلامي: "صوت الإنسان أينما كان ، لأنه صوت الفطرة الشاعرة الأصيلة... يتسم بالأصالة والجمال والحقيقة... إن الأدب الإسلامي هو الأدب الأصيل حين ينبع من التصور الإسلامي الصحيح"[٤١].

ونجيب الكيلاني لا يتحدث عن مفهوم محدد للأدب الإسلامي بل يقدمه كمذهب أدبي مستقل مُطلقاً عليه اسم "الإسلامية" مضمونه الفكري إسلامي خالص: "يستوعب الحياة كلها... يعبر بصدق وأمانة عن آمال الإنسان ، لا يعرف العبث... غير معزول عن الحياة والواقع... هو أدب الضمير الحي... أدب الوضوح... الصادر عن ذات نعمت باليقين"[٤٢]. ويضيف الكيلاني صفة مهمة جداً لمفهوم الأدب الإسلامي في كتابه "مدخل إلى الأدب الإسلامي" ، الذي صدر عام ١٤٠٧هـ حين يرى أن الأدب الإسلامي إيضاح لأيديولوجية الأدب العربي والفارسي "ولهذا فإن إحياء مصطلح الأدب الإسلامي إنما هو في الواقع إيضاح لأيديولوجية ما نسميه بالأدب العربي أو الفارسي أو غيرهما... فالأدب العربي إسلامي بالضرورة ؛ لأنه ترجمان الحضارة ، ولأنه وعاء للتبادلات الفنية والفلسفية العلمية.."[٤٣].

ومما نستنتجه من نص الكيلاني أن مصطلح (الإسلامية) لم ينجح ولم يكتب له الشيوع والقبول عند دعاة الأدب الإسلامي ، فضلاً عن الأوساط الأدبية الأخرى حتى أنه لم يعد لاستعماله في كتابه (مدخل إلى الأدب الإسلامي). ومن تلك التعاريف التي كتبها سيد قطب وأخوه محمد والكيلاني وبريغش ، تحدد مفهوم الأدب الإسلامي وصار كل المشتغلين بالأدب الإسلامي ودعاته لا يكادون يخرجون عنها ، فالأدب الإسلامي عند عبدالقدوس أبو صالح "التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون في حدود التصور الإسلامي لها"[٤٤] وعند القاعود "الصياغة الفنية الناضجة التي تعتمد على موهبة أدبية حقيقية من خلال منظور إسلامي خالص[٤٥] ، وعبدالباسط بدر يراه "كل عمل أدبي يعرض قضية ما من وجهة نظر إسلامية"[٤٦] ، وعبدالرحمن الباشا يراه "التعبير الفعلي الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب ، تعبير ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته ولا يجافي القيم الإسلامية"[٤٧].

ويقول عدنان النحوي : "الأدب الإسلامي هو ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة في فطرة الإنسان... حين تدفع الموهبة الأدبية هذه الومضة موضوعاً فنياً ينطلق على أسلوب التعبير اللغة ، ممتداً في أغوار النفس الإنسانية والحياة والكون والدنيا والآخرة مع عناصره الفنية التي يهب كلٌ منها الأسلوب قدراً من الجمال الفني..."[٤٨]. وهذه التعاريف السابقة لا تكاد تضيف جديداً في مفهوم الأدب الإسلامي الذي تم تحديده في كتابات الرواد الذين أشرت إليهم آنفاً.

ومن النصوص السابقة والمتشابهة يمكن أن

نستخلص أهم خصائص الأدب الإسلامي عند دعاته:

أولاً - الغائية:

فالأدب الإسلامي أدب غائي موجه ، فالأديب المسلم لا يجعل فنية الأدب غاية بل يتخذ الأدب وسيلة إلى غاية هي ترسيخ الإيمان بالله عز وجل في الصدور وتأصيل القيم الفاضلة في النفوس وتفجير ما يكمن في الذات الإنسانية من طاقات الخير والصلاح ، والأدب الإسلامي ليس عبثياً "فليست الحياة والوجود والقدر والولادة والموت عبثاً ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً** ﴾(٤٩) ، فالدنيا امتحان وتجربة ودار أعمال ، خلقت لهدف وغاية ورسم لها الخالق سنناً وشرائع ونظاماً وقيماً ، والمؤمن دون شك يستطيع أن يستوعب دوره الصحيح في هذه الحياة وأن يمضي على النهج الذي اختطته يد العناية الإلهية فيسعد وينجو ويفوز)(٥٠). فالأدب عند دعاة الأدب الإسلامي لا يمكن أن يكون بلا غاية ولا أن يكون هدفاً لذاته ، كما لا يقبلون أن يغدو الأدب فناً لفن ، لأن الإسلام الذي جعل للحياة كلها هدفاً لغاية أعظم منها لا يستثني الأدب. ولذا يرون أن الأديب المسلم لا يكتب إلا بعد أن يجيب عن هذا السؤال : لماذا أكتب؟ ويحدد صالح بيلو غاية الأديب المسلم فيذكر أن غايته "تغيير الحياة وتطويرها وترقيتها إلى المستوى الأصلح والأجمل عن طريق بذر العقيدة وترسيخها في الصدور ، وغرس مبادئ الخير والجمال في النفوس والتباعد عن الرذيلة والقبح"(٥١).

ثانياً- الالتزام :

والأدب الإسلامي أدب ملتزم بالتصور الإسلامي ، غير أن هذا الالتزام لدى دعاة الأدب الإسلامي طوعي عفوي نابع من إيمان الأديب المسلم بعقيدته فهو ليس إلزاماً قسرياً يُفرض على الأديب من الخارج كما في الواقعية الاشتراكية كما أنه ليس التزاماً سلبياً هداماً كما في الالتزام الوجودي ، وهذا الالتزام عند الأديب المسلم لا يضيق مجال التجربة الأدبية كما يعتقد ، وإنما يجب أن يَسِم كلَّ موضوع تناوله الأديب بميسم التصور الإسلامي ، ويبقى مجال الاختيار مفتوحاً أمام الأديب المسلم ، فهو حين يعالج أزمة نفسية أو مشكلة اجتماعية لا يخرج عن دائرة الالتزام بمعتقداته الإسلامية التي آمن بها ولاسيما أن الأديب عند دعاة الأدب الإسلامي لا ينفك ملتزماً بأيديولوجية يصدر من خلالها ، إسلامية أو غيرها ، يقول أحد الأدباء الإسلاميين: "لا أستطيع أن أتصور أديباً على الحقيقة غير ملتزم ، لأني أفهم الالتزام صدق التعبير عن واقع النفس والفكر ومن هنا يكون الالتزام انعكاساً للذات... وتتفاوت ألوان الالتزام فيكون أديباً صالحاً وآخر فاسداً وكل منهما ملتزم في نطاق صدقه في التعبير عن ذاته"(٥٢).

وبما أن المجتمع الإسلامي مجتمع يقوم على العقيدة والأخلاق أولاً فقد صار من واجبات الأديب المسلم أن يراعي هذه الحقيقة الأولى والأساسية وأن يضع في اعتباره أنه أديب مسلم لأن "الفنان الحقيقي هو ذلك الذي يمثل بفنه مثله العليا... وينظر دائماً إلى عالمه بالمقارنة مع مثاله وقيمه ومبادئه"(٥٣).

ومن ثم يشدد دعاة الأدب الإسلاميين على أن الأديب المسلم ينبغي ألا يخرج على قيمه العليا ولا أن يجرحها ويؤذيها ، وهذه هي أدنى درجات الالتزام ، وأما الدرجة الأعلى والأرقى لديهم فهي أن يبرز هذه القيم العقدية والأخلاقية السائدة في مجتمعه فيحببها ويشيد بها، نائياً عن الموهبة التقريرية الفجة ، ومبتعداً عن الوعظية والهتافية وطرائق المصلح الاجتماعي ، وإن وقع الأديب الإسلامي في شيء من هذا فقد أخفق كل الإخفاق فـ "الالتزام الإسلامي لا يعفي الأديب من شروط الجودة الفنية ومقاييس الجمال الأدبي ، فمقياس الجودة والجمال ثابت لا يتغير سواء أكان الأديب ملتزماً (إسلامياً) أم غير

ملتزم ، فليست الغاية من الالتزام ضعف الأدب وركاكته وجفافه مهما يكن سمو مضمونه وطهارة ما يدعو إليه ، بل غايته التعبير الجميل الصادق عن النظرة الإسلامية المثالية ليكون المضمون والشكل على السواء متعة للعقل والوجدان وزاداً للتذوق"(٥٤).

ولا يقاس الالتزام في الأدب الإسلامي لدى دعاته ومنظريه بالمقاييس التي وضعتها المذاهب المادية الأخرى بل هو نابع من العقيدة التي آمن بها ، فحتى المذاهب المادية تلك ترفض أن يسلك أدباؤها سلوكاً يتناقض مع ما يؤمنون به.

ويرى أولئك المنظرون أن من يحصر الالتزام في الأدب الإسلامي في التعبير عن قضايا المسلمين ضمن المفاهيم الإسلامية ، أو انسجام العمل الأدبي مع التصور الإسلامي – مخطئ وواهم؛ لأن في ذلك تفريغاً للإسلام من شموليته ومن هيمنة التصور الإسلامي على كل نشاط الفرد المسلم مهما تنوع وتشعب، وبعبارة أخرى فإن دعاة الأدب الإسلامي يؤكدون على أن الالتزام جزء من عملية الإلهام الفني وليس – بالضرورة – خاضعاً لعنصر الاختيار المتعمد ، إنه جزء من نسيج التجربة الأدبية.

كما يؤكد منظرو الأدب الإسلامي أنهم ليسوا بدعاً في ربط الأدب بالدين ، ويضربون مثلاً بالأدباء النصارى الذين كان لنصرانيتهم تأثيرها القوي في مذاهبهم الأدبية، كالشاعر "ملتون" في "الفردوس المفقود" وسيادة نظرية العدالة الشعرية التي تقوم على ترسم المثل الأعلى في الأخلاق ، في القرن الثامن عشر الميلادي ، وتأكيد "جون ستيورات مل" على النزعة الأخلاقية المرتبطة بالدين النصراني في الفنون ، ومهاجمة "إليوت" الأدب الحديث؛ لأنه يقدم تجارب بعيدة عن الإيمان والأخلاق(٥٥) .

ثالثاً – الشمولية:

ينبه دعاة الأدب الإسلامي إلى أن الأدب الذي يريدون ينظر إلى النفس الإنسانية نظرة شاملة متكاملة باعتبار الإنسان جسداً وروحاً معاً. ويتناوله تناولاً شاملاً بكل ما فيه، ومن كل جوانبه وزواياه ، ولا ينظر إلى الجانب المادي وحده بمعزل عن الروح ؛ لأن تصوير النفس الإنسانية بهذه الصورة إنما هو بخس لحقيقتها وتشويه لصورتها ولذلك يريدون من الأدب الإسلامي أن يعرض صورة الإنسان من جميع جوانبها المادية والمعنوية. يصورها بكل قيمها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية ممتزجة متداخلة ، معتمداً على الجانب الروحي ليرتفع بالإنسان ويشيد به. فالأدب الإسلامي لديهم يستوعب الحياة كلها ويتناول شتى قضاياها ومظاهرها ومشاكلها وفق التصور الإسلامي. كما "يعنى عناية خاصة بحقيقة الشمول والتكامل في النفس البشرية فلا يجب – مثلاً – أن يعرض الجانب المادي من الإنسان وحده بمعزل عن الجانب الروحي، ولا يجب أن تعرض الجانب المادي من الإنسان وحده بمعزل عن الجانب الروحي ولا يجب أن تعرض الصراعات الاقتصادية والطبقية كأنها الحقيقة الكاملة للحياة البشرية وتغفل بجانبها القيم المعنوية والروحية والأشواق الإنسانية العليا ، لأن ذلك بتر للحقيقة البشرية ولصورتها"(٥٦).

رابعاً– الواقعية:

ويدعو منظرو الأدب الإسلامي إلى الواقعية ولكنها ليست واقعية المذاهب الفنية المعاصرة التي تحصر واقع الإنسان في حيز ضيق محدود وتنسى الواقع الإنساني الكبير الذي يتضمن حياة الإنسان كلها داخلياً وخارجياً زماناً ومكاناً ، وروحاً ومادة؛ لأن الأدب الإسلامي ينظر إلى الواقع نظرة أعم وأشمل ، إن الأدب الإسلامي لديهم يصور كل ما يحدث في حياة البشر من تطورات اجتماعية واقتصادية وفكرية وروحية مراعياً مكانة الفرد ومكانة الجماعة ، وجوانب القوة والضعف معاً ، وهو في ذلك كله

لا يقدم صورة مزورة للبشر سلباً أو إيجاباً ، بل هو يحثها إلى الإيجابية ولا يدلس على قارئيه فيجعل من الشر خيراً ومن الرذيلة فضيلة ، إنه لا يسلط الضوء على جوانب الشر في الإنسان ويحصر همه فيها ، إنه يعني أولاً بالجوانب الخيِّرة الفاضلة في الفرد والمجتمع. ويرسم ما في الفرد من نقائص وعيوب وضعف وهبوط على أنها شر وسفول ، لا على أنها جبلة وصفات لا محيد عنها ولا أمل في الفكاك منها. إن الواقعية الإسلامية قد تلتقي مع الواقعية الاشتراكية في جوانب ظاهرية ولكنها تختلف عنها في الجذور ، إنهما تنفصلان عند الأساس الأكثر حسماً، الأساس الروحي وبينما يصر الواقعيون الاشتراكيون على تخليص الواقعية من أوهام ما وراء الواقع ، تصر الواقعية الإسلامية على أن الإنسان ليس عقلاً فقط أو مادة فقط ، إنه روح ومادة ، وعقل وما وراء العقل ، إن الواقع الأرضي والحقيقة السماوية يتعاضدان لقيام الواقعية الإسلامية في الأدب"(٥٧).

خامساً- الوضوح:

ولا غرو في احتفاء دعاة الأدب الإسلامي بالوضوح، إذ كانت الحركات الإسلامية التي تبنت الأدب الإسلامي ونظر له رجالها وسيلة لنشر المضامين الدعوية التي يسعون إلى تبليغها للمتلقين، وهي غاية تتعطل بمجافاة الوضوح، ولأجل هذا دأب دعاة الأدب الإسلامي على القول إن "الأدب الإسلامي أدب الوضوح فلا يجنح إلى إبهام مضلل أو سوداوية محيرة قاتلة ، أو يأس مدمر ، فالوضوح هو الأمان الذي يأوي إليه الحائرون والتائهون في بيداء الحياة المحرقة المخيفة)(٥٨). ويقول آخر: (والوضوح من لوازم الفكر البينة والرؤية الواضحة الجليلة وهو يُكسب الكلام إشراقاً مميزاً ، وشفافية يحول المعنى فيها دون التواء.. ولا محيص عن الالتزام بأسلوب هذه الصفات: الوضوح وبساطة التركيب)(٥٩).

غير أننا لا نجد ذلك الكلام الفصل لدى دعاة الأدب الإسلامي بين الوضوح والانكشاف، وتحول النص الفني إلى نص خطابي، ولذا لا يبدو نتاجاً عجباً أن يقع الأديب المسلم في وضوحات باردة ، وفي المقابل فإن مما أغرى دعاة الأدب الإسلامي بالوضوح هو من الغموض الذي تتسم به طرائق الحداثيين في الكتابة الأدبية ، الموغلة في الرمز والتواري.

وكان جديراً بمنظري الأدب الإسلامي أن يستبدلوا بالوضوح مصطلح البيان حيث التعبير المشرق وجودة السبك وروعة الصياغة ودقة التصوير للتجربة الشعورية التي تبعث في متلقيها الهزة والانفعال وهذا لا يقتضي بالطبع أن يغمض الأديب ويموه ، ولا أن يُلقي ظلالاً سوداء نشداناً للفنية كما قد يُظن وهو ما تنبه إليه دعاة الأدب الإسلامي فأشاروا إلى أن كبار الأدباء في الماضي والحاضر لم يصلوا إلى القمة بالغموض ، بل كان البيان لحمة أعمالهم ، بياناً حافلاً بالتجربة والإبداع ويمجمل من القول " أن يبتعد الأديب المسلم عن الخطابية ومباشرة الأداء وتلقائية الطرح الفني حتى ينهض العمل الفني دون أن يتعرض للهبوط أو تدني المستوى"(٦٠).

سادساً - الإيجابية:

ويرى دعاة الأدب الإسلامي أن أدبهم أدب إيجابي حيوي متطور ، وتلك صفات استقاها من التصور الإسلامي عامة ، فهو لا يعرف السلبية والاستسلام ، مع أنه يعترف بضعف الإنسان وسقوطه وانزلاقاته «وخلق الإنسان ضعيفاً»(٦١) ويؤكدون على أن الأدب الإسلامي ينمي استعلاء الإنسان ويحثه على النهوض والسمو ، يغذي قوته على التغيير والتبديل ، ويشكل منه مخلوقاً إيجابياً فاعلاً. وهذا لا يعني لديهم بالطبع أن يقتصر الأدب الإسلامي على تصوير الإنسان في شأنه الإيجابي بل إن الأدب الإسلامي يتناول الضعف والهبوط الذي

يعتري الفرد أو المجتمع أو الأمة كلها ، يصوره ويعالجه ولكن ذلك عند أولئك الدعاة لا يغدو هدفاً في حد ذاته ، فالعبرة في الأدب الإسلامي إنما هي بخاتمة المطاف ، ويشددون على أن الأدب الإسلامي لا ينظر إلى الهبوط والضعف باعتبارهما بطولة تستحق الإعجاب والاقتداء ، ولا حتى باعتبار المجرم ضحية كما تفعل المذاهب الأخرى، لتسوغ للمجرم جريمته مقدمة له المسوغات من ظروف بيئية واجتماعية واقتصادية اضطرته لاقتراف جريمته! وبعامة فإن دعاة الأدب الإسلامي ينظرون له بوصفه أدباً موجهاً ، أدباً تربوياً لا يرضى بسلبية الواقع ، ومهمة الأديب عندهم أن يغير السلبية ويحيلها إيجابية وخيراً "وبذا يخرج من دائرة الأدب الإسلامي كلُّ ما يدعو إلى الشر أو العنف أو الرذيلة أو الانحطاط الخلقي والسلوكي"(٦٢).

والأدب الإسلامي ليس أدب الدموع والآلام، ولا هو يشيع أحاسيس القلق والحزن والحرمان واليأس والتهوين من شأن الكفاح والعطاء ، وأما الإيجابية فأنها لا تعني كما يقول دعاة الأدب الإسلامي تجاهل آلام البشرية ولا رسم صورة مزيفة للعالم، ملؤها التفاؤل التام والانتصار على كل القوى التي تعترض الإنسان ، ففي كلتا الحالين مجافاة للحقيقة ، ولذا يرون أن من إيجابية الأدب الإسلامي الأخذ بيد المتألمين واليائسين والمخطئين والمرضى نحو عالم الانطلاق والبسمة والسعادة ، ويفهمون الإيجابية على أنها لا تعرض الألم غاية في حد ذاته ، ولا هي - أيضاً - تجتثه من الوجود الإنساني ، وبذلك يتم للأدب الإسلامي إيجابيته وخيريته .

سابعاً - الموضوعية :

وفي الشأن الموضوعاتي ينفي دعاة الأدب الإسلامي ما يصم به مخالفوهم الأدب الإسلامي بضيق المجال وقلة الموضوعات التي يُسمح للأديب الإسلامي بالتعبير عنها ، ويؤكدون دوماً على أن مجالات الأدب الإسلامي فسيحة جداً تشمل كل حقائق الوجود فالأدب الإسلامي ليس الأدب الذي يتحدث عن حقائق العقيدة وليس أدب المواعظ والإرشادات ، وليس ضرورياً أن يكون المضمون الإسلامي تعبيراً عن الإسلام وأحكامه وشخصياته وتاريخه وإن جاز أن يتناولها بالطبع. إن الأدب الإسلامي لدى دعاته يعبر عن الكون والوجود والحياة ، يتأمل في النفس الإنسانية ويشخص الظواهر البيئية والطبيعية ، يقيم الحياة ومعطياتها ، كل ذلك وغيره ينبع من نظرة إيمانية ورؤية إسلامية ، والأدب الإسلامي يوظف المواقف الإسلامية بصفتها مواقف إنسانية ، ويجسد الرمز التاريخي ويحيي الشخصيات ، كما يطوع الأدب الإسلامي النظريات العلمية ويعرضها بشكل أدبي حي. أي إن رسالة الأديب الإسلامي إخلاقية وفنية معاً. و(يخطئ من يظن أن الأدب الإسلامي قاصراً على ما يسمى بأدب الدعوة الإسلامية ، كما يخطئ من يظن أنه ليس للأديب المسلم أن يعبر عن تجاربه الذاتية وأن يبدع في سائر الأغراض الشعرية والفنون الأدبية المختلفة)(٦٣).

ويحذر دعاة الأدب الإسلامي من خطورة أن ينحصر الأديب الإسلامي في موضوعات التاريخ الإسلامي وحده ، ولذا فلا عجب أن يقدم الأديب المسلم عملاً أدبياً تدور أحداثه في عصر سابق للإسلام وفي عالم غير عالم الإسلام دون أن ترد خلالها إشارة للإسلام من قريب أو من بعيد غير أنك تجدها بعد ذلك منبثقة من صميم التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون. ومن هنا يكون الأدب الإسلامي عالمياً حين يجعل من تراث الإنسانية كلها مصدراً لموضوعاته شريطة أن تتم معالجة هذه الموضوعات من وجهة النظر الإسلامية.

وبمجمل من القول فإن مجالات الفن الإسلامي هي كل مجالات الوجود مرسومة من خلال النفس المؤمنة ، يتحدث عن الطبيعة الحية المخلوقة ، فيتحدث عن الخلائق

الحية من حيوان وطير ونبات ويحس بالتعاطف والمودة ، يتحدث عن الإنسان باعتباره خليفة الله في الأرض لا إنه إله أو شبه إله ، كما إنه ليس خاضعاً لقوى الاقتصاد والمادة ومختلف الجبريات الأرضية ، وينظر الأديب المسلم إلى الإنسان عنصراً إيجابياً في هذا الوجود فيه الخير والشر ، القوة والضعف ، وفي ميدان الصراع بين الإنسان والشيطان يجد الأديب المسلم آفاقاً واسعة وجوانب رائعة وحقولاً خصبة للإبداع.

ولا ينفك دعاة الأدب الإسلامي يؤكدون أن أدبهم لا يحارب الحب ولا يقتل غريزة الجنس ولكنه يريد لهذه الغريزة التنظيم والتهذيب ، متخذاً من سورة يوسف النموذج الأدبي الأول في تصوير علاقة الرجل بالمرأة لذلك فالأدب الإسلامي لا يقف عند لحظة الجنس يصورها تصوير المعجب بها ، المهتز لها ، المتفنن في تسجيل وقائعها.. فهي لحظة هبوط لا لحظة ارتفاع ، فالأدب الإسلامي لدى دعاته موكل بتسجيل خصائص الإنسان التي تميز بها عن سائر الكائنات ، ولحظة الجنس ليست في سبيل توكيد حقيقة الإنسان بل تؤكد الجانب الحيواني منه . كما أن الأدب الإسلامي لدى دعاته يعبر عن الحب الذي يشمل الحب الإلهي ، والحب الإنساني وليس الحب الجنسي فقط ، ويعبر عن الكره في مجاله الأكبر صراع الشيطان وصراع البشر ، وصراع القيم والقوى ، ويشترط منظرو الأدب الإسلامي ألا ينقلب هذا التعبير إلى وعظ مذهبي كالذي يمارسه أدباء الصراع الطبقي، والتفسير المادي للتاريخ.

أي إن مجالات الأدب الإسلامي وموضوعاته وفق التنظير السالف تكاد لا تحصر ، وللأديب المسلم أن يختار منها ما يشاء ولكنه مقيد بقيد واحد عند دعاة الأدب الإسلامي وهو أن ينبثق من التصور الإسلامي للوجود أو على الأقل ألا يصطدم بالمفاهيم الإسلامية عن الكون والحياة والإنسان ، وفق منطلق أيديولوجي أساسه أن التصور الإسلامي هو التصور الصحيح المنسجم مع فطرة الكون والإنسان وكل تصور يصطدم به أو يعارضه فهو تصور منحرف خاطئ ، يقول محمد قطب عن حرية الأديب المسلم وتعدد الموضوعات أمامه: "هو حر في اختيار النسب والأبعاد والظلال في كل لوحة مفردة يرسمها ، ما دام لا يخرج عن النسب العامة التي ترسمها مفاهيم القرآن الكونية الكبيرة"(٦٤).

وبهذه التصورات الإسلامية يوسع دعاة الأدب الإسلامي آفاق القول أمام الأديب المسلم وهي في الوقت نفسه توسع من مجالات نشاطه واهتماماته ، فيرى مشكلات وطنه جزءاً من مشكلات العالم كله ، ولهذا فالأديب المسلم يهمه أن تسود العالم عقيدة صحيحة غير منحرفة ، وهو أديب يتبنى كل قضايا العدل والعدالة في العالم ويقف إلى جوار المظلومين والبائسين ، لا يقر العدوان ، ويعتبر النضال في دحره جهاداً مقدساً. يقول محمد حسن بريغش : "إن الحياة كلها والفطرة الإنسانية ، والطبيعة الواسعة عالم رحب ، وحافز قوي للأدب الإسلامي"(٦٥).

ويقول عبدالرحمن رأفت الباشا : (ثم إن موضوع هذا الأدب – أي الأدب الإسلامي – رحب الآفاق متعدد الجوانب فهو يشمل الإنسان بعواطفه وأشواقه وآماله وآلامه ، وحسناته وسيئاته ، ودنياه وآخرته ، كما يشمل الحياة بكل ما فيها من سعادة وشقاء ومقومات وقيم ، وهو يشتمل على الكون بره وبحره وأرضه وسمائه ، كما يشتمل على الطبيعة بطيرها السابح وحيوانها السارح وربيعها الجميل ، وشتائها العاصف)(٦٦).

وفي شأن المرأة يتيح دعاة الأدب الإسلامي للأديب أن يتناول المرأة من شتى جوانب حياتها دون أن ينزع بالقارئ أو المتلقي منازع الفتنة والإثارة والإغراء بالمعصية،

ويريد دعاة الأدب الإسلامي أن تكون شخصية المرأة في الأدب الإسلامي رمزاً للطهر والنقاء تقاوم الإغراء وتتجنب السقوط ، وحتى حين يصور الأديب المسلم المرأة وهي تقف بين نداء دينها وبين وسوسة الشيطان وهوى النفس ، وحين يصورها منحرفة فإنه يختار ما يثير الرفض والإدانة في وعي القارئ لهذا المسلك المعيب. وكذلك يريدون لأديبهم الإسلامي حين يعرض لعنصر المجتمع وفئاته الأخرى ألا ينظر إلى المجتمع نظرة دونية مهما تعاورت ذلك المجتمع معاول الفساد والانحلال والضلال، فالأدب الإسلامي لديهم يهدف إلى تحقيق السعادة والتوازن لدى الأفراد واعتدال الموازين بين فئات المجتمع والانطلاق من موقف إيماني صحيح ، والنظر إلى مظاهر الفساد في الحياة الاجتماعية نظرة الطبيب لمريضه فيتولد الموقف الإيجابي ، وبه يغدو تناول الأديب المسلم تناولاً بناء يمثل التغيير للأفضل.

وفي قضية الموت يدعو منظرو الأدب الإسلامي إلى تجاوز النظرات الفزعة من الموت لدى المذاهب المعاصرة التي ترى الموت نهاية أبدية ورمزاً للعدم والتلاشي ، أورثت القلق والاغتراب ، ورؤيتهم البديلة في مقابل ذلك أن الموت قنطرة يعبر عليها الإنسان من الدنيا إلى الآخرة في حياة متصلة لا تنقطع. ويفتح دعاة الأدب الإسلامي الباب على مصراعيه للأدباء ليشمل أدبهم الموضوعات كافة لأن (الموضوع الفني في الأدب الإسلامي ثمرة للفكر المؤمن والعاطفة المؤمنة والموهبة المؤمنة حينما تكون هذه العناصر منبثقة من التصور الإسلامي ، ومنها ينطلق الأديب المسلم ليطرق كافة الموضوعات في مجال واسع ممتد في بعد إنساني كبير وامتداد كوني واسع)(٦٧).

مراجعات مع دعاة الأدب الإسلامي :

بعد قراءات متعددة في معظم كتب الأدب الإسلامي وكل ما توافر بين يدي من المقالات والندوات وحتى الشرائط التسجيلية لمحاضرات دعاة الأدب الإسلامي ، تراكمت لدي الكثير مما أود تسميته (مراجعات) في الأدب الإسلامي عموماً ، بعد أثارت تلك القراءات المكثفة عدداً من المساءلات أرى مشروعية المراجعة فيها مع دعاة الأدب الإسلامي وأهمها :

١ - المضمونية :

هل الأدب الإسلامي أدب مضموني فقط أم شكلي فقط أم هو أدب مضموني وشكلي معاً؟!

إن دعاة الأدب الإسلامي يؤكدون دوماً على أنه أدب مضموني- شكلي ، يهتم بالمضمون اهتماماً بالغاً ، فمن خلاله تبرز خصائص الأدب الإسلامي وتتميز شخصية الأديب المسلم عن غيره ، وهو أيضاً يهتم بالشكل فيحافظ على الأشكال الفنية ، ويلتزم بها ولا يقبل أن تختل أو تُنتهك ، هذا هو المنهج المعلن ، والمتبع تنظيرياً ، ولكن الواقع العملي لدى بعض دعاة الأدب الإسلامي حينما يتصدى للكتابة أو النقد فإنه يغفل الشكل وينكب على المضمون فلا يخرج عنه إلا نادراً ، وإن حدث خروج فشيء يسير ، ولا ريب أن ثراء المضمون وحيويته لا تغني عن لزومية الشكل الفني في العمل الأدبي وإن فعل الأديب ذلك فأهمل الشكل أو خرج عليه فستزول الفنية عن عمله الأدبي مهما بلغ سمو المضمون ، فالشكل الفني هو الذي يقرر أصالة العمل الأدبي فنياً وليس المضمون، ومن خلاله يمتلك العمل الأدبي مشروعية الانتساب إلى الأشكال الأدبية المعروفة كالقصة والمسرحية والقصيدة ولذا فإن على دعاة الأدب الإسلامي أن يعيدوا النظر في موقفهم من شكل العمل الفني، وموقعه بين أسس نظرية الأدب الإسلامي. ولا سيما أنهم قد فرغوا من المضمون في وقت مبكر ثم أنه لا تعارض بين الشكل والمضمون ، ولهم أن يستبعدوا من صفات الشكل الأدبي ما يتصادم مع مرتكزاتهم في نظرية الأدب الإسلامي. وفي مجال الإسهام النقدي أرى من

الخطأ أن يحصر الناقد الإسلامي قراءته النقدية في المخالفات الشرعية والأخلاقية - وهي حق - غداة النظر في العمل الفني ، وتلك مهمة لا يختص بها الناقد وحده فللدعاة وللمصلحين والاجتماعيين والتربويين القدرة بل والمبادرة إلى هذا ، فهي ليست خصيصته الفنية التي ينتظرها المهتم بالشأن النقدي من دعاة الأدب الإسلامي أولاً ، فضلاً عن أصناف المتلقين الأخرى.

ثم إن الشكل الفني قابل للنمو والإضافة والتجديد فالمسرحية مثلاً حدثت لها تغيرات كثيرة في تاريخها الطويل ، وكذلك الأشكال الروائية في القصة والرواية.. فلماذا لا يقدم الإسلاميون جديدهم وإضافتهم في مجال الأشكال الفنية بدلاً من إهمالها والانصراف عنها لما يحسبونه معارضاً لرؤيتهم الأدبية ، أو لانشغالهم ببريق المضمون الذي حظي بنصيب وافر من كتاباتهم وتنظيراتهم.

ولقد بات من مسلمات النقد الحديث أن الموضوع قد يحدد الشكل الأدبي الذي يخرج فيه ، وأنه لا يمكن فصل الشكل عن المضمون. ويسري أثر اطراح الشكل لدى دعاة الأدب الإسلامي إلى دراستهم النقدية فتراهم يعنون بمضمون العمل الأدبي وحده ويهملون الشكل الأدبي الذي ينبغي تناوله من زاوية فنية صرفة وتبين مدى نجاح الكاتب في إظهار العمل الأدبي بشكل فني يحمل المضمون ويتوافق معه.

وقد يحتج دعاة الأدب الإسلامي بأن الأشكال الفنية تمنع الأديب من الانطلاق وتقيده بمواصفات الشكل الفني وتعقيداته ، وليس هذا صحيحاً ، فالأديب الحق هو من يخرج العمل الأدبي بكل مستلزماته إلى الوجود ، فتظل القصة قصة ، فلا تتحول إلى مقالة ، ولا الرواية إلى بحث سياسي أو تاريخي فيحتفظ كل شكل فني بمميزاته واستقلاله ولا يمكن أن نتجاهل الفروق النوعية بينها.

٢ - غياب النقد الإسلامي :

على الرغم من كثرة الأعمال الأدبية الإسلامية في القصة والمسرح والقصيدة... فإن الحركة الإبداعية لم تُواكب بمتابعة نقدية من دعاة الأدب الإسلامي ، فلم يؤلف في مجال النقد الأدبي الإسلامي سوى بضعة كتب أهمها: منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب عام ١٩٦١م ، و(الإسلامية والمذاهب الأدبية) لنجيب الكيلاني عام ١٩٦٢م، وكتاب (في النقد الإسلامي المعاصر) عام ١٩٧٢م ، وكتاب (في النقد التطبيقي) عام ١٤١٩هـ لعماد الدين خليل ، وكتاب (الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني) عام ١٤١٦هـ ، وكتاب (في تأصيل الأدب الإسلامي) عام ١٤٢٠هـ لحلمي القاعود ، و(الأدب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة) لعبد الجواد محمد المحص ، ومنذ ذلك التاريخ لم يصدر مؤلف نقدي من دعاة الأدب الإسلامي يستحق الدرس ، واكتفى دعاته ببعض المحاورات والمقالات النقدية ، وغياب كهذا يسهم إلى حد كبير في موت كثير من الأعمال الأدبية الصادرة عن تصور إسلامي ، كما يؤدي إلى اضطراب وضياع في مقاييس التقويم والنقد، وسبيل إلى التكرار شكلاً ومضموناً ، وتفشي عمليات الأخذ والنقل ، وأما المصطلحات فلم يضف نقاد الأدب الإسلامي أي جديد يُذكر ، وتراهم يكتفون بالاحتراز من المصطلحات النقدية المتداولة في المذاهب الأدبية فهم مثلاً حين يتحدثون عن التزام الأدب الإسلامي يشددون على اختلافه عن الالتزام في الواقعية الاشتراكية أو في الوجودية وكذلك يفعلون في مصطلح الواقعية وغيرها كثير ، ولأجل هذا فلا مناص من حركة نقدية تواكب ما تزخر به المكتبات من أعمال أدبية إسلامية ، تضيء تقنياتها الفنية وتكشف عثراتها وتشيد بإبداعاتها وترسي دعائم النقد الأدبي الإسلامي ، فالنقد هو الدعامة الأخرى المرافقة للإبداع من أجل قيام نظرية أدبية إسلامية

ومُحال أن يُكتب لدعاة الأدب الإسلامي النجاح فيما يدعون إليه وهم غائبون نقدياً.

٣ - الأدب الإسلامي والمذاهب الأدبية :

ما موقف الأدب الإسلامي من المذاهب الأدبية ؟ وكيف يتعامل معها.. يقبلها كما هي أم يرفضها بالكلية؟.. وما حدود إفادته منها ؟

ثمة تباين في آراء دعاة الأدب الإسلامي حول المذاهب الأدبية وفلسفاتها ، حتى أصبحوا طرفي نقيض ، يقول حكمت صالح : (ولا مانع لأدبنا الإسلامي المعاصر من الاستفادة من الرمزية وحتى السريالية في قوالبها وطريقة طرحها للمضامين ، طالما كانت مجرد محاولات وتجارب ، وطالما كان الأديب ملتزماً بالخطوط العامة لمسار الشخصية الإسلامية وأخلاقياتها)[٦٨]. ويؤيده عماد الدين خليل بقوله: (والفن الإسلامي فن منفتح على شتى المذاهب الفنية، ما دامت منسجمة في اتجاهها وتفاصيلها مع حركة الكون والإنسان الإيجابية... إنه مرن بحيث يتسع لكل المذاهب... إنه كلاسيكي.. واقعي.. وجداني.. يرفض عيوب تلك المذاهب كالتأليه والإغراق في الذات وتمجيد لحظات الضعف وتصوير الانحراف الفكري أو الأخلاقي)[٦٩].

ولكن الفريق الآخر من دعاة الأدب الإسلامي لا يرون ذلك ، ويخضعون الانفتاح على المذاهب الأدبية للتصور الإسلامي ، فالمذاهب الأدبية تحمل صفات المجتمعات الغربية في أسلوبها ومضمونها وتصورها ، تعبر عن تلك الفلسفات التي آمنت بها مجتمعات الغرب (ولا يمكن أن تلائم هذه المذاهب حياة المجتمعات الإسلامية مهما بدت مظاهر هذه الحياة قريبة من مظاهر الحياة الأوروبية ، لأن الروح التي تسري في أعماق الإنسان المسلم - أياً كان وضعه - تختلف عن الروح التي تسري في أعماق الأوروبي)[٧٠].

وأرى أن رفض المذاهب الأدبية يجب ألا يستهدف فنيتها أو تجربتها الإبداعية ، بل ينصب على فلسفاتها وفكرها ، ولا مانع من أن يفيد منها الأديب المسلم فيما يعمق تجربته ويصقل موهبته ويثري إبداعه ، وإن الموقف الحذر من المذاهب الأدبية لدى بعض دعاة الأدب الإسلامي يجب ألا يعني الانغلاق والتشنج ، ومن المحمود الانفتاح على ما ينتجه الآخرون وتقويمه وفق التصور الإسلامي الذي يرتكز عليه دعاة الأدب الإسلامي ثم يكون القبول أو الرفض ، هذا إذا أريد للأدب الإسلامي أن ينجح وينضج ويزداد تأصلاً.

٤ - قضايا المرأة :

ومن خلافات الداعين إلى الأدب الإسلامي ، موقفهم من المرأة وقضاياها وتصوير ما يتعلق بالجنس ، ولنجيب الكيلاني آراء منفردة في هذا الموضوع ، فهو يرى أن المرأة في العمل الأدبي قد ترمز إلى الطهر والنقاء أو إلى بيئة منحطة وسلوكيات متهتكة ، ويرى أيضاً أن الكاتب (لا يستطيع أن يرسم الصورة المعبرة بدقة إلا إذا انتخب الأحداث والحوار المناسب) ويرفض الكيلاني موقف الإسلاميين المجمع عليه تقريباً الداعي إلى الاقتصاد في مثل تلك الصور والمشاهد لأنه (رأي يحتاج إلى نظر ، لأن الأمر ليس أمر الكم ولكن الكيف فقد يكون الاستطراد والإطالة ضرورة لبسط الصورة ، وتوضيح الفكرة ، وتشريح السلوك المنحل.. حتى يستطيع الأديب أن يوصل رسالته إلى المتلقي بوضوح وإيجابية)[٧١]. ثم يدعو الكيلاني الأديب المسلم إلى أخذ القدوة والنموذج من القرآن الكريم الذي عرض موضوع الجنس في قصة طويلة في سورة يوسف، وذهب الكيلاني إلى أبعد من ذلك ، فلا مانع لديه من ظهور المرأة على المسرح ، مشترطاً الزي الشرعي وتجنب الإثارة التي تخدش الحياء (لأن هناك قضايا وأموراً حساسة لا يمكن أن تقدم إلا من خلال المرأة..)[٧٢].

ويخالفه الرأيَ دعاةُ الأدب الإسلامي ، فيوجبون على الأديب المسلم ألا يلبث طويلاً أمام لحظات الجنس ، ومقدمتها وحواشيها ، وأن يهدف الأديب من الإلمام بها إلى ترك أثر تربوي سليم في وعي القارئ ، كما أنهم عابوا على الكيلاني موقفه المحبذ لبعض تصرفات بطلات قصصه، على الرغم من أنها لا تتفق مع السلوك الإسلامي القويم ، فالغاية الشريفة لا تسوغ الوسيلة الوضيعة ، وإذا كان دعاة الأدب الإسلامي يقبلون اختلاف الكيلاني معهم في كيفية تصوير المرأة وما يتعلق بقضايا الحب والجنس ، فإنهم لا يوافقونه البتة فيما ذهب إليه من مشاركة المرأة على خشبة المسرح ، وهو لديهم خروج على مرتكزات التصور الإسلامي الذي ينطلق منه دعاة الأدب الإسلامي.

غير أن دعاة الأدب الإسلامي يجمعون على ألا يتجاهل الأدب دور المرأة الأساسي في المجتمع ، ولا أن ينظر إليها نظرة دونية ، ولا أن يقع المبدع الإسلامي أسير النظرة الاجتماعية النمطية للمرأة. والأديب المسلم في رأيهم يتناول قضايا المرأة ويعالجها ويقدم حلولاً لمشكلاتها وفق تصور إسلامي شرعي ، كل ذلك يتم في الجانب الكتابي قصة أو مسرحية أو رواية أو قصيدة... لكن حين يُراد تجسيد هذا العمل الأدبي بشخصياته وأحداثه فلا بد من إخضاعه للتصور الإسلامي، ويقترح كثير من دعاة الأدب الإسلامي أن تختفي شخصية المرأة في المسرح ويستعاض عنها بأسلوب حكاية الآخرين عنها أو إعادة الحبكة الفنية كما هو متبع عند تجسيد الشخصيات التاريخية التي لا ينبغي تجسيدها كالرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ، والأديب الحق عندهم لا يعجزه هذا ، وإذا طالبنا بالالتزام الحرفي بما يكتب فإننا سنجد النص الذي يتحدث عن الخطيئة ، وعن الراقصة ، وعن المومس وعن... إلخ ، فهل يقبل المجتمع المسلم أن تجسد هذه الشخصية إحدى فتياته؟؟ بالطبع لا ، وهذه إحدى أهم خصائص المجتمع المسلم الذي ينبغي على الأديب المسلم ألا يجرحها أو يؤذيها، بل يحترمها ويرسخها في المجتمع ، لأن وجود المرأة الممثلة يرافقه محاذير كثيرة ليس هذا مجال الحديث عنها ، وبمجمل من القول يرى دعاة الأدب الإسلامي أن الأدب والفن عامة هما اللذان يخضعان للحكم الشرعي ، وليس العكس وإذا غاب عن الناقد الأدبي في العالم الإسلامي خصوصية المجتمع المسلم فسيحدث الخلل وفساد التصور ، وهم لن يضحوا بأخلاقيات المجتمع وقيمه من أجل عمل أدبي يجسد على المسرح أو الشاشة.

٥ – لغة الأدب الإسلامي :

ما لغة الأدب الإسلامي؟ هل هي اللغة العربية وحدها ؟ أم لغيرها أن تكون لغة للأدب الإسلامي ؟ أي أن اللغة العربية ليست شرطاً للأدب الإسلامي؟

اختلف دعاة الأدب الإسلامي حول هذه القضية ، وهم في ذلك فريقان ، الأول يرى أن اللغة العربية – وحدها– هي لغة الأدب الإسلامي ؛ لأنها لغة القرآن الكريم، والسنة النبوية وهما مصدر من مصادر الأدب الإسلامي ، ولأن اللغة العربية لم تعد لغة أرض أو قوم بل هي لغة المسلمين جميعاً ، ويشدد هذا الفريق على التمسك باللغة العربية لما تواجهه هذه اللغة من طوفان العامية في البلاد العربية. وهذا الفريق لا يدعو إلى لغة عربية متقعرة مهجورة ، بل يدعو إلى لغة فصحى ، مفهومة سلسة.

والفريق الآخر: يؤمن بأهمية اللغة العربية ويحفظ لها مكانتها ودورها في الأدب الإسلامي ويعدها اللغة الأولى لهذا الأدب، ولكنه لا يقتصر عليها ويقبل من الأديب المسلم أن يعبر وفق التصور الإسلامي بلغة غير العربية ، وفي هذا إثبات لعالمية الأدب الإسلامي ، ولتخطيه حدود اللغة الواحدة والجنس الواحد (ومن هنا فيمكننا اعتبار ما يكتب من شعر وأدب إسلاميين بلغات غير العربية أدباً

يمكن أن يلعب دوره حتى على مسارح أمتنا العربية عن طريق الترجمة... ولهذا نريد أن يكون أدبنا الإسلامي إنسانياً يتعدى محيط اللغة العربية)[٧٣].

ولعل رأي الفريق الأخير أقرب إلى التصور الإسلامي للأدب وفق ما طرحه منظرو الأدب الإسلامي واحتفاؤهم بالمضمونية هوية خالصة للأدب الإسلامي ، وفيه توسيع لمساحات الإبداع في ذلكم الأدب ، وإثراء لتجربته ما دام الأديب المسلم ملتزماً بالتصور الإسلامي.

٦ - معتقد الأديب :

ما موقف دعاة الأدب الإسلامي من أدب يوافق التصور الإسلامي صادر عن أديب غير مسلم؟ هو موضوع آخر للاختلاف بين دعاة الأدب الإسلامي فمنهم - وهم كثير - من يقبل هذا النتاج الأدبي ويدرجه ضمن الأدب الإسلامي ولا يعنيه معتقد الأديب ، فالتصور الفني الإسلامي (يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان ، ويلتقي معه كذلك من حيث هو إنسان ، ومن ثم يستطيع أي إنسان أن يتجاوب مع هذا التصور... ومن أجل ذلك لم نقصر النماذج التي أخذناها من بواكير الأدب الإسلامي على المسلمين من الفنانين ، بل اخترنا إلى جانبها نماذج من فنانين غير مسلمين)[٧٤] ، وهذا القبول يعطي لعالمية الأدب الإسلامي بعداً آخر ، وسيفتح باب التواصل مع الآداب الأجنبية. لكن هناك من دعاة الأدب الإسلامي من لا يقبل مثل هذا الأدب وإن التقى مع التصور الإسلامي للأدب ما دام صاحبه ليس مسلماً. (لأنه يفتقد الأسس التي يقوم عليها الأدب الإسلامي)[٧٥].

ولا أرى ما يوجب رفض النتاج الأدبي العالمي ما دام لا يتصادم مع التصور الإسلامي للأدب ولا ضير أن يشير الناقد الأدبي إلى معتقد الأديب ، وإلى ما يؤخذ على النص من ملحوظات لا تنسجم مع التصور الإسلامي ، لأن في قبول هذه الأعمال الأدبية كسباً لنظرية الأدب الإسلامي وإثباتاً لنجاحها وإمكانية الصدور عنها دون توجيه مسبق ، مما يدفع التهمة الموجهة للأدب الإسلامي بأنه أدب موجه ومقيد كثير الأغلال.

٧ - الانشقاق حول الموروث :

لدعاة الأدب الإسلامي قراءة متضاربة في موروث الفكر والأدب العربي القديم والحديث ، وقد نتج عن هذا التضارب خلافات حادة حول كثير من شخصيات الفكر والأدب العربي ، القديمة والحديثة ، ففريق منهم يثبت بالنصوص والشواهد الانحراف العقدي والفكري لتلك الشخصيات مخالفين لما يعتقده المشتغلون بالفكر والأدب من أنها تمثل قمماً فكرية وأدبية شامخة. وفريق ثان يرى أن تلك الشخصيات جديرة بالإعجاب والتقدير ومثالاً للمفكر الأمين والأديب المبدع ، ومن أمثلة ذلك في القديم الخلاف حول شخصية الحلاج فحينما يهاجمه كثير من الأدباء الإسلاميين ويتبرؤون منه ومن أفكاره (وإلحاده). نرى نفراً من الأدباء الإسلاميين يتولونه ويجعلونه مثالاً لـ(مأساة الكلمة في كل زمان ومكان)[٧٦].

وأما في شخصيات الأدب الحديث فالخلاف أشد ، وبدءاً من الطهطاوي مروراً بلطفي السيد وطه حسين وسلامة موسى ومحمد حسين هيكل إلى السياب ونزار قباني ، كل أولئك لا يحظون بنظرات الإعجاب من قبل عامة المشتغلين بالأدب الإسلامي ويوردون من نصوص أولئك الكتاب ما يناقض دين المجتمع وعقيدته وفكر الأمة عامة ، ومع ذلك فهناك نفر قليل جداً من الإسلاميين معجب بهذه الشخصيات كغيرها من التيارات الأخرى في الأدب الحديث.

والخلاف حول تلك الأسماء يعكس تمايز المنطلق الفكري الذي يتأسس عليه الموقف النقدي ، فليس ثمة وحدة أيديولوجية لدى دعاة الأدب الإسلامي على خلاف المظنون بهم.

٨ – القصة والمسرحية الإسلاميتان :

استأثر الشعر والمقالة بجلّ نتاج الأدباء الإسلاميين، ولمع أدباء إسلاميون كثر في هذين الجنسين من الأدب ، ففي الشعر هناك إقبال والأميري ومحمود حسن إسماعيل وصالح بيك والزبيري والمجذوب ومحمد منلا غزيل ووليد الأعظمي ويوسف العظم وعقيلان ... وفي المقالة هناك ، الرافعي والطنطاوي وعبدالوهاب عزام وشكيب أرسلان والباشا والندوي والمودودي وسيد قطب... .

لكن ماذا عن فن القصة والمسرحية في الأدب الإسلامي؟ إننا لو استثنينا الكيلاني في القصة وباكثير في المسرحية فإننا نكاد لا نجد غيرهما اسماً قاراً في المشهد الأدبي ، مع أن القصة فن إسلامي أصيل احتل حيزاً كبيراً من القرآن الكريم ، كما أن للقصة دورها في نشر المضمون الإسلامي الهادف وتنوير المجتمع وإرشاد الناس، والتعبير عن آمالهم وآلامهم كما يقول دعاة الأدب الإسلامي.

وإن من سوء حظ الإسلاميين أن القصة والمسرحية لم تنل من اهتمامهم إلا القليل ، وحتى هذا الاهتمام جاء في فترة متأخرة بعد أن تركوا هذا المجال الرحب لغيرهم معتقدين أن بين الدين وبين القصة والمسرحية جفوة وقطيعة ، لقد كان جديراً بهم أن يحتفوا بهذين الجنسين من فن القول ، فقد وظف القرآن الكريم الفن القصصي غاية التوظيف ، واعتمده وسيلة ناجعة للعظة والإرشاد والتوجيه ، وأفضى انصراف الأدباء الإسلاميين عن القصة والمسرحية إلى امتلاء المكتبات العامة والخاصة بالآلاف من القصص العربية والغربية بمضامينها الوافدة وفلسفاتها المضللة ، وإذا كنا بحاجة إلى أدب إسلامي بصورة عامة فإننا أحوج إلى القصة الإسلامية بصورة خاصة.

ومما يزيد الأمر سوءاً أنه حين يتصدى أديب إسلامي لكتابة قصة أو مسرحية فإنه يتراجع مئات السنين، ويستلهم موضوعه من التاريخ الإسلامي ، وليس هذا بمعيب أو محذور على الأديب المسلم ، فله أن يستلهم من التاريخ ففيه كنوز ثمينة من التجارب الإنسانية العامة الشاملة ، ولكن المعيب هو أن يستغرق التاريخ القصص الإسلامي كله كما هو واقع تقريباً ، إلا ما ندر، فأين سدنة النقد الإسلامي عن التنادي إلى أن يتوجه الأديب المسلم في قصته أو مسرحيته إلى الواقع ، واقع العصر ، فيبني عالمه القصصي وينسج أحداثه على إيقاع العصر، والواقع زاخر بالكثير من الموضوعات .

الهوامش

١ – أعلام وأصحاب أقلام ، دار نهضة مصر ، (د.ت) ص١٥٤ – ١٥٥.

٢ – الاتجاهات الوطنية ، محمد محمد حسين -ط٤- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) ، ص٥٥ – ٦٨.

٣ – الأعلام ، خيرالدين الزركلي-ط٥- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٠هـ ، المجلد السابع، ص٣٣٦.

٤ – الاتجاهات الوطنية ، محمد محمد حسين ، الجزء الثاني ، ص٨٢ – ٨٥.

٥ – مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه ، علي عبدالحليم ، جامعة الإمام ، الرياض ١٩٧٥م ، ص٥٣.

٦ – الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ ، محمود عبدالحليم -ط١- الإسكندرية : دار الدعوة ، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م).

٧ – الأدب الإسلامي.. قضية وبناء، سعد أبوالرضا ، جدة ، ١٤٠٣هـ ، ص١٤٧.

٨ - رحلتي مع الأدب الإسلامي ، نجيب الكيلاني ٠- ط١٠- بيروت : الرسالة ، ١٤٠٦هـ ، ص٧٢.
٩ - الواقعية الإسلامية ، أحمد بسام ساعي ٠- ط١٠- جدة : دار المنارة ، ١٤٠٥هـ ، ص١٩٥.
١٠ - في الأدب والأدب الإسلامي ، محمد الحسناوي ٠- ط١٠- بيروت: المكتب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ ، ص١١.
١١ - أريد أن أتحدث للإخوان ، أبوالحسن الندوي ٠- القاهرة : لجنة الشباب المسلم ، ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) ، ص١٣ - ١٤.
١٢- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ٠- ط١٠- بيروت : المؤسسة الإسلامية ، (د.ت) ، ص٢٧٩.
١٣- نحو آفاق شعر إسلامي معاصر ، حكمت صالح ٠- ط٢٠- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ ، ص١٥.
١٤- المرجع السابق ، حكمت صالح.
١٥- شوقي .. شعره الإسلامي ، ماهر حسن فهمي ٠- مصر : دار المعارف ، ١٩٥٩م ، ص١٥٤-١٥٥.
١٦ - مجلة كلية اللغة العربية ، العدد الحادي عشر ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، جامعة الإمام ، مقال (نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد لعبدالرحمن رأفت باشا) ص٣٢٩.
١٧- مدخل إلى الأدب الإسلامي (المقدمة) ، نجيب الكيلاني ٠- ط١٠- الدوحة : كتاب الأمة ، الدوحة ، ١٤٠٧هـ ، ص١٢.
١٨- النقد الأدبي ، أصوله واتجاهاته ، سيد قطب ٠- ط٤٠- بيروت : دار العربية ، ١٩٦٦م ، ص٩٩.
١٩- من قضايا الأدب الإسلامي ، صالح بيلو ٠- ط١٠- جدة : دار المنارة ، ١٤٠٥هـ ، ص٧ - ٨.
٢٠- مجلة الشباب المسلمين ، الجزء الثاني ، المجلد الثامن ، رمضان ١٣٥٥هـ ، ١٩٣٦م ، ص١٤٨.
٢١- المرجع السابق ، الموضع نفسه.
٢٢- مجلة حضارة الإسلام ، رجب ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) ، ومقال نحو أدب إسلامي لمحمد حسن بريغش ، ص١٠٣.
٢٣- الشعر في إطار العصر الثوري ، عزالدين إسماعيل ٠- بيروت : دار العودة ، ١٩٧٦م ، ص١٩.
٢٤- مجلة الشبان المسلمين ، رمضان ١٣٥٥هـ ، ص١٤٨.
٢٥- في الأدب العربي الحديث.. بحوث ومقالات ، يوسف عزالدين ، بغداد، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ص٣٠.
٢٦- أثر الإسلام في الشعر الحديث في سوريا ، محمد عادل الهاشمي ٠- ط١٠- الأردن : مكتبة المنار ، ١٤٠٦هـ.
٢٧- مجلة الفيصل ، العدد ١٧١ ، رمضان ١٤١٠هـ ندوة العدد (الأدب الإسلامي.. ما هو) ص٨٥.
٢٨- أخطار التبشير في ديار المسلمين ، محمد عبدالرحمن عوض ٠- القاهرة : دار الأنصار ، ١٤٠٠هـ ص٨.
٢٩- الغارة على العالم الإسلامي ، محيي الدين الخطيب ٠- ط٣ ٠- منشورات العصر الحديث ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م، ص٣٩.
٣٠- اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ، أنور الجندي ٠- ط١٠- القاهرة : دار الاعتصام ، ١٣٩٨هـ ، ص١٥٩ - ١٧٠.
٣١- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، عبدالستار فتح الله ٠- ط٢٠- الرياض : مكتبة المعارف ، ١٣٦٨هـ ، ص٦٤.
٣٢- الاتجاهات الوطنية ، محمد محمد حسين ، ج ٢ ، ص١٩٦.
٣٣- جريدة الإخوان المسلمين ، النذير ، المنار ، الفتح ، حضارة الإسلام ، مجلة الأزهر ، مجلة الشبان المسلمين.
٣٤- مجلة كلية اللغة العربية ، ١٤٠١هـ، نحو مذهب إسلامي ، ص٣٣١.

٣٥- مجلة الشبان المسلمين ، رمضان ١٣٥٥هـ ، ص١٤٨.
٣٦- المرجع السابق ، الموضع نفسه.
٣٧- النقد الأدبي ، سيد قطب ، ص١٠٣.
٣٨- المرجع السابق ، الموضع نفسه.
٣٩- في التاريخ .. فكرة ومنهاج ، سيد قطب ٠- بيروت : دار الشروق ، ص١٥.
٤٠- منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب-٠ ط٤-٠ بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٠هـ ، ص١١٩.
٤١- مجلة حضارة الإسلام ، رجب ١٣٨٥هـ ، نحو أدب إسلامي لمحمد حسن بريغش ، ص١٠٥.
٤٢- الإسلامية والمذاهب الأدبي ، نجيب الكيلاني ٠- ط١-٠ ليبيا : مكتبة النور ، ١٩٦٣م ، ص٣٥.
٤٣- مدخل إلى الأدب الإسلامي ، نجيب الكيلاني ، ص٤٤.
٤٤- مجلة الفيصل ، العدد ١٧١ ، ندوة (الأدب الإسلامي .. ما هو؟) ص٨٦.
٤٥- المرجع السابق ، الموضع نفسه.
٤٦- المرجع السابق ، الموضع نفسه.
٤٧- مجلة كلية اللغة العربية (١٤٠١هـ) نحو مذهب إسلامي ، ص٣٧٧.
٤٨- الأدب الإسلامي.. إنسانيته وعالميته ، عدنان النحوي ٠- ط٢-٠ الرياض : دار النحوي ، ١٤٠٧هـ.
٤٩- سورة المؤمنون. آية ١١٥.
٥٠- مدخل إلى الأدب الإسلامي ، نجيب الكيلاني ، ص٣٥.
٥١- من قضايا الأدب الإسلامي ، صالح بيلو ، ص٧٣.
٥٢- تحفة اللبيب ، محمد المجذوب ٠- ط١-٠ المدينة المنورة : النادي الأدبي ، ١٤٠٤هـ ، ص٣٢٢.
٥٣- الإسلامية ، نجيب الكيلاني ، ص٥٣.
٥٤- بحوث ندوة الأدب الإسلامي عام ١٤٠٥هـ ، بحث الالتزام في الأدب الإسلامي ، لمحمد مصطفى هدارة، ط ١٤٠٩هـ ، ص٣٥.
٥٥- المرجع السابق ، الموضع نفسه.
٥٦- منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب، ص١٢٨.
٥٧- الواقعية الإسلامية ، أحمد بسام ساعي ، ص١٥ وما بعدها.
٥٨- مدخل إلى الأدب الإسلامي ، الكيلاني ، ص٣٦.
٥٩- مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي، مصطفى عليان ٠- ط١-٠ جدة : دار المنارة ، ١٤٠٥هـ ، ص١٢٣.
٦٠- مجلة الفيصل ، العدد ١٧١ ، ندوة الأدب الإسلامي.. ماهو؟ ، ص٨٦.
٦١- سورة النساء آية ٣٨.
٦٢- مجلة الفيصل ، ندوة الأدب الإسلامي.. ماهو؟ ص٨٧.
٦٣- منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب، ص١٢١.
٦٤- المرجع السابق ، ص١٤٢.
٦٥- مجلة حضارة الإسلام ، رجب ١٣٨٥هـ ، ١٠٥ .
٦٦- مجلة كلية اللغة العربية (١٤٠١هـ)، ص٣٣٢.
٦٧- الأدب الإسلامي ، عدنان النحوي، ص٧٣.
٦٨- نحو شعر إسلامي معاصر ، حكمت صالح ، ص٩٠
٦٩- في النقد الإسلامي المعاصر ، عماد الدين خليل ٠- ط٢-٠ بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م) ، ص٤١.
٧٠- في الأدب الإسلامي المعاصر ، محمد حسن بريغش ٠- ط٢-٠ الأردن : مكتبة المنار ، ١٤٠٥هـ ، ص٥٣.
٧١- مدخل إلى الأدب الإسلامي ، الكيلاني ، ص١١١.
٧٢- المرجع السابق ، ص١١٢.
٧٣- نحو آفاق شعر إسلامي معاصر ، حكمت صالح ، ص١١.
٧٤- منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب، ص١٨٣.
٧٥- مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي، مصطفى عليان ، ص١٣.
٧٦- في الأدب والأدب الإسلامي ، محمد الحسناوي ، ص١٤٣.

المراجع

١ - **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، محمد محمد حسين ،- ط٤- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م).

٢ - **أثر الإسلام في الشعر الحديث في سوريا**، محمد عادل الهاشمي،- ط١- الأردن: مكتبة المنار، ١٤٠٦هـ.

٣ - **أخطار التبشير في ديار المسلمين** ، محمد عبدالرحمن عوض ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ.

٤ - **الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ** ، محمود عبدالحليم ،- ط١- الإسكندرية : دار الدعوة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٥ - **الأدب الإسلامي ، إنسانيته وعالميته**، عدنان النحوي ،- ط٢- الرياض : دار النحوي ، ١٤٠٧هـ.

٦ - **الأدب الإسلامي** ، قضية وبناء ، سعد أبو الرضا ،- ط١ ،- جدة : عالم المعرفة ، ١٤٠٣هـ (١٩٨٧م).

٧ - **أريد أن أتحدث للإخوان** ، أبو الحسن الندوي ،- القاهرة : لجنة الشباب، المسلم ، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م).

٨ - **الإسلامية والمذاهب الأدبية** ، نجيب الكيلاني ،- ط١ ،- ليبيا : مكتبة المنار ، ١٩٦٣م .

٩ - **الأعلام** ، خير الدين الزركلي ،- ط٥- بيروت : دار العلم للملايين، ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .

١٠- **أعلام وأصحاب أقلام** ، أنور الجندي،- مصر : دار نهضة مصر (د.ت).

١١- **بحوث ندوة الأدب الإسلامي..** الرياض عام ١٤٠٥هـ ، ط ١٤٠٩هـ.

١٢- **تحفة اللبيب** ، محمد المجذوب ،- ط١- المدينة المنورة : النادي الأدبي ، ١٤٠٤هـ.

١٣- **رحلتي مع الأدب الإسلامي** ، نجيب الكيلاني ،- ط١ ،- بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ.

١٤- **الشعر في إطار العصر الثوري** ، عزالدين إسماعيل ،- بيروت : دار العودة ، ١٩٧٦م.

١٥- **شوقي شعره الإسلامي** ، ماهر حسن فهمي ،- مصر : دار المعرفة ، ١٩٥٩م.

١٦- **الغارة على العالم الإسلامي** ، محب الدين الخطيب ،- ط٣ ،- منشورات العصر الحديث ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٧- **الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام** ، عبدالستار فتح الله ،- ط٢- الرياض : مكتبة المعارف ، ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م).

١٨- **في الأدب الإسلامي المعاصر** ، محمد حسن بريغش ،- ط٢- الأردن : مكتبة المنار ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٩- **في الأدب العربي الحديث** ، بحوث ومقالات ، يوسف عزالدين ، بغداد، ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م.

٢٠- **في الأدب والأدب الإسلامي** ، محمد الحسناوي ،- ط١- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢١- **في التاريخ فكرة ومنهاج** ، سيد قطب ،- بيروت : دار الشروق .

٢٢- **في النقد الإسلامي المعاصر** ، عماد الدين خليل ،- ط٢- بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٣- **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا** ،- ط١- بيروت : المؤسسة الإسلامية ، (د.ت).

٢٤- **مدخل إلى الأدب الإسلامي** ، نجيب الكيلاني ،- ط١- الدوحة: كتاب الأمة ، ١٤٠٧هـ.

٢٥- **مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه** ، علي عبدالحليم ،- الرياض : جامعة الإمام ، ١٩٧٥م.

٢٦- **مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي**، مصطفى عليان ،- ط١- جدة : دار المنارة ، ١٤٠٥هـ.

٢٧- **من قضايا الأدب الإسلامي** ، صالح بيلو ،- ط١- جدة : دار المنارة، ١٤٠٥هـ.

٢٨- **منهج الفن الإسلامي** ، محمد قطب،- ط٤- بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٠هـ.

٢٩- **نحو آفاق شعر إسلامي معاصر** ، حكمت صالح ،- ط٢- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ.

٣٠- **النقد الأدبي**، سيد قطب،- ط٤- بيروت : دار العربية ، ١٩٦٦م.

٣١- **الواقعية الإسلامية** ، أحمد بسام ساعي ،- ط١- جدة : دار المنارة ، ١٤٠٥هـ.

٣٢- **اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار** ، أنور الجندي ،- ط١- القاهرة : دار الاعتصام ، ١٣٩٨هـ.

أعلام التراث في العصر الحديث
لمحمود الأرناؤوط

يحيى ميرعلم
قسم اللغة العربية - كلية التربية الأساسية - جامعة الكويت

صدرت الطبعة الأولى من كتاب «أعلام التراث في العصر الحديث» عن دار العروبة بالكويت ودار ابن العماد في بيروت ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م تأليف محمود الأرناؤوط ، والكتاب يقع في جزء متوسط ، جملته ٢٥٢ صفحة .

ويحوي الكتاب بين دفتيه الإهداء الذي وقفه مؤلفه على قائمة مختارة من أربعة وثلاثين علماً من أعلام التراث الأحياء الذين خدموا التراث العربي الإسلامي اعترافاً منه بفضلهم ، يليه تقديم الكتاب بقلم شاكر الفحام ، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، وجاء في نحو ثلاث صفحات ونصف ، ثم يليه تقديم ثان للكتاب بقلم عبدالقادر الأرناؤوط ، وكان في زهاء صفحتين ونصف الصفحة ، ويتبع ذلك مقدمة المؤلف التي جاءت مطولة في ما يزيد على عشر صفحات . ثم يلي ذلك مادة الكتاب التي اشتملت على تراجم لثمانين علماً ، اختارهم المؤلف من أعلام التراث في العصر الحديث ، استغرقت ما بين (ص٣ و ٢٣٦) ، وختم الكتاب بقائمة المصادر والمراجع في ثماني صفحات (ص ٢٣٧ - ٢٢٤) ثم بفهرس للأعلام المترجمين (ص ٢٤٥ - ٢٥٢) جاء على ترتيبين ، الأول : وفق ترتيبها الزمني في الكتاب على الأقدم وفاةً فالذي يليه حتى يكون آخرُهم أحدثَهم وفاةً ، والثاني : وفق ترتيبها الهجائي .

والكتاب من الأهمية بمكان ، لأنه يندرج في فن التراجم والطبقات الذي يُعد مع الأحداث العامة الأساس الذي قام عليه علم التاريخ عند المسلمين ، ومعلوم أن المكتبة العربية تغص بكتب التراجم على اختلاف مناهج بنائها ، سواء أكان ذلك على القرون أم العلوم ، أو الفنون ، أو الأسماء أو الأجناس أو البلدان أو الأنساب أو الضبط للأعلام والكنى والألقاب والأنساب ، أو الفهارس والأثبات والبرامج أو المناقب أو غير ذلك مما يتصل بالحضارة العربية الإسلامية ، وأمثلة ذلك جلية تغني الإشارة إليها عن تفصيل القول فيها . والكتاب يصنف في كتب التراجم على القرون ، لأن جميع المترجمين فيه ممن عاشوا في القرن الرابع عشر الهجري حتى العقد الثاني من القرن الخامس عشر، وهو ما يستغرق القرن العشرين في التقويم الميلادي بتمامه .

أولاً - مادة الكتاب ومنهجه :

حوى الكتاب - على حد قول مؤلفه - تراجم لـ «أعلام التراث وشيوخ العلم من المحققين والناشرين والمستشرقين الذين كانوا السبب في إخراج ونشر معظم ما نشر من كتب التراث بتحقيقهم له أو بسعيهم في أمر تحقيقه ونشره، أو بتخريجهم لمن قام بخدمته وإخراجه للناس ... ممن رحلوا عن الدنيا وخلفوا لنا ولأبناء الأمة أعمالاً ومآثر جليلة تذكر لهم على مر الأيام» [1] .

وللكتاب قصة لخصها المؤلف بقوله : « ونشرت معظم تراجمهم على حلقات في صحيفة (الأسبوع الأدبي) التي يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق خلال عامي ١٤١٩ - ١٤٢١هـ و ١٩٩٠ - ٢٠٠٠م على هامش عملي كأمين لتحرير "مجلة التراث العربي" . ثم جمعت تلك التراجم في هذا الكتاب، وأجريت عليها قلم التحقيق والتدقيق والتوثيق والتعليق رغبة بأن يكون لأهل التراث مصنف خاص بهم أسوة بأرباب الفنون الأخرى ، وكان بودي أن أترجم لعدد آخر من أعلام التراث الذين عرفهم العصر الحديث في مختلف أرجاء العالم الإسلامي وخارجه ، ممن لهم

فضل على نشر التراث وإحيائه لولا كثرة الأعمال التي بين يدي ، فعسى أن يهيئ الله تعالى من يستكمل العمل في تدوين تراجم من لم أترجم له منهم» [٢] .

وقد أكد المؤلف حرصه على الإنصاف والموضوعية ، واستشهد لذلك بالمقالة المشهورة للإمام مالك رحمه الله، وبكلام لحاجي خليفة ينص فيه على ما اشترطوه فيمن يكتب التاريخ والتراجم، وفيمن يكتب من عند نفسه، سأورده بلفظه وتمامه - على صورته - لأهميته ولدواعٍ أخرى سيأتي بيانها في النقد ، قال : «حرصت على إنصاف الأعلام الذين كتبت تراجمهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، رغبة في أن أكتب ما يُقرأ ويُحمد في أيامنا والأيام القادمات إن شاء الله ، من أبناء جيلنا وأبناء الأجيال اللاحقة من المهتمين بأعلام هذا الفن الراقي ، وبروح حيادية متجردة ولم أنصب من نفسي حكماً على أولئك الأعلام ، فكتبت عمّن أتفق معه وعمّن أخالفه الرأي والاعتقاد بنفس واحد ، ابتغيت منه وجه الله وتدوين الحقائق بعيداً عن العصبية التي أمقتها وأمقت أهلها، وعن العواطف والمحاباة أيضاً ، غير ناسٍ قول الإمام مالك بن أنس رحمه الله الذي قال فيه : ما منا إلا ردّ أو رُدّ عليه إلاّ صاحب هذا القبر ، وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ . وقول حاجي خليفة في مقدمته لكتابه الهام «سلّم الوصول إلى طبقات الفحول» : اشترطوا فيمن كتب التراجم والتاريخ شروطاً، منها الصدق ، وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى ، وأن يكون ذلك الذي نقله أخذه في المذاكرة وكتبه بعد ذلك ، وأن يسمى المنقول عنه . فهذه شروط أربعة فيما ينقله . ويشترط فيه أيضاً لما يترجمه من عند نفسه ، ولما عساه يطوّل في التراجم من المنقول ويقصّر ، أن يكون عارفاً بحال صاحب الترجمة علماً وديناً وغيرهما من الصفات ، وهذا عزيز جداً ، وأن يكون حسن العبارة ، عارفاً بمدلولات الألفاظ ، وأن يكون حسن التصور حتى يتصور حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص ، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه وتنقص عنه ، وألا يطلبه الهوى فيخيّل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه والتقصير في غيره...» [٣] .

وقد نص الكاتب مرتين على مراده من هذا الكتاب بقوله : «أردت لهذا الكتاب أن يكون أنموذجاً بين أيدي الدارسين عن فهمي لفن التراجم والتاريخ ، وللمعاني التي أراها في هذا الفن الجليل عند المسلمين السابقين واللاحقين من المنصفين» [٤] .

ومما هو جدير بالإشارة إليه أن الكاتب أجاب عما يستوقف الناظر في هذا الكتاب من غلبة تراجم السوريين والمصريين ، ومن عدم إيراده تراجم لبعض المشاهير من أعلام التراث في هذا العصر فيه ، فأجاب عن الأول بما هو معلوم من كون مصر وسورية أكثر البلدان اهتماماً بشؤون التراث تحقيقاً ونشراً ودراسة وإخراجاً ، وبأن له معرفة شخصية بمعظم من ترجم لهم ، أو بمن عرفهم عن قرب ، وهو ثقة لديه ، منبهاً في الحاشية على مخالفته لمحمود الطناحي - رحمه الله - فيما ذهب إليه في كتابه (مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي) لإطنابه في الإشارة إلى فضل علماء مصر، وإخلاله بالكلام على فضل علماء سورية والبلدان الأخرى، وأجاب عن الثاني بما تقدم من مراده من كتابه أن يكون أنموذجاً بين أيدي الدارسين [٥] .

كما نبّه الكاتب في فقرة مطولة من مقدمته على منهجه فيمن ترجم لهم من المستشرقين والمشتغلين بشؤون التراث العربي الإسلامي من غير المسلمين بأنه ترجم لمن «اعتقد أنه لا يصح إسقاط أمثالهم من كتاب كهذا يعني بالترجمة للأعلام الذين خدموا التراث ، وأسهموا بإحياء آثاره وما يتصل بها ، بغض النظر عما يمكن أن يقال في الغايات والأهداف التي عملوا من أجل تحقيقها وإيصالها

للدارسين العرب والمسلمين، فلا يصح في نظري انتقاص جهودهم النافعة ...» [٦] .

أما عدم اشتغال الكاتب بالترجمة للأحياء من أعلام التراث فاعتذر عن ذلك بقوله : «صرفت النظر عن الترجمة لأعلام التراث الأحياء - أطال الله أعمارهم ونفعنا بهم - لما للترجمة للأحياء من الحرج للكاتب والمكتوب عنه سواء بسواء، فقد تفهم الترجمة للواحد منهم على أنها من باب التملق وأنا أكره التملق، وأبغض أهله ، والراضين عنه ، أيّاً كان موقع الواحد منهم ، من أهل عصره» [٧] .

ثانياً : مؤلف الكتاب :

وأما مؤلف الكتاب فهو محمود الأرناؤوط ، باحث جاد دؤوب منقطع إلى الاشتغال بالتراث تحقيقاً ونشراً وإخراجاً، غزير الإنتاج العلمي، عصامي النشأة والتكوين ثقافة وعلماً، وهو فوق كل ذلك صديق قديم، وعلى الجملة فهو معروف لدى كثير من المشتغلين بالتراث العربي الإسلامي، ولولا أن المقام لا يسمح بالحديث عنه وعن جهوده في خدمة التراث وأنني سأتهم بالعصبية ومجافاة الموضوعية، وأن في الكتاب - موضوع البحث - قدراً غير قليل من التعريف به وبسيرته الذاتية والعلمية وبفضله وقدره وأعماله، وردت في صور مختلفة لكان لزاماً عليّ بيان ذلك . وأعتقد أني كُفيت مؤونة ذلك بما ورد في تقديم شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، فقد حظي الكاتب بقسط وافر من تقديمه للكتاب تشجيعاً منه للكاتب ، وذلك العهد به مع جميع الطلبة والباحثين والعاملين في خدمة العربية والتراث ، وهذا خلق علمي أصيل يتحلى به ، ويشهد له به كل من عرفه وأفاد منه ، وهم خلق كثير . كما حظي الكاتب بنحو ذلك في تقديم والده المحدث عبدالقادر الأرناؤوط ، وكذلك بما ورد على لسان المؤلف نفسه في مقدمته ، وفي مواضع كثيرة من التراجم والحواشي مما كان له به أدنى ملابسة . فقد نص في مقدمته على انصرافه إلى خدمة كتب التاريخ والرجال مدة عشرين عاماً، انتهت جملة أعماله فيها إلى ستين كتاباً، مرّ فيها بأدوار مختلفة، ثم عدّ منها ستة عشر كتاباً بين كبير وصغير، أوردها مفصلة في المتن، وموثقة بإسهاب في حواشي المقدمة . لذا ، وجدت في جميع ما ذكرته غُنية لي ، تحاشياً للتكرار ، وطلباً للإيجاز، ولزوماً للموضوعية .

وقد رأيت أن لمؤلف الكتاب محمود الأرناؤوط حقاً في عنقي ، يجب أداؤه نهوضاً بأمانة العلم أولاً، وواجب النصح ثانياً، ونزولاً عند رغبته ثالثاً في ألا يبخل عليه أحد من أهل العلم بملاحظاتهم وتوجيهاتهم حيث قال : «هذا ما أردته من تأليفي لهذا الكتاب ، فإن أحسنت فذلك ما عملت له جاهداً، وإن غفلت وأخطأت ، فأنا معترف بوهمي وضعفي وتقصيري وقلة تحصيلي ، والمأمول من أهل هذا الفن أن لا يبخلوا عليّ بملاحظاتهم وتوجيهاتهم السديدة للأخذ بها في طبعات الكتاب القادمة، فقديماً قال كاتب العراق في عصره إبراهيم بن العباس الصولي : المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من منشئه» [٨] .

لذا ، صح العزم مني بعد قراءة الكتاب ومعاودة النظر فيه أن أكتب مقالاً يتناول الكتاب وقيمته، ومنهج مؤلفه فيه ، وينبّه على ما ورد فيه من سهو أو خطأ أو وهم أو مخالفة للمنهج المرسوم أو مجانبة للموضوعية أو غير ذلك مما يجب بيانه، على أن ذلك - على أهميته - لا يقلل من شأن الكتاب ، ولا من قيمة صاحبه ، بل سيجعل طبعة الكتاب القادمة أدنى إلى الكمال إذا أفاد المؤلف منها ، وأخذ بما صحّ فيها، فضلاً عن أنه يصحح كثيراً مما تداوله الناس في هذه الطبعة . فـ «النقد يجبر النقص، ويقوّم المعوجّ ، ويصلح المنآد» و «جودة العلم لا تتكون إلا بجودة النقد ، ولولا النقد لبطل كثير علم ، ولاختلط بالعلم اختلاطاً لا خلاص منه ، ولا حيلة فيه» [٩] . وليس هذا المقال بدعاً من الأمر ، فقد تعقّب أحمد العلاونة كتاب

(الأعلام) لخير الدين الزركلي في كتابه (ذيل الأعلام) وذكر مآخذه عليه ، وأضاف إليها مآخذ الشيخ محمد أحمد دهمان والقاضي إسماعيل الأكوع . على أني لا أزعم لما صنعت استقصاء ، بل هو جهد المقل ، ولعلّ غيري من أهل العلم يستدرك ما فاتني التنبيه عليه . وسأورد ملحوظاتي موزعة على ما ينتظمها من معانٍ تحقيقاً للإيجاز ، مع الحرص على توثيقها بنقل كلام المؤلف نفسه .

ثالثاً : المآخذ على الكتاب :

وقفني النظر في الكتاب على قدر كبير من المآخذ، رأيت إثباتها موزعة على الملحوظات العامة التي تستغرق مجموع ما ورد فيه ، وعلى ما جاء في كل من : المقدمة ، والتراجم ، والحواشي ، ومنهج الكتاب ، وختمت ذلك بما وقفت عليه من أخطاء أخرى، جلّها مردّه إلى الطباعة .

ملحوظات عامة :

لا يخفى على أحد أهمية اللغة في ثقافة أي أمة من الأمم، كما لا يخفى أيضاً شأن اللغة وضرورة إتقانها في كتابة التاريخ والتراجم ، فهي الأداة التي يعبر بها عنهما ، وطبيعي ألا تتحقق الدقة في أداء أي معنى لحدث أو ترجمة إلا إذا تحقق إتقان الكاتب للغة، فاستكمل الأدوات اللغوية اللازمة ، من الدراية العامة بأسرار العربية وعلومها وأساليبها وقوانينها ، لذا كان اشتراطهم تحقق ذلك فيمن يكتب التراجم والتاريخ أمراً مفروغاً منه ، بل تعدّى الأمر ذلك إلى اشتراطهم مثله فيمن ينظر في كتب القوم، يشهد لهذا ما قرره الحافظ المزّي في مقدمة كتاب له في التراجم، قال : «وينبغي للناظر في كتابنا هذا أن يكون قد حصل طرفاً صالحاً من علم العربية، نحوها ولغتها وتصريفها ، ومن علم الأصول والفروع، ومن علم الحديث والتواريخ وأيام الناس، فإنه إذا كان كذلك كثُر انتفاعه به، وتمكن من معرفة صحيح الحديث وضعيفه، وذلك خصوصية المحدّث التي مَنْ نالها، وقام بشرائطها ساد أهل زمانه في هذا العلم» [١٠] . كما يشهد بصحته ما نقله المؤلف نفسه عن حاجي خليفة في مقدمته لكتابه (سُلم الوصول إلى طبقات الفحول) وضمّنه مقدمته ، سبق أن أوردته بتمامه ، بيّن فيه ما اشترطوه فيمن يكتب التراجم والتاريخ ، وما يشترط فيمن يكتب من عنده ، ولا بأس هنا من الاقتصار على ما يتصل باللغة منه قال : «... وأن يكون حسن العبارة عارفاً بمدلولات الألفاظ ، وأن يكون حسن التصور حتى يتصور حال ترجمته جميع ذلك الشخص، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص عنه ...» [١١] . وظاهر أن مراده بحسن العبارة دقتها ، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان عارفاً بمدلولات الألفاظ فضلاً عما هو مطلوب من الدراية بالعربية وأساليبها ونحوها وتصريفها .

والحق أن الناظر في الكتاب يرى واضحاً ما يدل على عدم تحقق ذلك، وقد تجلى ما سبق في صور شتّى، منها :

١ – شيوع لغة الصحافة في جميع الكتاب :

لغة الكتاب جاءت أقرب ما تكون إلى لغة الصحافة بكل ما تحمله من أخطاء لغوية وشائعة ، وركاكة في الأسلوب، وتجوّز في استعمال الدارج والعامي من التعبيرات، وحشو وتزيد، لا مسوّغ له إلا ملء صفحات تزيد من حجم الكتاب، ولا تفيد القارئ شيئاً ، وقد تنتهي بالمؤلف إلى الانقياد إلى العاطفة والهوى والذاتية وإقحام قناعاته الشخصية ، وربما قادته إلى الخطابية والوعظ والتنظير ، كل ذلك نرى أمثلة له في هذا الكتاب الذي يفترض أن يكتب بلغة سليمة ، ودقيقة ، لا زيادة فيها ولا نقص، فضلاً عن الموضوعية والإنصاف ، وسأقتصر على أمثلة من ذلك مما ورد في مقدمة المؤلف، والتراجم ، والحواشي، توخياً للإيجاز ، والدلالة بها على غيرها ، من نحو :

أ – الأخطاء اللغوية :

اشتمل الكتاب على قدر غير قليل من ضروب الأخطاء اللغوية الشائعة ، والتعبيرات الصحفية التي تشوبها

أوضار الركاكة والضعف والعامية، وعدم الدقة في التعبير عن المعاني ، ونحو ذلك ، سأورد ما وقفت عليه من أمثلة كلّ منها ، مصدرةً برقم الصفحة ، ومتبوعة بلفظ المؤلف في الكتاب :

*** استعمال الكاف في موضع الحال :**

– ص١٦ : «... وذلك على هامش عملي كأمين تحرير مجلة التراث العربي ...» . الصواب : عملي أميناً لتحرير.

– ص ٦٣ : «... وحين بلغ الثلاثين اختارته جامعة بلرم عاصمة صقلية للعمل كأستاذ فيها ...» .

– ص ١٦٥ : «.. وأزيح عن عمله كرئيس للمشيخة الإسلامية..» .

– ص ١٠٨ : «.. ودُعي للتدريس كأستاذ زائر..» .

– ص ١٢٣ : «.. فاختير للعمل كأستاذ في الجامعة السورية..» .

*** تعديته (تكلم ، والكلام) بـ (عن) في موضع (على) :**

– ص ١٦ : «شاركت في الكلام عن بعضهم..» و «تكلمت عن معظمهم في برنامج ..» .

– ص ١٤٤، ح١ : «.. وقال فيه أحد العلماء الذين تكلموا عنه ..» .

*** استعماله (التنويه) في موضع (التنبيه) :**

– ص ١٩ : «.. ولا بدّ لي من التنويه إلى أنني..» وهي من الأخطاء الشائعة ، ومعلوم أن بينهما فرقاً كبيراً، فـ (التنويه) مصدر للفعل نوه، والتنويه بالشيء : الإشادة به ورفع ذكره ومدحه وشهره . وأما (التنبيه) فهو مصدر للفعل (نبّه) ، ومنه نبّه فلاناً للشيء أو على الشيء : إذا أطلعه عليه .

*** استعماله (التزم) متعدياً بالباء : قال :**

– ص ٢٣٣ : «.. عدم التزامه بمذهب من المذاهب المعتبرة..» . ومعلوم أنه يتعدّى بنفسه، ولا يخفى هنا ترخصه في استعمال (المعتبرة) موضع (المعتمدة) .

*** استعماله (بشكل خاص) في موضع (خاصة / بخاصة/ على نحو خاص) :**

– ص ١٨ : « .. الأول عدد تراجم السوريين والمصريين الكبير بشكل خاص ..» . فضلاً عما أصاب العبارة من ركاكة للفصل الطويل بين الصفة (الكبير) والموصوف (عدد) لتوالي الإضافات والعطف عليها .

– ص ٨٣ : «.. وكان يشجع الشبان بشكل خاص، ويأخذ بأيديهم ويدفع بهم خطوات إلى الأمام..» .

– ص ١٧٦ : «.. وكانت له صلات بعلماء مصر وأدبائها بشكل خاص ..» .

*** استعماله (بشكل عام) في موضع (عامة / بعامة / على نحو عام) :**

– ص ١٣٣: «.. واعترف له الخصوم قبل الأحباب بالعلم والفضل وسعة الدائرة في النحو خاصة وفي العربية بشكل عام» . وفي عبارته إلى ذلك شاهد آخر على لغة الصحافة في تعبيره عن تمكن المترجم من علم النحو وعلو كعبه فيه : : «وسعة الدائرة في النحو» .

– ص ٧٥ : «.. وهو من خيرة ما كتب في هذا الموضوع على أيدي المستشرقين بصورة عامة .. وكان مرجعاً للباحثين والدارسين في مجال الاستشراق في روسيا وبلدان الاتحاد السوفيتي السابق بصورة عامة..» .

*** تعديته الفعل (التقى) بالباء :**

ومعلوم أنه متعدّ بنفسه تقول : التقى فلانٌ فلاناً : إذا لقيه ، وذلك في قوله :

– ص٥٧ : «.. التقى فيها برجالات العلم والأدب والتحقيق..».

– ص ٧٧ : «.. الذين التقى بهم في السفر والحضر..» .

– ص ٨٢ : «.. وقصد مصر والتقى بمفكريها وأحرارها في ذلك العصر..» .

– ص ٩٤ : «.. وقد التقيت بتلميذه المستشرق الألماني..» .

– ص ١٠٨ ، ح١ : «.. وقد التقيت بنجله الأستاذ..».

- ص ٢١٣ : « .. التقيت به في إحدى زياراتي للكويت..» .
- ص٢٢٤: « .. والتقيت به سنة في أثنائها ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م..».

كذا في الأصل، والصواب : والتقيته في أثنائها سنة ...

*** تعديته الفعل (أفاد) بالباء :**

ومعلوم أنه متعدٍّ بنفسه إلى مفعول واحد أو مفعولين ، نحو قولك : أفاد فلانٌ علماً : استفاده وكسبه، وأفاد فلانٌ فلاناً علماً : أكسبه إياه . نحو قوله :

- ص ١٠٨، ح١ : « .. وأفدت بالكثير مما ورد في هذه الترجمة منه..» الصواب : أفدت الكثير .

*** تعديته الفعل (أكد) بـ (على) :**

ومعلوم كذلك أنه يتعدى بنفسه ، قال :

- ص ١٨٩ - ١٩٠ : « .. وأيد ذلك وأكد عليه الأستاذ الفاضل..» . والصواب : (وأكّده) .

*** استعماله (بينما) في غير الشرط :**

- ص٣٦ : « .. لهذا اعتبره بعضهم من رواد الفكر النير .. بينما قال فيه آخرون ..» والصواب : على حين / في حين قال فيه آخرون .

*** استعماله (تواجد) بمعنى الوجود :**

- ص ١٩٢ « .. ولا غنى لباحث ومحقق ومهتم بشؤون المخطوطات العربية ومراكز تواجدها عنه» .

ومعلوم أن هذا خطأ شائع ، لأن (تواجد) تظاهر بالوَجد، وهو الحب الشديد أو الحزن .

*** استعماله (حيثما) في غير الشرط والظرفية والمكانية:**

- ص ٢٠٧ : « .. ويقرع المتهاونين منهم حيثما أتاحت الفرصة له ذلك» . وهي اسم شرط جازم منصوب على الظرفية المكانية مثل : حيثما تقرأ تجدْ خطأ .

*** استعماله الفعل (مارس) في موضع الأفعال نظير ما في اللغات الأجنبية :**

- ص ٨٣ : « .. ولقد مارس العلامة محمد كرد علي أعمالاً إدارية..» .

ص ٢٠٦ : « .. ومارس التدريس في عدد من الأقطار العربية ..» .

- ص ٢٠٩ : «ومارس التعليم الثانوي والجامعي..» .
- ص ٢٢٨ : «ومارس تدريس الفقه والحديث ..» .

*** جمعه في الاستعمال بين الفعل المجهول الفاعل وبين الدلالة على فاعله :**

- ص ٦٩ : « .. وانتقد من قبل الدارسين العرب..» الصواب : وانتقده الدارسون العرب .
- ص ٢٣٥ : « .. وأصبح من أهم الخبراء في شأنها ، يُسأل عنها من قبل العلماء والطلبة..» . الصواب : يسأله عنها العلماء والطلبة .

*** استعماله (يتلمس) في موضع (يلمس) :**

- ص ١٢٥ : « .. فكان يقدمها لمن يتلمس منه العلم والفهم..» الصواب : لمن كان يلمس فيه . وذلك لأن تلمّس الشيء : تطلبه مرة بعد مرة ، واللمس : المسّ باليد، ولا يخفى أن استعماله في المعاني مجاز .
- ص ١٥٩ : « .. ويأخذ بيد من يتلمس فيه الاستعداد منهم ..» . الصواب : مَنْ يلمس فيه .

*** تعديته الفعل (شارك) بالباء بدل (في) :**

- ص ١٤ : « .. الذي بلغ منزلة لم يشاركه بها أحد..».
- ص ٢٠٩ : « .. شارك خلالها بتأسيس رابطة العالم الإسلامي» .

*** تعديته الفعل (تردد) بـ (على) بدل (إلى) :**

- ص ٢٠٩ : « .. وتردد أثناء وجوده في مصر على العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري» . يقال : تردد إلى فلان : رجع إليه مرة بعد أخرى .

*** تعديته الفعل (أثّر) بالباء بدل (في) :**

- ص ٣٠ : « .. فأثّر بهم وتأثّر بهم..» . الصواب : فأثّر فيهم وتأثّر بهم .

ب – تعبيرات صحفية أقرب إلى لغة العامة :

وأمثلتها فاشية تطالع القارئ في كثير من تراجم الكتاب ، نحو :

– ص ٥٧ : «.. وهي من أهم المجموعات النفيسة التي تفتخر بها تلك المكتبة الكبرى، وترفع الرأس عالياً..».

– ص ٢٣١ : «.. ولقي مساندة غير عادية من الأستاذ زهير الشاويش..» . وظاهر أن وصفه (مساندة) بأنها (غير عادية) في موضع كبيرة أو قوية، جعل العبارة صحفية أقرب إلى كلام العامة .

– ص١١٦: «.. ويصوم دون أن يتناول الطعام في السحور..» في موضع : دون سحور ، أن يتسحّر . وذلك لأن (السحور» ما يؤكل في السحر ويشرب ، و(تَسحَّرَ): أكل السحور ، و(السَّحَر) : قبيل الصبح ، ولعله أراده ، فعبر عنه بـ (السّحور) ، وبينهما فرق كبير لا يخفى ، ولا يجوز هذا الجمع في عبارته بين (يتناول الطعام) و (السّحور) لأن كليهما يدل على الطعام .

– ص ١٥١ : «.. وخلّف مؤلفات وأبحاثاً كثيرة ذوات صلة حميمة بالتراث العربي والإسلامي» . ثم تكرر هذا في مواضع منها ما ورد في ترجمة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ولفظه :

– ص ٢٢٩ : «.. وخلّف مؤلفات وتحقيقات وتعليقات كثيرة ذوات صلة حميمة بالتراث العربي والإسلامي..» .

وغير خافٍ أن وصفه لصلة أعمال المترجم بالتراث بأنها (ذوات صلة حميمة بالتراث) يتجاوز لغة الصحافة والأخطاء الشائعة إلى الدلالة على نقص في معرفة دلالة الألفاظ، فالصلة لا توصف بالحميمة إلا إذا كانت في دائرة العلاقات الإنسانية بين القرابة أو غيرهم ، والصلة في غير ذلك توصف بأنها قوية أو متينة أو وثيقة أو وشيجة أو نحو ذلك .

جـ – عدم الدقة في التعبير عن المعاني :

حوى الكتاب قدراً من أمثلة هذا النوع ، من ذلك تعبيره عما أفاده السلف من ترجمة أمهات الكتب في العلوم والفلسفة والحكمة من اليونان والفرس والرومان في عهد الخليفة المأمون وما بعده حين نشطت حركة الترجمة والنقل ، بقوله :

– ص ١٩ : «ولقد أفاد الأسلاف القدامى من اليونان والفرس والرومان في أمور دنيوية كثيرة» . ولا ريب أن ترجمة الأقدمين لكتب الطب والهندسة والرياضيات والفلك والفلسفة والحكمة وغيرها أجل من أن يعبر عنها بـ (أمور دنيوية كثيرة) . فإن كان مراده بذلك جميع العلوم والفنون ما خلا العقائد والإلهيات ، لأنها تخالف عقيدة التوحيد في ديننا الحنيف ، وغالب الظن أن يكون هذا مراده ، فالعبارة غير دقيقة علمياً .

ونحو ذلك تعبيره عن المجالات العلمية التي أفادها المجمع من أحمد راتب النفاخ بكلام عام ، لا يدل على شيء محدد، أو اختصاص علمي ، أو مجال أسهم فيه، قال :

– ص ٨٤ : «.. فانتفع العاملون في المجمع من خبرته في أمور مختلفة ..» . فضلاً عما في تعبيره عن أعضاء المجمع بـ (العاملون في المجمع)، وهم الجهاز الإداري من الموظفين على اختلاف وظائفهم وشرائحهم ، من تجوّز .

ومثله تعبيره عن كثرة من انتفع بعلمه – رحمه الله – بعبارة ، صدرها من مأثور التراث، وعجزها كلام عادي أقرب ما يكون إلى حديث العامة ، فضلاً عن أنه لا يصحّ عقلاً ولا واقعاً، ولفظه : «وأكل الناسُ بعلمه ، ولم يأكل هو وأهل داره منه شيئاً» . ومعلوم لذوي الاختصاص أن أصل العبارة كلمة للنضر بن شميل في شيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي : أكلنا الدنيا بعلم الخليل، وهو في خُصّ بالبصرة لا يُشْعَر به . وفرق ما بين العبارتين مما لا يخفى على أحد .

ومن ذلك تعبيره عن الإنصاف والموضوعية بقوله :

- ص ١٧ : « .. وبروح حيادية متجردة..» ولا ريب أن هذا التعبير يتجاوز لغة الصحافة والأخطاء الشائعة والتعبيرات العامية إلى ما هو أبعد دلالة من نقص الأدوات اللغوية، وعدم الدراية بدلالات الألفاظ ، فالروح لا توصف بالحيادية ، ولا بالمتجرّدة، فضلاً عن أن معناها اللغوي لا يستقيم مع ما يريده الكاتب ضمن هذا السياق .

ومن المعلوم أن (الحياد / الحيادية) مصطلح سياسي يدل على عدم الميل إلى أيّ طرف في النزاع . وأن (المتجردة) مؤنث اسم الفاعل من (تجرد) الرجل من ثيابه إذا تعرى ، ولو أن الكاتب قيدها بحرف الجر ومجروره لخرج من هذا المحظور ، كأن يقول مثلاً : متجرّدة من الهوى .

٢- شيوع ظاهرة الحشو والتزيّد في الكلام في جميع الكتاب:

وأمثلة ذلك تطالع القارئ في مواضع من المقدمة ونهايات التراجم خاصة دونما وجه يسوغ ذلك، ولا يخفى ما ينتج عن ذلك من زيادة في عدة صفحات الكتاب، ومن خروج الكاتب عن الموضوعية والإنصاف إلى الإنشائية أو الخطابية أو الوعظ أو التنظير أو انتقاص الآخرين أو الاستسلام للهوى والقناعات الشخصية التي قد تنتهي به إلى امتداح نفسه بصور مختلفة مباشرة وغير مباشرة . ولا ريب أن جميع ذلك لا موضع له في كتابة التراجم لجافاته الدقة والموضوعية ، وسأقتصر من ذلك على أمثلة، تشهد لما تقدم ، وتدل على ما وراءها :

أ - ختمه تراجم الكتاب إلا ما ندر (تراجم غير المسلمين) ببضعة أسطر يؤرخ فيها لوفاة المترجم، ويتبعها ببيان أثرها في نفوس طلابه وقرابته ومحبيه وبلده وأهل العلم وغيرهم ، ثم الدعاء له بالرحمة وسكن فسيح الجنان، وإثابته بحسن الجزاء وغير ذلك، وهي عبارات كثيرة متقاربة غالباً، ومتطابقة أحياناً .

وكان في وسع الكاتب أن يسلك طريق الدقة والإيجاز، ويوفر على القارئ بضعة أسطر نهاية كل ترجمة، لا يعنيه مما ورد فيها إلا تاريخ الوفاة . وقد نتج عن هذا في تقديري زيادة نحو كراستين في حجم الكتاب. بيان ذلك أن أغلب التراجم جاءت في نحو صفحتين وبضعة أسطر من الصفحة الثالثة ، تشتمل على ما تقدم بيانه من ضروب التكّثر والحشو، ثم يلي ذلك بياض في معظم تلك الصفحات، ولو اقتصر الكاتب على تاريخ الوفاة، وأسقط ما سواه مما ذكرت، ما لم تدع إلى ذلك ضرورة، لاستغنى عن الصفحة الثالثة في معظم تلك التراجم ، وربما أعانه على ذلك إسقاط أشباه ذلك من التراجم(١٢) . ولم يقتصر ذلك على ما كان من التراجم في نحو صفحتين أو زيادة بضعة أسطر مما أشرنا إليه وأحلنا عليه في الحاشية، بل نجد نظيره فيما ورد في نهايات التراجم الأخرى التي استغرقت ثلاث صفحات(١٣)، وهي أقل مما تقدم ، ونجده أيضاً فيما جاء من التراجم في أربع صفحات (١٤)، وهو نادر .

ومن أمثلة ذلك ما ورد في ختام ترجمة طه حسين بعد تاريخ وفاته ، قال :

- ص ١٣٢ : « .. فكان لنبأ وفاته وقع الصاعقة على الرؤوس بمصر والعالم العربي ومواطن الاستشراق، رحمه الله برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جنانه، وجزاه عن أمته وطلبة العلم فيها خير الجزاء» .

وهذا يكاد يطابق في لفظه ما أورده في ختام ترجمة خير الدين الزركلي بعد تسع صفحات من سابقه، ونصه:

- ١٤١ : « .. فكان لنبأ وفاته وقع الصاعقة على رؤوس أهل العلم والأدب والشعر في الوطن العربي والعالم

الإسلامي ومواطن الاستشراق، رحمه الله برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جنانه، وجزاه عن طلبة العلم خير الجزاء» . ولا ينقض ذلك التقارب والتطابق زيادة كلمة أو نقصان أخرى، ولا تقديم كلمة أو تأخير أخرى ، ليكون ذلك فارقاً يسيراً يناسب الترجمة وخصوصيتها .

ومن أمثلة ما سبق أيضاً ما نراه في ختام ترجمة سعيد الكرمي ، قال :

- ص ٥٩ : « .. وكان لنبأ وفاته بالغ الأثر في نفوس أصحابه وأحبابه وتلامذته وأهل العلم عموماً، وعرفوا فضله وشعروا بالفراغ الكبير الذي خلفه برحيله عن الدنيا ، رحمه الله برحمته الواسعة وجزاه عن العلم وأهله خير ما يجزي عباده الصالحين» . [كذا في الأصل (وعرفوا] ولعل الصواب : ممن عرفوا .

وهذا شبيه جداً بما ورد في ختام ترجمة عبدالله الأنصاري ، قال :

- ص ١٨٢ : « .. فكان لنبأ وفاته بالغ الأثر في نفوس تلامذته وأحبابه وأهل بلده والبلدان الخليجية الأخرى، وفي كل مكان عرف به من أطراف العالم العربي والعالم الإسلامي، رحمه الله برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جنانه ، وجزاه عن أمته وطلبة العلم فيها خير ما يجزي عباده الصالحين المخلصين» .

ولا ريب أن ما تقدم من الحشو والتزيّد والتكثر والإنشائية لا موضع له في كتابه التراجم، وهو مما لا علاقة له بالتدين والحرص على الثواب ، وما أشبه هذا مما قد يعتذر به ، وهو مما لا يحتاج إليه القارئ والباحث ، فضلاً عن أن التشابه والتقارب والاتفاق فيها يجعل واحدة منها تصلح لجميع المواضع ، إن لم يكن فيها خصوصية في كلمة أو كلمتين، وكل ذلك مما يجب إسقاطه والعجيب أن المؤلف الكريم عدّ خير الدين الزركلي صاحب (الأعلام) واحداً من أربعة أثّروا فيه ، ونص على أنه : « .. بلغ منزلة لم يشاركه بها أحد من المعاصرين المشتغلين بهذا الفن، وتأثر به جميع من عمل بفن التراجم في الأقطار العربية من بعده» (١٥) . ومع ذلك لم يتخذه إماماً له في الدقة والإيجاز، وتجنب الحشو وفضول الكلام، ولزوم الإنصاف والموضوعية .

٣ - المبالغة في الحديث عن الذات والأعمال وإقحام الآراء الخاصة :

ثمة ملحوظة جاءت غاية في الوضوح، وهي إسراف الكاتب في الاهتمام بذاته ، وفي سرد أعماله وتوثيقها وأخبار مشاركاته ، وصداقاته ولقاءاته ، وإقحامه لآرائه وقناعاته ومبادئه، وغلوه في تعظيم ما أضافه إلى نفسه، أو ما كان له به أدنى ملابسة، أو ما كان منه بسبب ، سواء أكان قرابة أم غيرها ، وجميع ذلك وأمثاله من الخروج إلى الوعظ والتنظير والإنشائية وانتقاص الآخرين، مما تجلى في صور مختلفة ، قاده إلى ضروب من الحشو والتزيد والتكثر ، وإقحام ما لا ينبغي أن يذكر في المقدمة ولا في التراجم ولا في الحواشي ، وجعله أسيراً للهوى والعاطفة ، مجانباً للإنصاف والموضوعية ، متنكباً للمنهج العلمي ولما سطره في مقدمته من أنه أخذ نفسه به، مما سبق في صدر المقال لدى الحديث عن منهجه . وأمثلة ذلك فاشية في الكتاب جميعه : المقدمة والتراجم والحواشي، سترد أمثلة كثيرة لما تقدم موزعة على كل منها .

ملحوظات على المقدمة :

مضت الإشارة إلى أن مقدمة المؤلف استغرقت نحو عشر صفحات (ص ١١ - ١٢)، تضمنت أشياء مهمة تتصل بالمنهج المتبع، والغاية المتوخاة وشكر ذوي الفضل، غير أنها حوت كثيراً مما لا ينبغي أن يكون مثله في أي مقدمة، وسيرى القارئ أن أكثر ما جاء في المقدمة مما هذه سبيله وإليك بيانه :

أ – حوت المقدمة قائمة مطولة بستة عشر كتاباً لمؤلف في التاريخ والتراجم : ولم يقتصر الأمر على ذلك بل جاءت موثقة غاية التوثيق، فاستغرقت ما يزيد على ثلاث صفحات .

ب – اشتملت المقدمة على (٢٩) حاشية : جلّها توثيق لأعمال المؤلف، ونشاطاته الإعلامية وقناعاته الذاتية، ليس فيها إلا حاشية واحدة (ص ١٥، ح٣) تبين منهج ترتيب الأعلام المترجمين ، وما سوى ذلك لا شأن للمقدمة به . مثل قوله :

– (ص١٧، ح١) : «وكم دفعت ثمن الإنصاف فيما تقدم من سنوات الحياة وأعلم علم اليقين بأنني سأدفعه فيما سيأتي من السنوات القادمة ، ولكنني لن أتراجع عن الإنصاف ما حييت، ولن أعبأ بأولئك الذين لا يرون إلا أنفسهم ، ولا يرضيهم إلا المنطق المعكوس» . وظاهر أن مثل هذا الكلام ، وإن كانت المقدمة لا تحتمله، والقارئ لا يحتاج إليه ، حظّ النفس منه كبير، وهو يدل على فرط عناية الكاتب بالحديث عن ذاته ومبادئه .

– (ص ٩-١٨، ح١) : في تعليقه على الآية : **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾** في سياق حضه على الإنصاف ونعيه على مَنْ لا يتحلّى به متناسياً قوله تعالى في الآية المذكورة ، وذلك في حاشية من خمسة أسطر ، ضمنها تفسير ابن كثير .

جـ – تكرار حديث المؤلف عن ذاته ومبادئه وقناعاته : وما يحبه وما يبغضه ، وتعجبه ممن لا يتحلى بالإنصاف مثله ، وحضّه عليه، ووعظه وتذكيره لهم ، وكأنه في مجلس وعظ لا في مقدمة كتاب في التراجم :

– ص ١٧ : «... ولم أنصب نفسي حكماً على أولئك الأعلام، فكتبت عمن أتفق معه وعمن أخالفه الرأي والاعتقاد بنفس واحد، ابتغيت منه وجه الله ، وتدوين الحقائق بعيداً عن العصبية التي أمقتها ، وأمقت أهلها وعن العواطف والمحاباة ... .

ولا ينقضي عجبي ممن بلغ منزلة عالية في العلم ، ولم يعرف الإنصاف إلى نفسه سبيلاً ، فينظر فيمن يريد الترجمة له بعين واحدة ، فتراه إما مادحاً مدح عاشق أعمى العشق قلبه وبصيرته، وإما ذاماً ذمّ من استغلق أمر الحقيقة عليه ، فراح يكيل التهم لمن لا يتفق معه في اعتقاد أو مذهب أو رأي أو اختصاص ، قد يشترك معه فيه بشكل أو بآخر متناسياً قوله تعالى : **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾** ، فالإنصاف الإنصاف يا أهل المروءات ، فاليوم دنيا نعيم زائل ، وغداً آخرة ونعيم لا يزول لمن جاء الله بقلب سليم من الغل والحسد والبغضاء والتحامل، والتجني على الآخرين بغير حقّ» .

ولم يكتف بكل ما سلف ، مما لا موضوع له في المقدمة ، بل زاد عليه حاشية في خمسة أسطر، نقل فيها تفسير ابن كثير للآية كما أشرنا .

ثم كرر شيئاً مما تقدم في آخر المقدمة ، قال :

– (ص ١٩ – ٢٠) : «.. ولقد أفاد الأسلاف القدامى من اليونان والفرس والرومان في أمور دنيوية كثيرة ، فما بالنا نحن في هذه الأيام نبالغ في ذم مَنْ يقتضي منطق الإنصاف ذكره وشكره على ما قدم من أعمال نافعة جادة... ولا بد لي من الإشارة إلى أمر هام جداً ألا وهو أنني صرفت النظر عن الترجمة لأعلام التراث من الأحياء – أطال الله أعمارهم ونفعنا بهم – فقد تفهم الترجمة للواحد منهم على أنها من باب التملق ، وأنا أكره التملق ، وأبغض أهله ، والراضين عنه ، أياً كان موقع الواحد منهم من أهل عصره» .

- ص ٥٥ : «وقد صنف كثيراً من المصنفات ذوات الصبغة التراثية» .
- ص ٥٩ : «وخلف عدداً من المؤلفات ذوات الصبغة التراثية الصرفة» .
- ص ١٢٩ : «وخلف مجموعة من المؤلفات والأبحاث ذوات الصلة الصرفة بالتراث العربي الإسلامي» .
- ص ١٣١ : «وخلف مؤلفات كثيرة ذوات صبغة تراثية صرفة» .
- ص ١٥٤ : «وجميع آثاره ذوات صبغة تراثية» .
- ص ١٥٦ : «وخلف مؤلفات عدة ذوات صبغة تراثية صرفة» .
- ص ١٦٢ : «وخلف من المؤلفات ذوات الصلة بالتراث» .
- ص ١٧٦ : «.. فقام بتأليف وتحقيق وتصحيح عدد كبير من الكتب ذوات صلات تراثية صرفة» .
- ص ٢١٣ ، ٢١٤ : «وكان مقلاً من التأليف، فلم يؤلف سوى ثلاثة مؤلفات ذوات صبغة تراثية ، هي : منسك مختصر للحج ، ومنسك مطول للحج، ووِرْد مختصر من كلام الله تعالى وكلام سيد البشر» .

على أن الكاتب قد جانب الصواب هنا في وصفه للمؤلفات الثلاثة بأنها (ذوات صبغة تراثية»، فليس لها أدنى علاقة بالتراث، بل لا وجه لإيراد صاحب الترجمة في الكتاب ، وهو – على جلالة قدره وعلمه – لم يخطَّ سطراً في التراث، وسيأتي زيادة بيان لهذا .

* **تضمن كلامه على التراجم تعبيرات صحفية مستهلكة :** من ذلك قوله :

- ص ٥٠ : «وكان متقناً ، ضابطاً ، شديد الولع بإخراج مؤلفاته مشكولة شكلاً تاماً نتيجة تمكنه من العربية تمكناً بعيد المدى» . وفي العبارة – إلى ذلك – خطأ علمي ، يدلّ على مقدار صلة الكاتب بالعربية وعلومها ، وذلك في تعليله ولوع المترجم بالضبط التام لمؤلفاته، فهو يرى أن ذلك يعود إلى غاية تمكّنه من العربية !؟ وهذا بلا ريب لا يقوله أحد غيره، إذ يلزم عنه أن كل من يفعل ذلك ، فيسرف في ضبط كتبه ، يكون قد بلغ الغاية في التمكن من العربية .
- ص ١٢٣ : «.. رحّالة ، محب للتراث إلى أبعد الحدود» .
- ص ١٢٣ : «.. والحرص على دفع أهل العلم من الشبان خطوات إلى الأمام» .
- ص ١٣١ : «.. يحل لهم مشاكلهم ، ويأخذ بأيديهم إلى شاطئ الأمان» .
- ص ٢٠٤ : «.. وتأثر به إلى أبعد حدود التأثر» .
- ص ٢٠٥ : «.. وخلف عدداً كبيراً من المؤلفات والتحقيقات ذوات الشأن العالي في نظر جماهير المشتغلين بالتراث العربي الإسلامي» .
- ص ٢٠٧ : «.. فقد كان في عداد فرسانه الكبار على الساحة العربية» .
- ص ٢١٠ : «.. وأتقن إلى أبعد الحدود إخراج كتب مصطلح الحديث» .
- ص ٢٣٣ : «.. وقد تأثر بمنهجه عدد كبير من المشتغلين بالحديث النبوي على الساحة العلمية في أيامنا».
- ص ٢٤ ، ٩١، ٢٩٩ : «.. ما استطاع إلى ذلك سبيلاً» .

وهي لازمة كررها المؤلف في بعض التراجم في سياقات مختلفة .

* **اشتملت التراجم على إقحامات لآراء ذاتية وقناعات شخصية :** تجلت في صور مختلفة ، وقد مازجها قدر غير يسير من الإنشائية والهوى والذاتية ، مما لا يجوز مثله في التراجم، وحسبي هنا أن أذكر أمثلة لذلك تضاف إلى ما سبق :

- ص ٤٧ : «.. وقد توفيت زوجته وهو في التاسعة والعشرين من عمره، فلم يتزوج بعدها مخافة أن تسيء الثانية إلى أولاده، وهذا إحسان نادر يسجل له على مر الأيام» .

- ص ١٧٣ : «.. وتأثر به عدد من الدارسين والمشتغلين بالتأليف والتحقيق، منهم الدكتور صلاح الدين المنجد ، والأستاذ البحاثة عمر رضا كحالة ، وكاتب هذه السطور، وغيرهم» .
- ص ٩٤ : «.. وأضاف بأنه كان في مكتبته المنزلية بطاقات كثيرة تحتوي على معلومات هامة ، هي خلاصة قراءاته ومطالعاته في الحياة ، وأنه نقلت فيما بعد إلى مكتبة هالة ، فعسى أن يتاح لها الإخراج والطبع على يد أحد الدارسين للعربية في مؤلف ينتفع به طلبة العلم على مر الأيام» .
- ص ١٧٦ : «.. وكان أبي النفس كريمها بعيداً كل البعد عن التزلف، حريصاً على المال بسبب نشأته العصامية، وعدم اعتماده على أحد غير الله تعالى في جمع ما جمع، وبناء ما بنى» .

وظاهر أن ما أورده المؤلف من تعليل حرص المترجم على المال قناعة ذاتية ، لا يُسلم له بها، ولو صح ما قاله لكان الحرص على المال لازماً لكل من كانت نشأته عصامية، فضلاً عما فيها من حشو .

- ص ٥٩ : «.. وهو في غاية النفاسة، ولعل الله أن يقيض له من يخرجه لأول مرة في طبعة جديدة متقنة مدققة مفهرسة لما للرجل من فضل على العربية والفقه والفتوى والعلم في ديار العرب بصورة عامة ، والمأمول أن تتصدر الكتاب - في حال خروجه على أيدي الدارسين - دراسة وافية تتناول سيرة الرجل وأخباره بشيء من التفصيل» .

*** عدم الدقة في وصف الأعلام أو في حديثه عنهم :**

وقد تجلى ذلك في صور عدة، من زيادة أو نقص أو إنشائية ، أو غير ذلك . ومن أمثلته :

- ص ١٨٣ : «.. هو أحمد راتب بن مرسي النفاخ، علامة، محقق، أستاذ جيل من طراز رفيع» .
- ص ٢٠٦ : «.. هو سعيد بن محمد أحمد الأفغاني الدمشقي ، علامة ، بحاثة ، محقق، مربٍ من طراز نادر».
- ص ٢١٥ : «.. هو محمود بن محمد شاكر المصري، علامة كبير، محقق عظيم، أستاذ جيل من طراز نادر».
- ص ٢٢٣ : «.. هو حماد بن محمد التادمكي الخزرجي الأنصاري المدني ، علامة ، محدث ، محقق ، مربّ من طراز نادر» .
- ص ٢٢٥ : «.. هو محمود بن محمد الطناحي المصري، عالم بالعربية، خبير كبير بشؤون التراث العربي، محقق من طراز رفيع» .
- ص ١٧٥ : «.. هو أحمد بن محمد حسن بن يوسف عبيد الدمشقي ، عالم ، شاعر ، محقق ، وراق من طراز نادر» .

وظاهر ما في الأوصاف المتقدمة لكل من المترجمين من تقارب أو تشابه أو تطابق، على ما بينهم من تباين وتفاوت في الأقدار والاختصاصات ، وعلى ما فيها من نقص أو زيادة . من ذلك أنه اقتصر في وصف أحمد راتب النفاخ على ثلاثة أوصاف : «علامة ، محقق، أستاذ جيل من طراز رفيع» وهي لا تدل على الاختصاص الذي عرف به، لأنه كان شيخ العربية في بلاد الشام ، ومن أعلم الناس بالقراءات . وقل مثل ذلك في صفات محمود شاكر، فلا يكفي أن يصفه بأنه : علامة كبير ، محقق عظيم، أستاذ جيل من طراز نادر» ولم يخبر القارئ أنه شيخ العربية في مصر، وأديب وناقد ولغوي ومفكر وغير ذلك .

ومن أمثلة ذلك ما تقدم أيضاً من وصفه بعض الأعلام بأوصاف متقاربة أو متطابقة على ما بينهم من تفاوت في الأقدار والاختصاصات ، قوله :

- ص ٨٢ : «هو محمد بن عبدالرزاق بن محمد كرد علي ،

علامة ، مؤرخ ، محقق، كبير الشأن ، أحد أفراد الدهر علماً وفضلاً وأثراً في العصر الحديث» .

- ص ١٠٩ : «هو يوسف بن رشيد العش الطرابلسي الحلبي الدمشقي ، عالم ، أديب ، ألمعي ، من نوادر بلاد الشام في العصر الحديث علماً وفهماً» .
- ص ١٥٧ : في ختام ترجمة محمد أبو الفضل إبراهيم : «.. وبالجملة فقد كان نادرة من نوادر الدهر علماً وخبرة وفضلاً ».
- ١٥٨ : «هو شكري بن عمر فيصل الدمشقي، عالم ، أديب، باحث، محقق، أستاذ كبير، ونادرة من نوادر الدهر خلقاً وفضلاً في الشام» .
- ص ١٦٤ : «هو أحمد بن علي إسماعيلوفيتش، عالم ، باحث، مفكر، من نوادر الدهر في العصر الحديث علماً وفضلاً وألمعية» .
- ص ٢٠٤ : «هو محمد بهجة بن محمود بن عبدالقادر الأثري العراقي ، علامة ، أديب، محقق ، من نوابغ الدهر علماً وفضلاً في العصر الحديث» .

وواضح مما تقدم أن الصفة الأخيرة التي أضفاها على الأعلام، على ما فيها من قرب أو مطابقة ، فيها قدر كبير من المبالغة عندما يمنحها الكاتب لمن هو دون الشهرة، ولم يلحق بركب الكبار، ممن لهم جهود عظيمة في خدمة التراث العربي، بل لمن إثباته ضمن (أعلام التراث) هو موضع نظر في أحسن الأحوال، وفي أقلها لا يجوز إدراجه فيهم، إذ لم يترك أحدهم بشهادة المؤلف إلا كتاباً في الاستشراق وعدداً من المقالات ، نسبت إليه بلا توثيق ، أعني أحمد إسماعيلوفيتش الذي بالغ الكاتب في إعجابه به، لداعٍ ما من هوى أو عصبية ، فعدّه «من نوادر الدهر في العصر الحديث علماً وفضلاً وألمعية» . وأسهب في ترجمته والرفع من شأنه ، وسيأتي فضل بيان لهذا .

* ومن أمثلة ذلك أيضاً **ولع الكاتب في بعض التراجم بعقد مقابلة بين الخصوم والأحباب** ، بما يظهر المترجم كأن له خصوماً، اصطرعوا مع أحبابه ، وقد لا يكون ثمة شيء من ذلك، نحو :

- ص ٥١ في ترجمة يوسف النبهاني : «.. ولا ينكر فضله على العلم في بعض ما خلفه إلا خصومه ومن سلك مسلكهم ، ولا ينتصر له إلا أحبابه ومن سلك مسلكه» .
- ص ١٣٣ في ترجمة محمد محيي الدين عبدالحميد : «.. واعترف له الخصوم قبل الأحباب بالعلم والفضل..» .
- ص ١٩٦ في ترجمة عبدالفتاح الحلو : «.. وكان نشاطه ودأبه مما يشهد به خصومه قبل أحبابه» .
- ص ٢١٠ في ترجمة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة : «والحق أنه كان في موقع متوسط بين ما كان يرفعه إليه أحبابه، وما كان ينزل به إليه خصومه» .
- ص ٢٢٨ في ترجمة الشيخ عبدالعزيز بن باز : «.. وقد أجمع على فضله وعلو منزلته خصومه وأحبابه» .
- ص ٢٣٣ في ترجمة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني : «ورفعه أحبابه فوق قدره، ونزل به خصومه إلى درك لا يليق بأمثاله، والحق أنه كان في منزلة بين المنزلتين، فلم يبلغ ما رفعه إليه أحبابه ، ولم ينزل إلى الدرك الذي أنزله خصومه ... ولم يملك أدوات الفقه باعتراف أحبابه قبل خصومه ... ولا حترمه خصومه قبل أحبابه» .

* **ومما يرد على التراجم من ملحوظات حرص الكاتب على نقد الكبار من المترجمين** :

ولعلّه استند في ذلك إلى ما ذكره في المقدمة من التزامه الإنصاف والحياد والتجرد، كما تقدم بيانه وقد تجلى ذلك النقد في صور عدة ، أظهرها ما كان في سياق مدح قليل أو كثير ، مثل :

- ص ١٦٨ في ترجمة عمر رضا كحالة : «وخلف مؤلفات وتحقيقات تدل على تضلعه في المكتبة العربية الإسلامية، ولكنه لم يكن ضابطاً الضبط الذي كان عليه

العلامة خير الدين الزركلي» .

والنقد هنا - كما هو ظاهر - جاء استدراكاً على مديح تقدمه، ومعتمداً أسلوب الموازنة بين المترجم وغيره .

- ص ١٨٤ في ترجمة أحمد راتب النفاخ : «وكان طيب القلب ، حاد الطبع، سريع الغضب ، كثير الانتقاد للمشتغلين غير المتقنين لصناعة التحقيق ، وما كان منهم في نظره من استوفى شروط العمل في صناعة التحقيق إلا النزر اليسير» . وهذا النقد جاء مثل سابقه في سياق المدح اقتصر فيه المؤلف على أنه : «كان طيب القلب» على كثرة الصفات الكريمة التي كان يتحلى بها، رحمه الله ، مما شاع أمره ، وانعقدت عليه خناصر أهل العلم، ونص عليه ذووه في غير ما مناسبة ، ونشر على صفحات مجلة المجمع وغيرها (مثل ما قيل في حفل استقباله عضواً في المجمع وفي حفل تأبينه ، وما نشر عنه في الصحف والمجلات) . على حين انتقده بثلاث : حدة الطبع ، وسرعة الغضب، وكثرة الانتقاد لمشتغلين غير المتقنين لصناعة التحقيق ، وأتبع الأخيرة بما يؤكد أنها قدح لا يحتمل المدح ، بأن النزر اليسير فقط هم الذين استوفوا شروط التحقيق في نظره ، والحق أن في هذه العبارة - علاوة على ما سبق - إعذاراً لمن كان ينتقدهم من المحققين غير المتقنين ، ومعلوم أن أكثر من كان ينتقدهم كانت قناعته فيهم توافق قناعة كثير من أهل العلم .

- ص ٢٠٧ في ترجمة سعيد الأفغاني : « وكان البحث والتأليف أفضل حالاً منه في الضبط والتحقيق على كثرة عمله وبعد صيته» .

وظاهر أن النقد هنا اعتمد الكاتب فيه الموازنة بين حال المترجم في البحث والتأليف وحاله في الضبط والتحقيق، وأنه كان في الثانية دون الأولى ، يفتقر إلى الإتقان والتجويد في الضبط والتحقيق ، وفي هذا ما فيه من الجرأة في النقد والغلو فيه ، ومجافاة الإنصاف والموضوعية مع أن الكاتب يفتخر في غير ما موضع بأن المترجم شيخه وأستاذه ، ومن مصادره الموثوقة في المشافهة . ولا ريب أن الترجمة لن تكون كذلك لو كان المترجم حياً ، أو كان من ذوي المناصب والجاه .

- ص ٢٠٩ في ترجمة عبدالفتاح أبو غدة : «وأتقن إلى أبعد الحدود إخراج كتب مصطلح الحديث النبوي الشريف، ولكنه لم يتصد لتخريج الأحاديث، ودراسة أسانيدها، والحكم عليها من جهة الصحة والحسن والضعف مع أنه يمتلك أدوات ذلك الأمر» .

والنقد هنا كما سلف جاء استدراكاً على امتداحه بإتقان إخراج كتب مصطلح الحديث، فانتقده لأنه لم يتصدّ - على حد تعبيره - إلى تخريج الأحاديث ودراسة الأسانيد والحكم عليها ممع امتلاكه الأدوات ، دون أن يلتمس له عذراً في ذلك ، من ورع أو هيبة أو خوف من أن يجانبه الصواب في الحكم . ولا يخفى أن الكاتب بهذا العمل ترك للقارئ الاستنتاج أن من يتصدى إلى تخريج الأحاديث ودراسة الأسانيد هو أعلى مقاماً ، وأكثر جرأة، وأغزر علماً وكفاية .

- وربما سلك الكاتب طريقاً غير مباشرة في إيراد نقده للمترجم : فلا يصرح بنقده ، بل يفهم ذلك من خلال رده على من ينتقده ودفاعه عنه ، وإسهابه في الاعتذار له، نحو قوله :

- ص ١٣٥ في ترجمة محمد محيي الدين عبدالحميد: «ولا ينتقص من قدره ما قيل عنه بأنه كان لا يعمل بيده في شؤون التحقيق في آخر عمره، بل كان يعتمد في ذلك على مجموعة من طلابه ، لأنه كان فوق أولئك الطلاب علماً وفهماً وفضلاً، وكانوا يرجعون إليه في حل المشكلات وفهم المعضلات، والوصول إلى جادة الصواب».

ولا يخفى أن هذا الكلام لا يدل على نقد المؤلف

للمترجم، بل هو دفاع عنه ، وإعذار له ورفع لما قد يتجه عليه من حرج، فضلاً عما يتضمنه من إعلام بأنه راضٍ بهذا المنهج، من حيث اعتماد المحقق على آخرين يفوقهم علماً وفهماً وفضلاً، حسبه أنهم يرجعون إليه في حل المعضلات والمشكلات .

- وقد يسوق الكاتب النقد على سبيل الإخبار، بما يشعر ضمناً أنه لا علاقة له به، وأنه غير موافق عليه ، ثم يتبع ذلك ما يعزز ذلك من الإشادة بالمترجم، وكيل المديح له، والدفاع عنه، نحو قوله :

- ص ٨٩ في ترجمة حبيب الزيات : «وقد أخذ عليه الكثيرون تعصبه للنصرانية ، واهتمامه الخاص بتتبع آثار أتباعها على نحو لم يسبق إليه ، ومع ذلك فإن له جهوداً هامة في خدمة التراث العربي الإسلامي، تذكر له ويشكر عليها، وكانت له جهود مشكورة في مجال الصحافة العلمية الراقية ، لا ينكرها عليه إلا من لم يرزق أي قدر من الإنصاف، كما كانت له مع العصامية صولات وجولات، فقد أنشأ نفسه بنفسه ، وكون ثروة بجهده وتعبه» .

وظاهر ما في الكلام من التنكب للموضوعية والإنصاف، والمبالغة في الإطراء، وإقحام معلومات شخصية، لا علاقة لها بالترجمة، ولا تهم القارئ، وقد لا تثبت صحّتها عند التحقيق، وأنى للكاتب أو غيره أن يعلم على وجه اليقين مصادر ثروات الآخرين ؟ كل ذلك بغية الوصول إلى إثبات خلاف ما أخذه عليه الكثيرون .

*** تصحيحات لبعض ما ورد في التراجم من أخطاء :**

اشتملت بعض التراجم على معلومات شابها قدر من الخطأ ، يمكن إرجاع أكثره إلى السرعة أو غيرها، من ذلك مثلاً :

- ص ١٣٥ في ترجمة محمد محيي الدين عبدالحميد نص الكاتب على أن الزركلي امتدحه، قال : «وقد امتدحه من ترجم له من العلماء كالعلامة خير الدين الزركلي» .

والواقع خلاف ما قال ، وذلك لأن الزركلي نص على أنه (اشتهر بتصحيح المطبوعات أو تحقيقها ، فأشرف على طبع عشرات منها) . ومردّ ذلك إلى تسرع المؤلف في فهم كلامه، وهو ما أغضب محمود الطناحي، فردّ على الزركلي وانتصر للشيخ محيي الدين، قال : «ولم ينصفه الزركلي رحمه الله حين ترجم له في الأعلام ٩٢/٧ ترجمة موجزة، قال فيها : "واشتهر بتصحيح المطبوعات أو تحقيقها فأشرف على طبع عشرات منها". وهذه كلمة قليلة في حق الشيخ محيي الدين، لا تفي بعلمه وجهوده، ثم إنها قد تلتقي مع الذين يهونون من أثر الشيخ وجهوده ، مع أن الزركلي رحمه الله من المؤرخين المنصفين العارفين للناس أقدارهم ، ثم إنه خالط علماء مصر زمناً أيام إقامته بالقاهرة، ثم هو أديب ناقد، يعرف فرق ما بين الطبعات، ويستطيع أن يميز الخبيث منها من الطيب» (١٦) .

- ص ١٣٤ في ترجمة محيي الدين عبدالحميد : «.. والإنصاف في شؤون الخلاف بين النحاة الكوفيين والبصريين لابن الأنباري» . والصواب : الإنصاف في مسائل الخلاف .

- ص ٢١٧ في ترجمة محمود شاكر : «فمن مؤلفاته : مع المتنبي» والصواب : (المتنبي) . وهذا الخطأ نبه عليه أحمد العلاونة في مراجعته لكتاب (إتمام الإعلام) ضمن ما أخذه على مؤلفيه : نزار أباظة ، ومحمد رياض المالح(١٧). وقد تابعهما المؤلف في ذلك .

*** نقص في مصادر ترجمة بعض الأعلام :**

جاءت مصادر ترجمة الأعلام متفاوتة في حجمها وقدرها تبعاً لشهرة أصحابها، ومكانتهم وكثرة آثارهم، وقدم وفاتهم، وغير ذلك ، على أن أكثر الأعلام المترجمين جاءت مصادر ترجماتهم متوسطة الحجم، في حين كانت

مصادر ترجمة بعضهم غنية [١٨]، وبالمقابل كانت مصادر ترجمة بعضهم الآخر فقيرة جداً، اقتصرت على مرجع أو مرجعين [١٩] . وسيرد لاحقاً زيادة بيان وتفسير لذلك .

ومما يتجه على توثيق المؤلف لبعض الأعلام المترجمين وجود نقص في مصادر ترجماتهم، مع توفر تلك المصادر بين أيدي الناس . من ذلك مثلاً :

- ص ٤٠ : أورد قائمة بمصادر ترجمة الشيخ عبدالقادر بدران، وهي - على كثرتها ، وتفاوت قيمتها - خلت من كتاب مهم، وقفه صاحبه على حياة المترجم وآثاره ، أعني كتاب (علامة الشام عبدالقادر بدران الدمشقي : حياته وآثاره) بقلم محمد بن ناصر العجمي ·- بيروت : دار البشائر ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .
- ص ٤٦ : كذلك لم تشتمل قائمة مصادر ترجمة أحمد تيمور باشا على كتاب (حياة أحمد تيمور باشا : ذكريات شخصية) بقلم محمد كرد علي ، ويليه (مقالات بأقلام معاصريه) جمعها واعتنى بها محمد ابن ناصر العجمي ·- بيروت : دار البشائر ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .
- ص ٢٣٠ : ترجم لمحمد ناصر الدين الألباني، واقتصر في توثيق ترجمته على ما جاء في مجلتي (تراثنا) الكويتية و (الأصالة) الأردنية، وعلى ما كتب عنه في بعض الصحف العربية، ومشافهة الكاتب للشيخين المحدثين : عبدالقادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط، ولأمين لطفي . وهذا بلا ريب جدُّ قليل، لا يناسب شهرة المترجم، ومكانته العلمية، وكثرة آثاره، وذيوع صيته، وانتشار طلبته ومحبيه والآخذين بمنهجه في العالم الإسلامي (وليس صاحب البحث واحداً منهم) . ولا يجوز للكاتب أن يهمل الاطلاع على ما صُنف في المترجم من كتب مفردة، ويسقط الإشارة إليها، كائنةً ما كانت قناعته فيها، وفي أصحابها، وفي المترجم، من ذلك كتاب (حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه) تصنيف محمد بن إبراهيم الشيباني (جزءان في ٩١٤ صفحة) وكتاب (محدّث العصر محمد ناصر الدين الألباني بقلم سمير محمد الزهيري (في ١٠٦ صفحات) وكتاب (محمد ناصر الدين الألباني : محدث العصر وناصر السنة) تأليف إبراهيم محمد العلي (في ١١٩صفحة) .

حقيقة مشافهات الكاتب في توثيق ترجمة بعض الأعلام:

اعتمد الكاتب في توثيق بعض التراجم على مشافهات، جاءت متفاوتةً كثرة وقلة ، بحسب معرفته بعدد من كان له صلة بالمترجم ، ممن يثق به، من أساتذته وأصدقائه [٢٠]، وقد أغفل الكاتب أي إشارة ، في المقدمة أو غيرها ، إلى حقيقة مثل هذا التوثيق ، هل وجه إلى هؤلاء المذكورين أسئلة محددة تتعلق بالمترجم، وأجابوه عنها ، فيتحمّلوا بذلك مسؤوليتها ؟ أم أنه أطلعهم على ما كتب ووافقوا عليه بعد أن أجروا عليه ما ينبغي من التعديل أو الحذف أو الزيادة ؟ أم أنه أجاز لنفسه أن يثبت أسماءهم تكثراً وتقوية ، معتمداً في ذلك على صلته بهم ، أياً كانت درجتها واهية أو قوية ، وعلى معرفتهم بالمترجم، دون أن يسألهم عن أي شيء محدد، ودون أن يقرؤوا ما نُسب إليهم، ودون أن يؤخذ رأيهم في إثبات أسمائهم ؟ وفي هذه الحالة فإنهم لا يتحملون مسؤولية ما نُسب إليهم في التراجم . أخشى أن تكون مشافهات الكاتب من النوع الأخير، يشهد لذلك أن كاتب البحث صديق للمؤلف، وقد عدّه ممن يثق به ، وذكر اسمه مرتين في توثيق شكري فيصل ، وأحمد راتب النفاخ ، وثالثة في جملة تلامذته المقربين منه [٢١] ، وعلى الرغم من علمه أنني سعدت بصحبتي لأحمد النفاخ نحو عقدين من الزمن ، أفدت فيها من غزير علمه وفضله ، لم أسأل عن أي شيء محدد يتعلق به ولا بغيره ، ولم أعلم بأمر الكتاب إلا بأخرة حين أهدانيه المؤلف مشكوراً في ١٤ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ . على أني لست الوحيد في هذا ، فقد أخبرني بنحو هذا بعض

الزمـلاء الأفـاضـل الذين عـدّهـم المؤلف من مـصـادر مشافهاته، وهم من الشهرة بمكان ، توقفوا مثلي عند هذا الأمر ، لذا كنت أتمنى على الكاتب الكريم أن يحدد حقيقة تلك المشافهات ، وأن ينص على حدود مسؤولية أصحابها، وأن يطلعنا على ما يعنينا من أمر التراجم قبل إصدار الكتاب فنكون مسؤولين عما ورد في تلك التراجم ، وهذا بلا ريب سيعود بالنفع على الكتاب دقة وشمولاً، ولا بأس إذا رأى غير ذلك أن ينص على عدم مسؤوليتهم عما ورد في التراجم التي ذكروا في مصادر توثيقها .

ملحوظات على الحواشي :

كذلك تضمنت حواشي التراجم قدراً غير قليل مما لا ضرورة توجب إيراده من توثيق لمعلومة أو خبر، أو تفصيل لمجمل ، أو شرح لغامض، أو ما أشبه ذلك، وجلّ حواشي التراجم كانت توثيقاً مسهباً لأعمال المؤلف، أو ما كان منه بسبب أو صلة من قرابة أو صداقة أو معرفة بالمحقق أو المراجع أو دار النشر ، أو بقصة الطبعة، أو بما وقع من خلاف بين المحققين ، أو بينهم وبين دار النشر، أو ما أشبه ذلك (٢٢) ، على أن توثيق المطبوع من آثار المترجمين وتحقيقاتهم ، وإن لم يشر المؤلف إلى منهجه فيه في المقدمة، لا يحتمله كتاب في التراجم يغصّ بأسماء الكتب، ولكثير منها طبعات عديدة، لا سبيل إلى استقصائها أو إثباتها، ولهذا وغيره اقتصر الزركلي في (الأعلام) على الإشارة بالرمز إلى ما كان مطبوعاً أو مخطوطاً، وسيرد فضل بيان لهذا في الملحوظات المنهجية. ومن أمثلة ما تقدم من ضروب الحواشي :

- (ص ١٣٧ – ١٣٨، ح١) : في تعليق المؤلف على تأسيس حسن كليشي فرع الاستشراق بجامعة برشتنا ورعايته لجيل من دارسي الاستشراق : «والتحق بتلك المجموعة سنة (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) صديقي وابن عمتي الدكتور محمد موفق الأرناؤوط، الذي تابع مراحل دراسته الجامعية العالية في تلك الجامعة بعد أن تخرج في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق ، ومارس التدريس في ذلك الفرع بجامعة برشتنا سنوات عديدة، وكتب من هناك في الصحافة العربية، ونشر بعض مؤلفاته وترجماته ومقالاته من هناك ، ثم غادر فرع الاستشراق والإقليم وعاد إلى دمشق حين بدأت الإشكالات العرقية مع بداية الثمانينات / وانتقل منها إلى الأردن، وعمل في جامعة اليرموك أولاً، ثم في جامعة آل البيت ، وهو الآن مدير لمعهد بيت الحكمة التابع لتلك الجامعة وأحد أعضاء هيئة التدريس فيها» . ولا يخفى على أحد أن هذه الحاشية المطولة بتمامها لا موضع لها في كتاب للتراجم، وقفه مؤلفه على الأعلام الراحلين ، واعتذر عن الترجمة للأحياء حتى لا تكون تملقاً، فهو – على ما ذكر – يكره التملق، ويبغض أهله ، والراضين عنه. والحاشية خلاف ذلك، فهي أشبه أن تكون سيرة ذاتية وعلمية لصديقه وابن عمته محمد موفق الأرناؤوط، المعروف سابقاً بـ (محمد موفاكو) (٢٣) فضلاً عن أسفاره وأعماله الوظيفية ، وآخر منصب شغله .
- (ص ١٣٤، ح١) في تعليقه على كتاب : (المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد) للعليمي في حاشية مطوّلة : «وقد أخرج النصف الأول منه وصدر في القاهرة . ثم أعاد إخراج ذلك القسم الأستاذ عادل نويهض في طبعة سقيمة كثيرة الخطأ والسقط والتحريف ، وليته أبقاه على حاله التي تركه عليها محمد محيي الدين عبدالحميد، واكتفى بإعداد الفهارس له . ثم قمت بالاشتراك مع الأساتذة رياض عبدالحميد مراد، محيي الدين نجيب ، إبراهيم صالح، حسن إسماعيل مروة ، بإعادة تحقيق ذلك القسم ، وإتمام تحقيق ما لم يحقق منه ، بإشراف والدي عبدالقادر الأرناؤوط ، الذي تولى علاوة على الإشراف على تحقيق الكتاب تخريج

الأحاديث الواردة فيه، وتولت نشره دار صادر ببيروت، ودار البشائر بدمشق سنة (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) . وكان هذا الكتاب أهم إنجازات مكتب ابن عساكر لتحقيق وتصحيح كتب التراث بدمشق الذي أسسته وأخرجت فيه عدداً كبيراً من الأعمال العلمية، والحمد لله» .

وفي الحاشية المتقدمة من ضروب الحشو ما لا يخفي، وما لا ترى نظيراً له في كتب التراجم .

- (ص ٩٦-٩٧، ح) : في تعليقه على (صحيح ابن حبان): «ثم تصدت مؤسسة الرسالة ببيروت لإعادة تحقيق الجزء الأول منه، وإتمام تحقيق الأقسام الأخرى، فصدر الجزء الأول منه عنها في طبعته الأولى بتحقيق شعيب الأرناؤوط، وحسين سليم الأسد الداراني بعد تكليفهما من قبلها بتحقيقه وقيامهما بمعظم أمور تحقيق الكتاب، ثم أعادت إصدار الجزء الأول وباقي أجزاء الكتاب في طبعة جديدة، حملت اسم شعيب الأرناؤوط بمفرده عقب خلاف جرى بينه بين شريكه في تحقيق الكتاب، فيما يتصل بأسلوب إخراجه، ومن الذي سيكون من حقه البت الأخير بدرجة كل حديث ورد في الكتاب من خارج الصحيحين» .

وظاهر ما في الحاشية من فضول القول وتفصيل الخلاف، مما لا يحسن إيراد مثله في الكتب المحققة بل التراجم التي لا تحتمل مثل هذا الإسهاب في التوثيق في كل كتاب محقق، وقد أحسن المؤلف إذ قصر هذا وأمثاله على ما كان منه بسبب دون غيره من المطبوع.

- (ص ٢٧، ح١) : في تعليقه على كتاب (المرأة الوضية في الكرة الأرضية) : « وهو بالغ الأهمية، وكنت اقتنيت نسخة منه ثم قدمتها هدية لمكتبة الأسد الوطنية بدمشق لتحفظ فيها مع الكتب النادرة» . وفي الحاشية ما لا يخفى مما لا يجوز أن يرد في أي كتاب بله التراجم، لأن المؤلف وغيره من أهل العلم، ممن يعمل في تحقيق كتب السنة النبوية والتراجم والرجال والتاريخ هم أكثر الناس إفادة من مخطوطات المكتبة الظاهرية التي آلت إلى مكتبة الأسد الوطنية، والتي تعد أغنى مكتبات العالم بهذه الآثار، لذا فإن إهداء كتاب مطبوع إليها، سواء أكان طوعاً وابتداءً أم تبادلاً وضرورةً، مع جليل خدماتها لأمثاله من الباحثين أهون من أن تفرد له حاشية، حتى لو كان المهدى مكتبة كاملة، وأفرد بحاشية، لكانت في غير موضعها الصحيح .

- (ص ١٤٠ - ١٤١، ح١) : في تعليقه على كتاب خير الدين الزركلي (الإعلام بمن ليس في الأعلام) الذي استدرك فيه التراجم التي فاتته في كتابه (الأعلام) ثم ألحقه بطبعته الرابعة التي نشرت بعد وفاته، وذلك في حاشية مطولة بلغت (٢٤) سطراً، حوت توثيق الطبعة المذكورة، ومآخذه عليها، والتدليل على صحة ما قاله، وحاجتها إلى خبير يحسن صنعها، ثم عرض بإسهاب أربعة ذيول، وضعت على كتاب (الأعلام)، ولم ينس الكاتب الإعلام بمن يُعد لإصدار الطبعة الثانية من أصدقائه، ولا التنبيه على سبقه إلى الدعوة إلى إتمام (الأعلام) معززاً بالإحالة على مجلة وكتاب له، وثق طبعاته في نحو ثلاثة أسطر، مع أن ذلك سبق في المقدمة (ص ١٤) وسيأتي للمرة الثالثة في المصادر والمراجع (ص ٢٤١). وهذه أطول حاشية في الكتاب، وقد حوت قدراً غير قليل من الملاحظ المتقدمة، ولذلك فإن إيرادها بتمامها مفيد في بيان ذلك، والدليل عليه، ونصها .

- (ص ١٤٠ - ١٤١، ح١) : «وقد أشرف على طبعها زهير فتح الله، وأصدرتها دار العلم للملايين ببيروت، وقد حصلت فيها أخطاء كثيرة، وسقطت منها تراجم وإحالات عديدة، وأقحمت فيها تراجم لا علاقة للزركلي بها، وهو ما لم يكن مأمولاً من دار مثلها تتمتع بسمعة عريضة في الأوساط العلمية، مثال ذلك ترجمة الأديب

العالم الحقوقي الأستاذ ظافر القاسمي الذي توفي بعد الزركلي سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، وهو مما لا يجوز فعله بأي حال، ولذلك كله فالكتاب بأمس الحاجة إلى إعادة إخراجه على يد من يحسن هذا الفن، ويتمسك بأصوله، وشروط العمل به، ثم صدرت أربعة ذيول لكتاب الأعلام في الآونة الأخيرة ، وهي :

أ - (تتمة ذيل الأعلام) للأستاذ محمد خير رمضان يوسف ، ونشرته دار ابن حزم ببيروت .

ب - (ذيل الأعلام) للأستاذ أحمد العلاونة ، ونشرته دار المنار بجدة .

ج - (إتمام الأعلام) لصديقي الدكتور نزار أباظة، والأستاذ محمد رياض المالح ، ونشرته دار صادر ببيروت، وهو أكثر الذيول الثلاثة التزاماً بمنهج الزركلي في كتابه . ويقوم نزار أباظة الآن بإعداد الطبعة الثانية من (إتمام الأعلام) منفرداً ، وقد أضاف إليها عدداً كبيراً من التراجم للأعلام الراحلين إلى نهاية القرن العشرين، وسيصدر في مستهل عام ٢٠٠١م إن شاء الله .

د - (فوات الأعلام مع الاستدراكات والإسهام في إتمام الأعلام) للأديب السعودي الكبير الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي - رحمه الله - ونشرته دار الرفاعي بالرياض وسوف أقوم بإتمام ما بدأ به الأستاذ الرفاعي بعون الله تعالى .

وكنت أول من دعا إلى تصنيف (ذيل) لكتاب (الأعلام) أو (مستدرك) عليه من خلال مقالتي عن الزركلي وكتابه (الأعلام) المنشورة في مجلة الثقافة الأسبوعية الدمشقية سنة ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م ثم في كتابي (الكشكول الصغير) الصادر عن مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ثم عن مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع بالكويت، ودار ابن العماد ببيروت سنة ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م» .

وفي الحاشية المتقدمة مواضع كثيرة تستأهل النظر والتنبيه ، غير أن المقام لا يسمح بذلك ، وهي على الجملة لا تخرج عن نظائرها فيما تقدم من ملاحظ .

ملحوظات على المنهج :

تقدم في صدر المقال ما ذكره المؤلف في مقدمته مما يتصل ببيان منهجه في الكتاب الذي وقفه على تراجم أعلام التراث وشيوخ العلم من المحققين والناشرين والمستشرقين، لأنهم كانوا وراء معظم ما نشر من التراث، أو لأنهم سعوا في تحقيقه ونشره، أو خرّجوا من قام بخدمته ، ممن رحلوا وخلفوا أعمالاً جليلة ، وأنه اقتصر على ثمانين منهم، ينتمون إلى أكثر من عشرين بلداً، وأنه رغب عن الترجمة للأحياء لما فيها من حرج للمترجم والمترجم ، وأنه التزم الإنصاف والموضوعية، وأنه تغيّا من كتابه أن يكون أنموذجاً بين أيدي الدارسين حول فهمه للتراجم والتاريخ ، وما رآه فيهما من المعاني لدى المنصفين من المسلمين (٢٤).

ويمكن إيجاز الملحوظات المنهجية فيما يأتي :

أ - اشتمال الكتاب على تراجم لغير أعلام التراث :

ما تقدم على إيجازه يدل على أن المؤلف وقف كتابه على أعلام التراث وشيوخ العلم من ثلاثة أصناف: المحققين والناشرين والمستشرقين ، وما يأتي بعد ذلك من كلامه هو زيادة بيان وتفسير وقيود . وهذا يعني أن الأعلام على اختلاف أقدارهم واختصاصاتهم ونفعهم وأثرهم - إن لم يكونوا من أعلام التراث : محققين أو ناشرين أو مستشرقين - لا موضع لهم في تراجم الكتاب . والحق أن جلّ من أورده المترجم من الأعلام كان من هذه الأصناف الثلاثة، وهذا حسن، غير أن الناظر في الكتاب يرى بجلاء أن بعض المترجمين لا صلة لهم بالتراث، وإن وجدت صلة بينهم وبين التراث فهي جدُّ واهية ، لا ترقى بهم إلى أن يُعدّوا من أعلام التراث ، وهم في أحسن الأحوال من الأعلام غير النابهين، آية ذلك انعدام آثارهم التراثية، أو قلتها ، وعدم اشتهارهم، بل عدم معرفة جمهور العاملين

في التراث بهم، وسأقتصر على أمثلة من ذلك ، مستغنياً بإثبات رقم الصفحة والترجمة عن التصريح بالاسم لدواعٍ شتى، لا تخفى على القارئ ، ومدللاً على صحة ذلك بما ورد في الترجمة قال :

- (ص ١٠٤، ترجمة ٣١) نص المؤلف فيها على أن المترجم: «لم يخلف من الآثار العلمية ما ينسجم ومكانته المرموقة وتحصيله العالي، فقد انصرفت جهوده في معظمها نحو التعليم والدعوة إلى دين الله عز وجل . فمن آثاره: (ثبته) المخطوط المحفوظ في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم (١١٢٢٣) عام . ويقع في (٣٨) ورقة ، وكتاب في (الإصلاح) وهو مخطوط أيضاً، وبعض «الرسائل الصغيرة» . وما تقدم يظهر بوضوح أنه ليس من أعلام التراث بأصنافهم الثلاثة، وما خلفه على قلّته لا صلة له بالتراث المحقق، ولا يرقى به حتى يسلك في أعلام التراث . على أن ما سبق لا يقلل من شأن المترجم، ولا من كبير منزلته، ووفرة إجازاته، وحميد أخلاقه، وكثرة من يقبل يده في الطريق .
- (ص ١٢٥، ترجمة ٣٩) نص المؤلف على أن صاحبها : «لم يعمل في التأليف والتحقيق بنفسه لكنه كان السبب في تأليف وتحقيق العشرات من الكتب النافعة» . وهذا كلام عام يجب توثيقه على الأقل بإيراد أسماء أشهر تلك الكتب التي وصفها بأنها نافعة، لينسجم مع كبير حرصه على وصف مؤلفات المترجمين بأنها تراثية أو ذوات صبغة تراثية . وكذلك لتسويغ إيراده في تراجم الكتاب، وهو لم يخطّ سطراً في تأليف أو تحقيق . وطبيعي ألا يقلل هذا من شأن المترجم ورفيع منزلته ، وكريم خصاله، وكثرة إنفاقه ، وضخامة مكتبته ، وغير ذلك .
- (ص ١٦٤، ترجمة ٥٣) : نص المؤلف فيها على أن المترجم : «خلف العديد من البحوث والمقالات إضافة إلى كتابه "فلسفة الاستشراق في الأدب العربي المعاصر"..». وظاهر مما سبق أن المترجم لم يخلف إلا أطروحة الدكتوراة في الاستشراق، وما عبر عنه - بلا توثيق من إحالة على مجلة أو غيرها - بـ (العديد من البحوث والمقالات) . وجميع ذلك لا صلة له بالتراث، لأن المترجم، وإن درس فلسفة الاستشراق ، فإنه لم يحقق أو يفهرس شيئاً منه ، ولا يغير من ذلك ما عقب به الكاتب من قناعة ذاتية، ترفع من شأن أطروحة الدكتوراه ، لذا لا يصح بحال من الأحوال أن يدرج أمثاله في تراجم أعلام التراث ، على أن في ترجمته ما هو أعظم خطراً من هذا الخطأ المنهجي، وهو وصف المؤلف له بأنه (من نوادر الدهر في العصر الحديث علماً وفضلاً وألمعية) !؟ وهو دون ذلك بكثير ، ولا يخفى على أي قارئ تفسير إقحام الكاتب للمترجم في الكتاب ، وغلوه في وصفه ، فليس وراء ذلك إلا الهوى والعصبية، وفي هذا ما يجافي الإنصاف والموضوعية وما يخرج عن المنهج المرسوم .
- (ص ٢١٢ ، ترجمة ٧٢) نصف المؤلف فيها على أن المترجم : «كان مقلاً من التأليف فلم يؤلف سوى ثلاثة مؤلفات ذوات صبغة تراثية / هي : "منسك مختصر للحج" و "منسك مطول للحج" و "ورد مختصر من كلام الله تعالى وكلام سيد البشر" ...» . وظاهر أن الثلاثة على قصرها ليست تراثية كما وصفها المؤلف ، إذ لا يعقل أن ينظم في سلك أعلام التراث كل من صنف رسائل صغيرة في الفقه أو غيره من علوم الشريعة أو غيرها ، ولو صح هذا لخرج مبلغهم عن الحصر ، ولكان موضع ترجمتهم كتب الأعلام أو المؤلفين . وجميع ما سبق لا ينتقص من قدر المترجم ، ولا من شهرته في بلده ، ولا من كريم أخلاقه، ولا من حرصه على تصحيح الكتب . فالمترجم بشهادة أقرب الناس إليه - ممن أعلم - لم يخطّ سطراً في التراث تحقيقاً أو نشراً .

- (ص ١٣٦ ، ترجمة ٤٣) : لم ينص الكاتب في هذه الترجمة على أن لصاحبها مؤلفات أو مقالات ، بل اقتصر في أثناء تفصيل حياته ودراسته وتنقلاته على خبر حصوله على الدكتوراه بموضوع (أقدم الوثائق الوقفية باللغة العربية في مقدونيا) وأنه أسس فرع الاستشراق في جامعة برشتينا ، واختار من يساعده من الشباب في التدريس، وعلق عليه بحاشية مطولة ترجم فيها لأحدهم ، وهو كما تقدم صديقه وابن عمته، وأنه ترجم مختارات من الأدب العربي إلى القراء الألبان واليوغسلاف ، وأن له دراسات متخصصة مثل (الوجه الآخر للاتحاد والترقي) و(الحاج جلبي) و (المعجم العربي الصربوكرواتي) . وجميع ما سبق لا يسوغ للمؤلف إدراج صاحب الترجمة في أعلام التراث، فهو على كونه مستشرقاً ليس له مما يتصل بالتراث إلا موضوع أطروحة الدكتوراه ، ولا يغير شيئاً من ذلك وصف المؤلف له بأنه (من كبار المستشرقين بالبلقان في العصر الحديث) ولا من إسهابه في ترجمة حياته ودراسته ومن ساعده ممن يلوذ بالكاتب . ولو صحّ أنه من كبار المستشرقين في العصر الحديث لتعددت مصادر ترجمته ، وهي تقتصر على مجلة أردنية ، وعلى مقدمة كتابه (الوجه الآخر للاتحاد والترقي) . أخشى أن يكون لإقحام ترجمته في أعلام التراث حظ من الهوى والعصبية كما وجدنا نحو ذلك في غيره .

ب - الخروج عن الموضوعية والإنصاف في بعض التراجم:

حرص الكاتب في غير ما موضع من المقدمة على تأكيد التزامه الإنصاف والموضوعية، وقد نجح في هذا إلى حد غير قليل، بيد أنه خرج عن ذلك أحياناً ، تجلى ذلك في صور متعددة ، مضى شيء منها في مواضع مختلفة من البحث، وقد راوح ما بين إفراطه في الإعجاب لداعٍ ما، حمله على الغلو في سرد تفاصيل، ليست بذات شأن كبير ولا صغير، والتماس الأعذار لما قد يتجه على المترجم، وإقحام الآراء الشخصية والقناعات الخاصة، للرفع من شأنه، وما بين تفريطه في حق المترجم، بالتركيز على ما يؤخذ عليه، وعرضه بلسان خصومه، مما يغيب معه أي أثر للموضوعية والإنصاف.

وأظهر ما بدا ذلك في ترجمة محمد ناصر الدين الألباني (ص ٢٣٠ - ٢٣٣) ، فقد ترجم له المؤلف في نحو أربع صفحات ، وهي أطول تراجم الكتاب ، غير أنها اشتملت على مواضع تدل في مجموعها على أن ترجمته كانت أدنى إلى تشويه صورته بدل إنصافه ، فقد نثر في مواضع من الترجمة قدراً من المآخذ وردت بصور عدة من نحو : «وحبب إليه الجدل والنقاش .. وهو الذي أحب الجدل والنقاش يافعاً . . وأخذ يطالب والده بالدليل لآراء المذهب الحنفي ، فكان والده يسخر منه ويقوله له : (الحديث مهنة المفاليس) وتطور ذلك إلى شيء من الخلاف بينهما لفترة طويلة .. واعترض عليه كثيرون من أهل العلم في الشام وسواها أول الأمر ، وناصره / قلة من المتعلمين وطلبة العلم .. وكان شديداً على خصومه إلى حد بعيد ، ينقدهم بلا هوادة ، ولا سيما في مقدمات كتبه» ولم يكتف بذلك بل أفرد له فقرة مطولة وقفها على بعض ما يؤخذ عليه - خلافاً لمنهجه في جميع تراجم الكتاب ، من حيث قصر الإشارة إلى المآخذ، وتجشم عناء الاعتذار للمترجم - حتى جاءت تلك الفقرة أشبه بلائحة اتهام ، ولفظه فيها : «ومما يؤخذ عليه : عدم التزامه بمذهب من المذاهب المعتبرة، وإقحام نفسه في أمور الفقه ، ولم يكن فقيهاً لدرجة تجعله مرجعاً في الفقه ، ولم يملك أدوات الفقه باعتراف أحبابه قبل خصومه ، مما أوقعه بأخطاء ومخالفات كثيرة ، لا تليق بمن كان في منزلته ، وإطلاق لسانه بأئمة العلم من فقهاء الأمة كإمام الفقهاء أبي حنيفة النعمان ، وتشدده في مناظرة خصومه ، وعدم احترامه لهم، ودفعه بالشباب ممن أخذوا به إلى الاعتراض على من

هم أعلى منهم شأناً في العلم من غير كفاية . ولولا هذه الأمور التي أخذت عليه لكان له شأن آخر، ولاحترمه خصومه قبل أحبابه، والكمال لله وحده» .

إن قراءة مدققة لما سبق من كلام المؤلف في صاحب الترجمة يدل على مخالفته المنهج الذي رسمه في المقدمة من التزام الإنصاف والموضوعية، وعلى تنكبه لهما ، وإلحاحه على إبراز المآخذ وتكرارها وعرضها بما يحمل القارئ على السخرية ، مستظهراً بسخرية والد المترجم ومقالته العامية له (الحديث مهنة المفاليس) ونصه على خلافه مع والده مدة طويلة ، واعتراض كثير من أهل العلم عليه، وكثرة ذاميه ، وشدته على خصومه ، ثم إفراده فقرة مطولة، وقفها على بعض ما يؤخذ عليه (ومما يؤخذ عليه) ثم عدوله عن لغة المترجم المنصف الموجز في المآخذ إلى لغة الخصم الذي يتكثر منها، ويدلل عليها، ويبالغ فيها، ويختار لها الألفاظ المناسبة ويسوقها على أنها حقائق مسلّم بها، لا تستأهل النظر فيها ومناقشتها ، بله الاعتراض عليها، والدفاع عنه ، أو الاعتذار له ، وهل يعقل أن يؤخذ على مثله عدم التزامه مذهباً من المذاهب المعتبرة ، وقد أنفق نحو سبعين سنة من حياته في خدمة حديث رسول الله ﷺ ومصادر السنة النبوية ، فأخرج ما يزيد على مئة كتاب، وانتهت إليه الأستاذية والمشيخة في اختصاصه بشهادة المنصفين من أهل العلم في العالم الأسلامي ، وقد سمعت ذلك غير مرة وفي غير ما مناسبة من شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط ، اللذين يدين لهما المؤلف بتكوينه العلمي، ولا يرقى أحد إلى درجة ثقته بهما، ولا حصر لعدد مرات دوران اسميهما في الكتاب، وإن كان هذا لا يعني موافقتهما له في كل ما اجتهد به مما جانب فيه الصواب ، فالتزام أحد المذاهب الأربعة ليس مأخذاً في حق أمثال المترجم ممن بلغوا درجته من العلم ، ووقفوا على الأدلة ، ودرسوا الأسانيد ، وعرفوا أحوال رجالها جرحاً وتعديلاً ، وإن كان ذلك مأخذاً في حق غيره ممن هم دونه ، وممن لا يملكون أدوات النظر في الأدلة ، يؤكد ذلك ويدل عليه ما قاله شعيب الأرناؤوط في ختام مقدمة تحقيق أول كتاب له (سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) : «.. وقبل أن أختم كلمتي لا بدّ لي من إزجاء الشكر الجزيل للأستاذ المحقق الشيخ ناصر الدين الألباني الذي كان له الفضل في استخراج هذا الكنز النفيس من كنوز أجدادنا العظماء والإشارة بطبعه»[٢٥] .

وللقارئ أن يقيس بقية المآخذ على أولاها ، ليقف على أمثال ما سبق، إذ كان في وسع المؤلف الاقتصار على بيان حال المترجم في الفقه بأنها دون منزلته في الحديث ، ولكنه عبر عنها مسهباً بلغة الخصم مختاراً لها ما يناسب غرضه من العبارات ، من أنه أقحم نفسه في أمور الفقه ، وأنه ليس مرجعاً فيه ، وأنه لا يمتلك أدواته بشهادة أحبابه قبل خصومه ؟ ! وأنه وقع لذلك في أخطاء ومخالفات كثيرة لا تليق به . ولا عجب ، فثمة مآخذ أخرى مسوقة بلغة أكثر دلالة على ذلك ، من مثل استعماله تعبير إطلاق لسان المترجم بالأئمة ، وضربه مثلاً لذلك بإمام الفقهاء أبي حنيفة، ولما كان مثل هذا الكلام لا يقوله إلا حنفي متعصّب ، والمؤلف - كما أعلم - ليس من هؤلاء، كان عجيباً أن يصدر عنه مثل ذلك ، ولا أعتقد أن فقهاء المذاهب الأخرى يسلّمون له بما قال .

فإذا أضفت إلى ما تقدم مآخذ أخرى من التشدد في مناظرة خصومه، وعدم احترام لهم، ثم ختمه بما هو أدهى وأعظم ، وهو تحميل المؤلف للمترجم مسؤولية دفع الشباب المفتونين به إلى الاعتراض على مَنْ فوقهم دون كفاية . وليس في هذا أدنى قدر من الإنصاف والموضوعية، إذ لا تخلو مدرسة فكرية أو جماعة دينية سلفية كانت أم صوفية من نماذج شاذة ، تغلو في قناعاتها أو سلوكياتها، فيصدر عنها ما لا يرضى من قول أو عمل، لذا كان من غير الإنصاف تحميل المترجم مسؤولية من شذ من الآخذين بمنهجه .

وددت بحق أن يسلك المؤلف منهج الحافظ الذهبي الذي عدّه في المقدمة واحداً من أربعة أثّروا فيه ، حين ترجم للحجاج – وهو من هو ظلماً وجوراً – فقال : «وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه ، وأمره إلى الله ، وله توحيد في الجملة» (٢٦) .

ج – الاختلاف في منهج إيراد تفصيلات الترجمة للأعلام:

يرى القارئ بجلاء أن الكاتب التزم منهجاً عامّاً في الترجمة للأعلام، يتصدر كلاً منها العنوان، وفوقه رقم الترجمة، وتحته اسم المترجم موثقاً مصادر ترجمته في الحاشية، وتحته اسم بلده .

ثم تبدأ الترجمة باسم المترجم ونسبته وأبرز صفاته . ويتبع ذلك في فقرة ثانية ولادته وتنقلاته ودراسته أو شهاداته أو إجازاته ، ويليها ما عرف به ، ثم تعقبها آثاره ومؤلفاته، ويختمها بتأريخ وفاته وأثرها في الآخرين والدعاء له . وهذا مما يحمد للكاتب ، وقد وددت أن يكون هناك منهج دقيق يتم وفقه إيراد تفصيلات تراجم الكتاب، فتجري على نسق واحد، من حيث الإيجاز والإسهاب، والطول والقصر، في إيراد المعلومات التفصيلية لحياة المترجم ونشأته ودراسته وتنقلاته وشهاداته وأخباره وشيوخه وتلامذته ومن أثنى عليه، وغير ذلك . أمثلة ذلك كثيرة في الكتاب :

– من ذلك أن يسرف أحياناً في معلومات جزئية تتصل بحياة بعض المترجمين ودراستهم وتنقلاتهم وشهاداتهم ودرجاتها، وغالباً ما يكون ذلك في التراجم المغمورة (٢٧) تعويضاً عن نقص مادة ترجمتهم ، لتخرج في نحو صفحتين ، على حين تجيء غاية في الإيجاز في تراجم أخرى ، كالتراجم المشهورة .

– ومن ذلك أنه يسهب أحياناً في ترجمة العلم ، فيسرد أسماء أشهر تلاميذه موزعين على بلدانهم (٢٨)، ولا يذكر في المقابل أحداً ممن تخرج على غيره حتى ولو كان بينهم أعلام بلغوا الغاية في الشهرة (٢٩) .

– ومن ذلك تفاوت منهجه في الحديث عمن أثنى على المترجم، فقد لا يذكر شيئاً من ذلك، على شهرة المترجم، ورفيع منزلته، وكثرة مادحيه (٣٠) ، وقد يوجز فيذكر واحداً ممن أثنى على المترجم (٣١) ، وقد يسهب فيسرد أسماء كثيرة ، معظمهم من ذوي المناصب والجاه (٣٢) .

– ومن ذلك ما نراه من تفاوت أحياناً في حجم فقرات التراجم ، فقد تطول الفقرة حتى تستغرق الترجمة كاملة أو معظمها (حياة المترجم ودراسته ومؤلفاته ووفاته وأثرها في الآخرين) فتملأ صفحتين أو أكثر (٣٣) ، وبالمقابل نجد تراجم تقصر فيها الفقرات حتى تغدو سطراً أو دونه، فتتعدد هذه الفقرات ، وتتقطع أوصال الترجمة ، وتزيد من عدد الأسطر أو الفقرات (٣٤) .

– ومن ذلك عدم نسبته بعض المترجمين إلى بلدانهم أو مدنهم كما هي عادته ، فقد درج على نسبة المترجمين السوريين إلى مدنهم التي ولدوا فيها ، وعلى نسبة غيرهم من المترجمين إلى بلدانهم (٣٥)، إلا ثلاثة أعلام ، لم ينصّ على نسبتهم عقب إيراده أسماءهم (٣٦) .

– ومن ذلك ما يراه القارئ أحياناً من التكرار في توثيق بعض كتب المؤلف وغيرها ، فقد تكرر ثلاث مرات توثيق كتابيه الصغيرين : (الكشكول الصغير) (٣٧)، و(عناقيد ثقافية) (٣٨) ، وتكرر مرتين كتابه الثالث (زهرات الياسمين) (٣٩) . كما تكرر تنبيهه في الحاشية على منهجه في ترتيب المترجمين (٤٠) .

د – الأخطاء الأخرى :

ثمة أخطاء مختلفة ، جلها مرده إلى الطباعة ، وهي يسيرة الشأن ، وقفت عليها في قراءة الكتاب، فرأيت مفيداً وضعها في آخر البحث، وهي :

– ص ١٢٣ : «.. فاحيير للعمل ..» والصواب : فاختير .

– ص ١٢٤: «.. وقد صف فيه حياته» والصواب : وصف .

- ١٣٦ : «.. الألباني الأصل المقدوني الكوسوفاري اليوغسلافي» والصواب : الكوسوفي .
- ص ١٨٤ : «.. وربطته في أثناء ذلك صداقة حميمة أستاذنا العلامة ..» والصواب : بأستاذنا .
- ص ١٨٤ : «.. رحمه اللّهِ» والصواب : رحمه اللهُ .
- ص ٢٠٥ : «.. يحاكي فيما كتبه كبار القدماء والأئمة ، وتواضع وعفة وحرص على الإتقان» . وظاهر أن عجز العبارة منقطع عن صدرها ، والمعنى يقوم بتغيير يسير، نحو : مع تواضع .
- ص ٢٤٩ : «أحمد إسماعيلوفيتش ، البوسنة ١٦١» والصواب : ١٦٤ .
- ص ٢٥١ : «محمد صالح الفرفور ، سورية ١٦٤» والصواب : (١٦١) .
- ص ٢٥٢ : «محمد نصيف ، السعودية ١٢٨» والصواب : (١٢٥) .
- ص ٩٤ قال في ترجمة كارل بروكلمان : «وصنع فرسان للمخطوطات العربية بمدينتي برسلا وهامبورك» . والصواب : وصنع فهرسين .. وأحسب أن مردّ هذا الخطأ يعود على نقل العبارة من (الأعلام) للزركلي دون مراعاة ما يقتضيه السياق الذي وضعت فيه ، وعبارة الأصل ثمّة «ولبروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية .. وفهرسان لخزانتي برسلا وهامبورغ، يعرفان بمخطوطاتهما العربية»[٤١] .
- ص ٦٩ : «.. وهو ما لم يكن يُأمل من مثله من كبار الدارسين» . والخطأ هنا إملائي ، والصواب : يُؤمَّل.

رابعاً : المقترحات :

ثمة جملة من المقترحات أضعها بين يدي المؤلف الكريم إضافة إلى جميع ما تقدم من ملحوظات ومآخذ وردت في المقدمة والتراجم والحواشي، أحسبها تفيد الكتاب في الطبعات القادمة، وتجعله أدنى إلى الإتقان والتجويد، يمكن إيجازها فيما يأتي :

١ - عدم الاقتصار على تأريخ المولد والوفاة بالسنة، بل تقييده باليوم أو الليلة والشهر والسنة ما أمكن ذلك، وهذا إن بدا صعباً في المولد لبعده ، فهو يسير في الوفاة لقرب العهد بها غالباً .

٢ - إغناء الكتاب بإضافة صورة صغيرة لكل مترجم في زاوية رأس الصفحة، وبإضافة صورة لخط المترجم إن أمكن أيضاً .

٣ - حذف اسم البلد المثبت تحت اسم المترجم ، إذ لا فائدة منه ، فالمترجم تحته منسوب إلى بلده عقب إيراد اسمه، وغالباً ما يتكرر ذلك في الفقرة التالية لدى تأريخ ولادته وتفصيل حياته ودراسته [٤٢] ، وأقترح أن يثبت في موضع المحذوف تاريخ الولادة والوفاة بالهجري والميلادي كما صنع الزركلي في (الأعلام) . وهذا يناسب منهج المؤلف في ترتيب الأعلام على الأقدم وفاة ، مما يسهل على الباحث والمطالع الظفر سريعاً بطلبته بدل أن يقرأ الترجمة ويستخرج وفاته منها .

٤ - إعادة النظر في قائمة الإهداء التي ضمت أربعة وثلاثين اسماً (أعلام التراث الأحياء) لحذف اسم من لبى نداء ربه، وأصبح في عداد الراحلين، وكذلك من ليس من أعلام التراث بأصنافهم الثلاثة: (المحققين والناشرين والمستشرقين) على حدّ ما رسمه المؤلف في منهجه، وإن كان مشهوراً في اختصاصه ، رفيعاً في منصبه ، جليلاً في قدره .

ولا يفوتني في الختام أن أهنئ المؤلف الكريم على إنجازه هذا الكتاب ، وأرجو أن أرى طبعة الكتاب الثانية وغيرها من أعماله النافعة خلواً من الملاحظ المتقدمة وأمثالها . وهي على كثرتها لا تقلل من شأن الكتاب ، ولا

من قدر مؤلفه ، بل ترقى بالكتاب ، إن أخذ بها، إلى أن يدنو من الكمال، ولولا واجب النهوض بأمانة العلم ، وكبير ثقتي بالكاتب ، وعلمي أنه يرحب بالنقد ، ولا يرى بأساً به، بل يراه ضرورياً لتطوير نفسه وإتقان عمله لما جشّمت نفسي عناء هذا البحث ، آية ذلك تواضعه ورجاؤه وحضه لأهل العلم في المقدمة أن ينهضوا بمسؤولياتهم في قوله :

«.. وإن غفلت وأخطأت فأنا معترف بوهمي وضعفي وتقصيري وقلة تحصيلي، والمأمول من أهل هذا الفن أن لا يبخلوا عليَّ بملاحظاتهم وتوجيهاتهم السديدة للأخذ بها في طبعات الكتاب القادمة ، فقديماً قال كاتب العراق في عصره إبراهيم الصولي : المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من منشئه» (٤٣) .

الهوامش

١ – أعلام التراث : ص ١٥ .

٢ – السابق ، ص ١٦ .

٣ – نفسه ، ص ١٧ .

٤ – نفسه ، ص ١٨، ١٩ .

٥ – نفسه .

٦ – نفسه ، ص ١٩ .

٧ – نفسه ، ص ٢٠ .

٨ – نفسه .

٩ – مقالات الطناحي : ٥٩٢/٢ نقلاً عن محمود شاكر .

١٠– تهذيب الكمال في أسماء الرجال : ١٥٦/١ .

١١– أعلام التراث : ص ١٧ .

١٢– انظر مثلاً نهايات التراجم في الصفحة الثالثة لكل من التراجم الآتية: ص ٢٥، ٤٥، ٤٨، ٦٥، ٧٠، ٧٣ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠٦، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٤٤، ١٥٢– ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٠، ١٩٠ ، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٤ .

١٣– انظر نهايات التراجم في الصفحات الآتيـة : ص١٣٥، ١٤١، ١٨٥، ٢١٧، ٢٣٦ .

١٤– ولعلها الترجمة الوحيدة ، انظر أعلام التراث : ص٢٣٢.

١٥– أعلام التراث : ص ١٤ – ١٥ .

١٦– مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي : ص ٧٧ .

١٧– مجلة عالم الكتب، المجلد ٢٢، العددان (٥، ٦) ص٥٢٥، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٨– أعلام التراث : ص ٤٠، ٨٢، ٩٨، ١٤٢، ١٥٨، ١٧٥.

١٩– السابق : ص ١٣٦، ١٦٤، ٢٠٢، ٢١٢، ٢١٨، ٢٢٣.

٢٠– السابق ، التراجم : (٥١) ص ١٥٨، (٦٠) ص ١٨٣، و (٧٠) ص ٢٠٦، و (٧٣) ص ٢١٥ .

٢١– السابق ، ص١٥٨، ١٨٣، ١٨٥.

٢٢– السابق ، حواشي الصفحات : ٢٤، ٢٧، ٣٠، ٣٦، ٤١، ٤٢، ٥٠، ٦١، ٨٩ ، ٩٦، ٩٧، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٨، ١١٠ ، ١١٨ – ١١٩ ، ١٣١ – ١٣٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠–١٤١، ١٤٤، ١٥٦.

٢٣– مؤلف كتاب (الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية) سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٦٨، أب / أغسطس ١٩٨٣م .

٢٤– انظر مقدمة المؤلف: ص١٥–٢٠.

٢٥– انظر مسند أبي بكر الصديق: ص٩.

٢٦– سير أعلام النبلاء : ٣٤٣/٤ .

٢٧– أعلام التراث ، التراجم : (٥٣) ص١٦٤، و (٤٣) ص١٣٦، و (٧٢) ص ٢١٢ .

٢٨– السابق، الترجمة (٧٣) ص٢١٥.

٢٩– السابق، الترجمة (٥٢) ص١٦١. وقد تخرج عليه كثيرون يقدمهم : شعيب الأرناؤوط ، وعبدالقادر الأرناؤوط، وعبدالرزاق الحلبي، وأديب الكلاس، وأنجال المترجم – رحمه الله – : منهم عبداللطيف فرفور، وحسام الدين الفرفور ، وغيرهم .

٣٠– السابق، الترجمة (٧٨) ص٢٢٨.

٣١– السابق ، الترجمة (٥٩) ص ١٨٢ .

٣٢– السابق ، الترجمة (٨٠) ص ٢٣٦ .

٣٣- السابق : الترجمتان (١) ص٢٣-٢٥ ، و (٨٠) ص ٢٣٤ - ٢٣٦.

٣٤- السابق ، الترجمتان (٤٥) ص١٤٢-١٤٣، و(٧٢) ص٢١٢-٢١٣.

٣٥- ما عدا اثنين من المترجمين ، نسبهم إلى مدنهم ، انظر الترجمتين (٣٩) ص ١٢٥ و (٤٧) ص ١٤٧ .

٣٦- أعلام التراث ، التراجم: (٢٣) ص٨٢، و (٦٠) ص١٨٣ ، و (٧٥) ص٢٢٠.

٣٧- السابق : ص ١٤، ١٤١، ٢٤١ .

٣٨- السابق ، ص ١٤ ، ٨٩، ٢٤١ .

٣٩- السابق ، ص ١٤ ، ٢٤٠ .

٤٠- السابق ، المقدمة ص ١٥، والفهرس ص ٢٤٥ .

٤١- كتاب الأعلام للزركلي ٥/٢١٢.

٤٢- أعلام التراث : الترجمة (٧) ص٢٠٠ . ومثلها كثير من التراجم.

٤٣- السابق ، ص ٢٠ .

المصادر والمراجع

١ - **الأعلام** ، خير الدين الزركلي .- ط١٠ .- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٢م .

٢- **أعلام التراث في العصر الحديث** ، تأليف محمود الأرناؤوط.- ط١ .- الكويت : مكتبة دار العروبة ؛ بيروت: دار ابن العماد ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٣ - **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** ، الحافظ المزّي ؛ تحقيق : بشار عواد معروف .- ط٦ .- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٤ - **الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية**، محمد موفاكو، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٦٧، آب / أغسطس ١٩٨٣م .

٥ - **حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه** ، تصنيف محمد بن إبراهيم الشيباني .- ط١ .- ٢ج .- الدار السلفية ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٦ - **سير أعلام النبلاء ، الحافظ الذهبي**؛ تحقيق فئة من الأساتذة ، إشراف : شعيب الأرناؤوط .- ط٣ .- بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٧ - **مجلة عالم الكتب** ، المجلد (٢٢) ، العددان (٥، ٦) ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٨ - **محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني** ، بقلم سمير بن محمد الزهيري .- ط١ .- الرياض : دار المغني للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ .

٩ - **محمد ناصر الدين الألباني محدّث العصر وناصر السنة** ، تأليف إبراهيم محمد العلي .- ط١ .- دمشق : دار القلم ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .- (سلسلة علماء ومفكرون معاصرون) .

١٠- **مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي** ، محمود الطناحي.- ط١.- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١١- **مسند أبي بكر الصديق** ، تصنيف أحمد بن علي المروزي؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط .- ط٣ .- بيروت: المكتب الإسلامي ، ١٣٩٩هـ.

١٢- **مقالات محمود محمد الطناحي** .- ط١.- بيروت : دار البشائر الإسلامية ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .